

محمد صلاح راجح

ربع ¼ مواطن

أول سيناروايه فى الأدب

ربع مواطن

محمد صلاح راجح

راجح، محمد صلاح.

ربع مواطن / محمد صلاح راجح:. ــ ط ١ .- الجيزة اطلس للنشر والانتاج الاعلامى ٢٠١٢

٤٥٦ ص ، ٢٠ سم

تدمك ٢٣٣٧ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- القصص العربية

أ - العنوان

٨١٣

رئيس مجلس الإدارة

عادل المصرى

عضو مجلس الإدارة المنتدب

حسام حسين

رقم الإيداع

٢٠١٢/٢٢٠٠٥

الترقيم الدولى

٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٢٣٣-٧

الطبعة الأولى

الكتاب ربع مواطن
المؤلف محمد صلاح راجح
الغلاف طارق فوزى
الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م
٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة
atlas@innovations-co.com
www.atlas-publishing.com
تليفون ٣٣٤٦٥٨٥٠ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٠٢٧٩٦٥
فاكس : ٣٣ ٢٨٣٢٨

****

إهــداء

إلى أبي:

"يومًا ما سنلتقي لتحكي لي عن العالم الآخر .. وأحكي لك عن كتاباتي"

محمد صلاح راجح

و .. إلى أمي:

"كنتِ أنت الأمر الإلهي كُن، فكنت أنا الإنسان .. تجري دماؤكِ في عروقي وأتنفس أنفاسكِ ذاتها .. سامحيني"

محمد صلاح راجح

مقدمـــة

تجربة فريدة من نوعها حلم قديم يراودني منذ بدأت الكتابة ***السيناروايه*** وهي ما تجمع بين السيناريو السينمائي والرواية بين دفتي كتاب واحد، وعلى حد علمي هي أول تجربة في العالم العربي، وربما العالم كله عرفت نفسي سيناريست أكثر مني روائيًا أو قاصًا أو حتى صاحب رأي يخرج عن قلمي في شكل مقال على مدونتي "حكايات وكلام" وحتى بعد صدور مجموعتي القصصية الأولى "عندما يتكلم الصمت" والتي كتبت معظمها في سن مبكر، وقتها لم أتعد الثامنة عشر – لا زلت أشعر أن السيناريست متغلغل بداخلي وله سلطانه الكاسح على ما أكتبه.. فعندما أكتب لا أسرد الحدوتة أو أرويها بل أراها أسمع أبطالي بداخل عقلي يصخبون يتجسدون أمامي وتحتويهم عيناي، يطالبونني بأن يكونوا مرئيين وليسوا مقروئين السيناريو مسيطر على عالمي تمامًا لدرجة أني حين أشاهد فيلمًا جيدًا أرى السكريبت واضحًا جليًا أمامي، وأعرف كيف كتب بالضبط وعندما أكتب سيناريو فإنني أشاهده وإلا لن أكتبه.

أردت أن أجمع بين عالمين قد استحوذا عليّ منذ نعومة أظفاري، وسلبا لبي: الأدب والسينما، سنوات طوال عشتها أدرس في مجال السيناريو بعدما نشأت على عشق الأدب والقراءة عمومًا، إلى أن أمسكت بأول كتاب مطبوع يحمل اسمي وأصبحت -بفضل الله- محاضرًا للسيناريو بعدة مراكز ثقافية مرموقة.

قررت أن أهديك عزيزي القارئ ما تبحث عنه من رواية ممتعة ومشوقة وأن تستمتع أيضًا بقراءة سيناريو سينمائي جيد يجعلك تشاهده من خلال قراءة المشاهد المكتوبة وتتعايش مع أحداثه.

الروائي ينطلق بكلماته عبر الأوراق ليفتح لعقلك وخيالك بوابات الأفق السحرية حيث لا أفق والسيناريست يكتب كل ما تراه عينك وتسمعه أذناك وتنفعل معه مشاعرك ويحس به قلبك عبر وسيط مرئي متقن "السيناريو" الروائي هو من يمتلك القدرة على التأمل والانفعال بما ومن حوله، ويجيد التعبير عن تأملاته في شكل كلمات، بينما السيناريست يمتلك القدرة على طرح الأسئلة والإجابة عنها، أسئلة تتعلق بأدق تفاصيل عالم كامل ابتكره خياله بكل شخصياته "ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم عالم كامل يعرف حتى شكل الشوارع فيه.

كل منهما يحكي (الحدوتة) بطريقته مستخدمًا أدواته، وقد تمنيت يومًا ما أن أقدم للقارئ العربي مزيجًا ممتعًا من الأدب والسينما في كتاب واحد قد تظنه كتابًا تعليميًا على غرار: "كيف تكتب سيناريو" ولكن الحقيقة بعيدة كل البُعد عن هذا، سنرى ونتعايش مع رواية تغلغلت في قلب السيناريو، وسيناريو ينبع من قلب الرواية، وكل ما أتمناه أن تجد -عزيزي القارئ- فيما أقدمه لك متعة مشاهدة الرواية وقراءة السيناريو نعم أنت لم تخطئ قراءة الجملة هي كذلك بالفعل أردت بهذا الكتاب أن أصنع مزيجًا فريدًا من التعايش والانفعال مع رواية مشوقة وسيناريو جيد مزيجًا يجعل حواسك تختلط ببعضها البعض وغاية ما أرجوه هو ألا تشعر بأنك أضعت وقتك مع الكتاب وأن تغلقه بعد قرائتك له متمتمًا:

- لا بأس به.

هذا ما أتمناه فهو حلم كل كاتب أن ترضى أنت عزيزي القارئ.

محمد صلاح راجح

الرواية قصة تنظم نفسها في الدنيا، بينما السينما دنيا تنظم نفسها في قصة ..

"جان ميتري"

تنويه

"الوصف التفصيلي للسجن وأقسام الشرطة الوارد في هذا الكتاب حقيقي مائة بالمائة أما عن الشخصيات وخلفياتها فهي من وحي الخيال .. مع الحق الكامل للمؤلف في الاحتفاظ بمصادره"

عابد

السبت ٩ يناير:

من داخل الزنزانة أكتب .. يا الله .. لم أكن أتخيل أبدًا وحتى في أسوأ كوابيسي أن يحدث مثل هذا، لطالما تصورت نفسي ناجحًا، وسببًا في سعادة من حولي ولكن

تراكمت الأخطاء حتى أتت بي إلى هنا، حتى الآن أشعر أن حياتي خلف الأسوار مجرد حلم حلم لم أعد قادرًا على استيعابه بدأت مأساتي تولد عندما قررت أن أحقق شيئًا ماديًا ملموسًا وبراقًا، كنت أهرول إلى الله حتى يساعدني -سبحانه- على تجسيد أحلامي على أرض الواقع.

كنت بارًّا ساجدًا راضيًا وخاشعًا حتى قابلت الشيطان متجسدًا في فتاة كانت خطيبتي، حققت معها كل ما تمنيت من نجاح، وما أن أكرمني الله حتى ابتعدت عنه.

كارثة ألمت بكل جوارحي وواقعي رغم ما جلبته من نجاح زائف وزينة شيطانية ألا وهي الغرور .. الغرور الذي ظننت معه أني لست بحاجة إلى أحد وأنني شبه متكامل ومن ثَمَّ لم أعد ساجدًا ولا عابدًا!!

كنت أذنب فيكرمني، كنت أقسو فيرحمني، وتصورت بأن الحال دائم فظلمت نفسي.

***

شيطان متجسد في فتاة كانت خطيبتي، أضاعت ماضيّ وحاضري ومستقبلي، رمت بي داخل السجن بدم بارد وتركتني حطامًا ولا أجد شيئًا أفعله إلا اللجوء إلى الله، أن أتضرع إلى الملك الذي لا يزول ملكه حتى يأمر بكن.

كن يا أيها الحطام إنسانًا من جديد، الندم الشديد على ابتعادي عن خالقي والمحاولة الجادة للعودة في رحابه.

قررت أن أتعايش وكأني لن أخرج أبدًا، وأن أبدأ من جديد بمجرد خروجي.

ربما فيما بعد أصف أجواء الحبس تفصيلًا، ولكني تركت قلمي يجري على أوراقي ليخط ما يحلو له.

***

كيف؟!.. كيف تركت نعمة قد حباني بها الله، نعمة قد يتصارع عليها الملوك نعمة لم أعرف قيمتها الحقيقية إلا بعدما زالت.

لقد جعل الله لي في كل سجدة استجابة .. ولم أعد أسجد.

الأحد ١٠ يناير:

تجانست مع من حولي حتى الأشقياء منهم، وقد لاحظت أن خطي قد زال منه بعض الاضطراب عن أمس، وأود أن أصف أجواء الحبس منذ أن دخلته حتى الآن في اليوم الأول -الخميس الفائت- وما أن وطأت قدماي أرض القسم حتى شعرت بمعنى كلمة فاقد الأهلية، ولا أعلم لماذا كنت متبلد الإحساس؟ لماذا كنت لا أشعر بفداحة ما أنا فيه، أنهينا إجراءات الدخول وولجت إلى الزنزانة.

***

وكأنني انتقلت إلى عالم آخر، الزنزانة مربعة قذرة مساحتها ٥م^2 ويحتل الحمام -يسمونه الدُّورة- يسار واجهة الزنزانة بمساحة ١,٥ م × ٢م وتنقسم الزنزانة إلى قسمين (فوق وتحت) القسم الذي يدعى "فوق" أو المراية هو الكائن بين جدار الحمام والحائط ويواجه الباب الحديدي

للغرفة، أما القسم الآخر فهو النصف الذي يحتوي الباب والذي تتكوم فيه الأجساد كيفما اتفق للنوم، وهنا أوضح أن لكل سجين فرشة وتدعى (نمرة) قد أتى بها من عندياته، وله الحق المطلق في إجلاس من يريد عليها أو طرده منها "فوق" ينام الأشقياء عتاة الإجرام و"تحت" كنت أنا ومن معي من الغلابة أو المستجدين.

لاحظت كل هذا في ظل الإضاءة البرتقالية الباهتة التي تصيب بالعمى ولم أكن أعرف كل هذه التصنيفات وأنا أدخل لأجلس أمام الحمام وسط زملائي السجناء.

***

"إنه في يوم الاثنين ١١ يناير في هذا اليوم المشئوم تعرفت على ابني أو أخي الصغير في ظروف غامضة وعاهدت نفسي أن أقف بجواره قلبًا وقالبًا رغم كل الظروف..

أخوك / أبو عماد"

*هكذا كتبها بالحرف ونصيًّا في دفتر يومياتي، رجل لا يعرفني ولا أعرفه كتب كلماته في دفتري ورحل.

الأربعاء ١٣ يناير:

توقفت عن الكتابة منذ الأحد، ربما بسبب نفسي بحت، واليوم أكمل ما كتبته.

كنت في حالة ذهول ولا أعي ما يحدث حولي، شيئًا فشيئًا بدأت تتولد ردود أفعالي ما بين الضحك والشرود والتعارف على هذا وذاك.

عرفت أن للزنزانة رئيس يدعى "نوباتشي" يأخذ مكانه مستريحًا في المراية وبجواره من له مكانة، وأما عن هذه المكانة فهي كبر مدة سجنه وعدد سوابقه ومدى خروجه على القانون.

الأحد ١٧ يناير:

تم ترحيلي إلى مركز (..).

الاثنين ١٨ يناير:

قضيت الليلة الأولى وسط زملائي الطيبين، كلهم كبار السن وعاملوني بمنتهى الحب والاحترام، وفي الزنزانة المجاورة تركت زميلين من قسم ثاني جاءا معي إلى هنا.

الزنزانة تقريبًا نفس زنزانتي السابقة، ولكن العدد أقل مما يعني بعض الراحة في النوم، وبحمد الله التزمت في الصلاة.

لن أحكي عن أيام حبسي السابقة سوى أني -بفضل من الله- صرت محبوبًا من الجميع، أما عن علاقتي بأفراد الشرطة فأتجنبهم قدر الإمكان كما تجنبت الأشقياء.

يضايقني أنني لم أرَ أبي منذ ثلاثة أيام مما يجعلني قلقًا عليه.

***

لا زلنا في نفس اليوم بعد صلاة المغرب والغداء جلست لأكتب، وما زال عقلي رافضًا لما أنا فيه، ولكنه مقتنع أنه واقع ملموس، فكرت في أن أكتب سيناريو جديدًا، ولكني لا أنوي الآن.

تفاصيل عن حياتي خلف القضبان لم تكتب بعد هل أكتب عن أكياس الشاي والقهوة، أم أكتب عن انتفاضنا من النوم عند التمام لحصرنا بالعدد والاسم أم عن النوم وسط أناس لا أعرفهم محشورًا على جانبي -يسمون هذا الوضع التسييف- أم أكتب عن المسجلين وقصصهم وفخرهم بصحيفة سوابقهم؟!!

***

خاطرة عجيبة تراودني أنا نسيت شكلي نسيت ملامحي، ترى كيف أصبح مظهري بدا لي عالمي الأصلي بعيدًا وباهتًا إلى أقصى حد، أهلي وبيتي وغرفتي والكمبيوتر وأصدقاء عمري والبلاي استيشن كل هذه مفردات عالم كأنه لم يكن.

الأيام موحشة ولا تمر، أتمنى أن أرتمي في أحضان أهلي كطفل صغير.

كم أوحشتني مكتبتي .. والضحك هنا زائف من وراء القلوب اللهم أعني على ما أنا فيه.

***

ورقة صغيرة وقّعتها -بحسن نية- لمن كانت خطيبتي رمت بي هنا ورقة كشفت قناعها الزائف وأمها، تحولوا إلى شياطين لا يرويها إلا ظلم الناس والمال .. لم أكن أتخيل أبدًا أن من ربيتها على يدي ستصبح فاجرة عاشقة للخطيئة كانت في أحضاني وحافظت عليها كعذراء رغم توسلاتها كي أجعلها امرأة بما أن المدة المتبقية على زواجنا أسابيع قليلة وهي في أشد الشوق لمتعة جنسية كاملة، ولكني أبيت، واتضح لي أن عرضها وشرف عائلتها رخيص جدًّا أمام حفنة من أوراق ملونة تسمى المال.

***

بعد العِشاء والعَشاء جلست لأكتب، بدت لي الأيام طويلة جدًّا، كم ليلة قضيتها واقفًا في قسم ثان؟ لا أذكر تحديدا ربما ثلاث أو أكثر.

برغم أن راحتي هنا في (..) قد وجدت إلا أنني أشعر بوحشة وغربة يجيشان بصدري.

ترى كيف حال أهلي وبيتي ولما أحصيت أيام سجني وجدتها اثني عشر يومًا .. فأدركت أن المدة ستكون طويلة جدًّا.

الثلاثاء ١٩ يناير:

إنه الصباح استحممت وتناولت إفطارًا عبارة عن موزة واحدة من مخلفات زيارة زميل وشربت شايًا .. وجلسنا نتحدث.

لم أذكر أي شخصية عرفتها حتى الآن سواء في قسم ثانٍ أو هنا، لا أعرف .. هناك وجوه ووجوه وحين أنثر عباءة ذكرياتي سوف تتناثر الوجوه في كل مكان .. لم أقابل حتى الآن من يحفر اسمه وشخصه في ذاكرتي.

الحلم يراودني أن أصبح سيناريست شهيرًا وتكالي على الله.

***

بعد صلاة المغرب لا أعلم ماذا سيفعل بي بعد ذلك حياة أخرى وعالم جديد مفرداته: التمام، والحمام البلدي، والتعيين "الطعام الميري"، والفرشة كل ما كسبته هنا هو التزامي بالصلاة، أما عن خبراتي فلم أجد لها نفعًا الآن؛ لأنها في غير موضعها فقد تبدلت بخبرات أخرى هي حياتي اليومية.

***

بعد صلاة العِشاء تناولنا العَشاء .. لقد مللت مللت مللت.

الأربعاء ٢٠ يناير:

اليوم رأيت أبي وأخي الزيارة هنا يوما الأحد والأربعاء فقط، تحسنت حالتي النفسية إثر رؤيتهما، أبي يقول أنه سيخرجني من هنا، وأنه يتفاوض مع من كانت حماتي أسال الله الفرج.

الساعة تعدت منتصف الليل، معظم زملائي من كبار السن، فرغت من صلاة العشاء وتناولت العشاء أكلت بشهية لرؤيتي أبي اليوم .. أشعر بأنني أقف على الحد الفاصل ما بين الإنسان والحيوان.

الجمعة ٢٢ يناير:

بعد صلاة الجمعة جلست أكتب أدعو الله أن يخرجني من هنا، لقد مللت وتعبت.

***

بعد صلاة العشاء ازداد مللي وتعبي، أوحشتني أمي وإخوتي وأبي، لا أعلم ما القادم ولكني أخشاه كثيرًا أطلب من الله أن يزيل هذه الغمة قريبًا.. آمين.

***

لا زلنا يوم الجمعة الظلم مر جدًا أحيا كابوسًا لا أدري متى سأفيق منه لأجد نفسي في فراشي وأرى أهلي.

أنا منفصل عن ما حولي تمامًا، هناك مستجد يدعي أنه معالج بالقرآن .. وجوه ووجوه .. متى ينتهي كل هذا؟

السبت ٢٣ يناير:

بعد صلاة الفجر نمت قليلًا واستيقظت على دخول مراد وهو زميل عزيز في الأربعينيات تعرفت عليه في قسم ثان.

***

بعد صلاة العشاء مر اليوم سريعًا، وكان لمراد دور كبير في هذا تحدثنا في أمور كثيرة واتفقنا على العمل سويًا بعد خروجنا بإذن الله حيث إنه تاجر كبير وأنا بحكم عملي السابق. لا أشعر بشيء حيال

المستقبل .. تراودني بضعة أحلام، كل ما أشعر به أنني في طريقي لاستعادة مكانتي مع الله عز وجل، وأني تطهرت من شياطين نفسي وخطيئتي السابقة وأهلها.

الأحد ٢٤ يناير:

بعد صلاة المغرب جلست لأكتب، أصبحت إمام الغرفة وهي مسؤولية أخاف منها.

اليوم رأيت أمي   فرحت برؤيتها   أنا في أشد الشوق لرؤية أخي الأصغر. الحمد لله لا توجد مشاكل والجميع محترم وطيب، أما عن نوباتشي الزنزانة فهو أحمد وهو شاب طيب ولا يخلو من رجولة   لا يجد غضاضة في خدمتنا بنفسه.

***

عقب صلاة العشاء بحوالي أربع ساعات   كنت الإمام كالعادة، بجواري عم عبد الله يلعب الدومينو مع مراد وقد تم صنعها من الورق المقوى والرسم عليها بالقلم الأزرق كيفما اتفق   حالتي النفسية لا يمكنني الحكم عليها   الحمد لله رزقني بأناس طيبين، ولكن الحنين إلى

رؤية بيتنا وأهلي يمزقني الغريب أنني لست ملهوفًا بالمرة لرؤية الشارع الخارجي.

اللهم أعني على ما أنا فيه ومن معي آمين.

***

أتمنى أن أعود لبيتي لأجلس مع إخوتي وأصدقاء عمري لنتابع مباريات المنتخب المصري في بطولة أمم أفريقيا.

يا رب .. يا أرحم الراحمين أغثني.

الاثنين ٢٥ يناير:

بعد صلاة العصر .. كنت الإمام كالعادة أصابتني الإنفلونزا أتمنى أن أخرج من هنا سريعًا اللهم تقبَّل آمين.

***

بعد صلاة المغرب التي تخليت فيها عن دور الإمام حالتي النفسية سيئة جدًّا .. وكمان قررت أكتب بالعامية أنا قرفان مصاريف الزيارة عبء على أمي وكمان مش كلها بأستفاد منها مش عارف أمارس حياتي وسط الناس دي مع أنهم طيبون بس غُرب ومش من بيئتي من الآخر قرفان من طريقة بعضهم في الأكل .. قرفان من الحمام البلدي محبوس ظلم ومتغرب كمان تخليت عن دور الإمام عشان بجد قربت أكفر .. أنا هنا ليه وعشان إيه .. عشان واحدة حاولت أسعدها طلعت عاهرة وبتعبد

الفلوس   كمان حاسس إن ربنا نصرها عليَّ مع إن أنا المظلوم   بجد خلاص قربت أكفر ومش عايز أفسر أكتر من كده!!

***

أنا خلاص زهقت وتعبت وكل اللي أنا فيه ده والكلبة اللي حابساني عمَّاله تتصرمح بره مع الرجالة   هو ربنا سايبني كده ليه؟!! هو أنا يعني كنت عملت إيه   ولو عملت أنا عمري ما زنيت ولا قتلت   حتى اللي بيعملوا كده متمتعين بره وأنا مذلول هنا.

***

تناولت العشاء، وكان مكونًا من السمك الروسي الذي أعشقه (جاء في زيارة لزميل).. الحمد لله تحسنت حالتي النفسية مما يعني تقبلي للآخرين، واستغفرت الله على ما كتبته   عندما أقرأ ما كتبته في الحبس يخيل إليّ أنه كتب بواسطة عدة أشخاص وليس شخص واحد هو أنا إنني أقترب من الجنون.

الثلاثاء ٢٦ يناير:

بعد صلاة الظهر   نمت نومًا عميقًا بعد سهرة ممتعة مع مراد، سهرنا نضحك ونتكلم حتى الفجر   حكى لي قصصًا مشوقة من تأليفه وهي قصص لا تخلو من حبكة روائية رائعة.

***

عدت لإمامة الغرفة   إنني أتخبط.

***

¼ مواطن

بعد صلاة المغرب تناولنا الغداء، زملائي طيبون جدًّا، ويسود بيننا التعاطف المتبادل والاحترام، زملاء مركز (..) لم أجد بينهم مسجلين أو أشقياء مثل "نفخو" وغيره من الذين قابلتهم في زنزانة قسم ثانٍ الغرفة حاليًا تضم أحد عشر شخصًا:

- أحمد نوباتشي الغرفة.
- حامد وهو جديد علينا.
- إبراهيم .. تزوير.
- الحاج عبد الله .. تأمينات.
- عم رضا .. وصل أمانة (زوجته).
- عم جمال .. تبديد عفش .. برغم كبر سنه ومدة زواجه.
- عم عبد الله إتلاف مهمات حربية.
- عم سيد (وصل أمانة .. زوجته طبعًا).
- مراد .. أقربهم إليّ خيانة أمانة (مشاكل تجارية).
- المهندس مسلم .. خيانة أمانة.
- و.. أنا .. وصل أمانة .. خطيبتي السابقة.

لكل منهم قصة .. ربما أكتب عنهم يومًا ما.

***

الساعة السابعة إلا ربع مساءً   أجلس فوق فرشة مراد وأكتب   أنا خائف جدًّا من القادم   هناك أهوال تروى من زملائي عن طريقة استقبال السجناء الجدد في السجون، وقد أخبروني أن أشنع السجون المصرية هو سجن برج العرب، وأنه -على حد تعبيرهم- أرض ما عداش عليها نبي حيث تنتظرك الكلاب المدربة على مضاجعة السجناء   !! هذا بجانب المخبرين الغلاظ وهرواتهم الأغلظ.. دعك من النوم على شبر وقبضة وهو المقاس الميري لعرض الفرشة التي سأنام عليها في وضع التسييف .. ربنا يستر.

الأربعاء ٢٧ يناير:

تم إيقاظنا مبكرًا   ووضعوني في غرفة أخرى استعدادًا لترحيلي إلى قسم ثان من جديد   أكره عربة الترحيل وأبغضها   صندوق حديدي بلا مقاعد تنبعث من أركانه رائحة بول السجناء ومن هوائه عرقهم   نقف مقيدين بالكلاباشات محشورين نتخبط ونتقلب على بعضنا البعض والعربة تهرول في الطرقات لا تبالي بنا   أصابني الغثيان وأفرغت ما بمعدتي في كيس بلاستيكي كان بحقيبتي   أجلسني زملائي على أرضية العربة   أغمضت عيني وتذكرت موقفًا مشابهًا.

***

كنت في أول أيام حبسي بقسم ثان، وكان من ضمن الإجراءات أن أتوجَّه إلى النيابة ليحرروا لي ما يسمى بنموذج حبس مع من معي من المحكومين -من صدر ضده حكم نهائي بالسجن- وكانوا قد أوقفونا في

صف استعدادًا للصعود بنا إلى عربة الترحيل مر ضابط صغير برتبة ملازم أول، وبدأ ينظر لنا واحدًا تلو الآخر وتفرس في وجهي قبل أن يقول:

- أنت شكلك مش عاجبني.

- أنا!!

- أيوه أنت!!

نظرت في وجوه الأشقياء المسجلين أمامي وخلفي .. وقلت بمنتهى البراءة:

- يعني سيادتك سيبت كل المسجلين دول وأنا اللي مش عاجبك ده أنا حتى تهمتي وصل أمانة.

ونظرت بقوة تجاه أحد أخطر المسجلين وأشقاهم رأيته يبتسم ساخرًا فما كان من الضابط إلا أنه أمر بتشديد الحراسة عليّ وانصرف.. ولما صعدنا إلى العربة قلت للمسجل:

- على فكرة أنا هابقى زيك .. عشان دي بلد وسخة مش عايزة إلا كده.

لم يبدُ مهتمًا أصلا ولكنه قال:

- دي عالم بنت (متـ..)!!

ووصلت بنا العربة إلى مبنى النيابة واقتادوني مقيد اليدين من الجهتين كل يد إلى عسكري -وكأنني قتلت السادات نفسه- إلى داخل

المبنى أمام المارة جميعًا .. وقتها لم أتحمل وأفرغت ما بمعدتي وأغرقت كل شيء   كل شيء.

***

وصلت إلى قسم ثان في تمام الثانية عشر والنصف ظهرًا   كان معي عم عبد الله وقد صعدوا به إلى المركز، أما أنا فدخلت زنزانتي القديمة لا يوجد أحد أعرفه سوى اثنين فقط.

***

زارني أبي وأمي   جاءتني معهم خطابات منهما وأخرى من أخي الصغير وأختي وزوجة أبي   ولما قرأتها أنعشت روحي   الحمد لله.

الخميس ٢٨ يناير:

مر اليوم عاديا   رأيت أمي   حاليًا أستعد للترحيل إلى محطتي النهائية في سجني   جاء اعتمادي بالسجن في أقصى سجون مصر على الإطلاق   سجن برج العرب.

الجمعة ٢٩ يناير:

السابعة والنصف مساء   فرحت جدًا حين علمت بفوز المنتخب المصري على نظيره الجزائري ٤ /   وفي الزيارة رأيت أبي وأمي وفرحت

كثيرًا برؤية أخي الأصغر الذي جاء أخيرًا، ولكني في نفس الوقت لم أكن أريد أن يراني هكذا   سلمتني أمي خطابًا منها   وبعد الزيارة ارتديت الملابس الكحلية المميزة للسجناء التي أحضرتها لي أمي   شعرت بأنني غيَّرت جلدي ذاته، حاولت التغلب على رهبة السجن بتصور أجواء بيتنا أثناء مباراة المنتخب   إخوتي والصيحات والغناء والسجائر والفيشار اللهم اكفني شر ما قضيت يا الله.

***

الواحدة صباحًا .. في انتظار الترحيل .. اللهم ارزقنا خيرًا.

***

الرابعة صباحًا .. باق من الزمن ساعتان.

السجـــن

٣١ يناير

بيني وبينك سور ورا سـور .. وأنا لا مارد ولا عصفور ..

في إيدي ناي .. والناي مكسور ..

الأحد ٣١ يناير:

أكتب من عنبر الإيراد -المستجدين- في سجن برج العرب، الحمد لله مسيطر على حالتي النفسية.. اللهم قنا شر ما قضيت.

الاثنين ١ فبراير:

أول فبراير وثاني يوم في سجن برج العرب، واجهتني بعض الإهانات عندما أستقر سأكتب كل شيء بالتفصيل.

***

عنبر (..) غرفة (..) سجن برج العرب ذلك سكني الذي استقررت فيه .. عندي الكثير لأكتبه وجعبتي ممتلئة تتساقط منها الأحداث، وسأفرغ هذا كله على أوراقي اللهم ألهمني الصبر.

***

فرحت جدًّا بفوز المنتخب المصري بكأس الأمم الأفريقية، وشاهدت فرحة الجماهير على شاشة تلفزيون الغرفة.

الثلاثاء ٢ فبراير:

ثالث يوم في برج العرب ولدي الكثير لأكتبه ما بين الجمعة واليوم أحداث كثيرة وأترك قلمي ليفرغها على الورق سهرت ليلة الجمعة مفكرًا في ترحيلي وما ينتظرني في السجن حتى جاء صباح السبت وأخذوني إلى عربة الترحيلات ومنها أنزلونا إلى محطة قطار وسط حراسة مشددة حيث إنني وزملائي خطر على الأمن العام!!

لن أتحدث عن الناس ونظراتهم لأني صرت فرجة حقيقية لجميع خلق الله. كنا نفترش الرصيف وأمام كل منا فرشته، وعلى رءوسنا تنهال الإهانات من أفراد الشرطة (اقعد عدل يا بن المتـ منك له) وبعدها جاء القطار وهو عبارة عن مجموعة زنازين قذرة لا توجد بها مقاعد وتفوح منها رائحة البول -دائمًا هي هناك في كل ما يمت لهذا العالم القذر- وجلست على أرضية زنزانة مستسلمًا لمصيري في يأس.

وصلنا الخليفة بالقاهرة، وكانت تنتظرنا عربات الترحيل و أعين الخلق، وبعد عناء وانتظار لثلاث ساعات وسط تراب الأرض سمعت اسمي صعدوا بي إلى عربة الترحيلات لتأخذ طريقها إلى قسم الخليفة.

تم الدخول مباشرة إلى الزنزانة وهي عبارة عن قاعة كبيرة

وواسعة جدًّا في الدور الأرضي على يسار المدخل اتخذت مكاني وفرشت فرشتي، زنزانة الخليفة عالم آخر وفيها من كل شكل ولون وهي سوق للمخدرات بأنواعها، وذلك كله تحت أعين ورعاية الشاويشية، وربما من هم أعلى منهم .. في وسط القاعة تجد الأشقياء ينادون بأعلى صوتهم:

- حد عايز حشيش حد عايز ترامادول؟

قضيت ليلتي وكأنني في محطة مصر والغريب أنني أكلت وشربت شايًا بشهية ونمت نومًا عميقًا بلا أحلام.

في الصباح الباكر تم إيقاظنا، وفرزنا بكشوف الأسماء وتحميلنا في عربات التعذيب الرسمية الزرقاء كلّ إلى محطته النهائية .. ولمحطتي قصة أخرى.

الأربعاء ٣ فبراير:

في الصباح تناولت قطعة حلاوة -من التعيين الميري- وشربت شايًا منتظرًا فتح الباب للتهوية حتى جاء الظهر فجلست في التُّرَيْب -وهو عبارة عن طرقة محاطة بأربعة جدارن ومسقوفة بشبكة حديدية مخصصة لتهوية السجناء داخل العنبر- لأكتب مستكملًا ما كتبته أمس.

حال وصولنا إلى السجن انقبضت قلوبنا لمرآه تم الاستقبال بحزم وقسوة وضعونا في فسحة عارية وقاموا بتفتيش أمتعتنا -وهي عملية ظاهرها التفتيش وباطنها البحث عن السجائر لاقتناصها حيث إنها العملة الرسمية وراء القضبان- ثم أمروا بأن نخلع ملابسنا كلها باستثناء الشورت الداخلي ليقوم الطبيب بتفحص الأجساد في نظرات خاطفة لم تستغرق دقائق معدودة على أصابع اليد الواحدة .. والمفارقة أننا كنا عراة لنصف ساعة في هذا البرد منتظرين سيادته كي يمنحنا نظراته الخاطفة.. كنت منكمشًا على نفسي يقتلني البرد والخجل.

ثم قاموا بحلاقة رءوسنا وذقوننا على الزيرو عن طريق حلاق سجين يقوم بتشويه رأس من لا يدفع علبة سجائر كان هناك رجل ملتحٍ لا يكف عن التسبيح والاعتراض على حلق اللحية وتدخين السجائر وفي النهاية استسلم وسط نظرات شامتة لا أفهمها.

بعدها اقتادونا إلى عنبر الإيراد وهو مخصص لمبيت المستجدين فيه لحين تسكينهم النهائي بت ليلتي في غرفة مزدحمة وفي الصباح الباكر أيقظونا بالشتائم والعصي، وقادونا إلى التُّريّب لنصطف تيسيرًا لفرزنا.

المشتبه به -أو اللي شكله ما يعجبش المخبرين- يتم اقتياده إلى آخر (الحوش) ليتبرز أمام الجميع خوفًا من أن يكون قد اتلع بعض المخدرات أو الأدوات الممنوعة، علمت فيما بعد أن عملية الابتلاع هذه تسمى بالرفع.

كنت أتأمل هذا كله حين دوت الصفعة على وجهي صفعة زلزلت كياني من كف مخبر لمجرد ترهيب الصف

- صبّح.

قالها ساخرًا مخبر يبدو عليه الجهل والغباء انهالت كفه على وجهي وكرامتي وثقافتي .. لينسحق كل هذا تحت نعال المخبر.

شتائم قذرة وأصوات نابية تأتي من منخار هذا الثور لتنال من الجميع بلا استثناء .. بعد هذا تم تسكيني.

***

السجن هائل الحجم وهو مقسم إلى مجموعات، وكل مجموعة تضم خمسة عنابر، والعنبر مقسم إلى رُبعين كل ربع يحتوي على تسعة غرف مجموع عنابر السجن خمسة وعشرون عنبرًا؛ أي أن هناك خمسة مجموعات هذا بالإضافة إلى مبنى المكاتب الإدارية وقاعة الزيارات وملاعب كرة القدم والمطبخ والفرن والمكتبة والمدرسة وقاعة الهوايات والسجاد ومبنى المطافئ والمستشفى ومبنى استراحة الظباط و عنابر الإعدام.

***

جاء سكني في المجموعة (..) عنبر (..) غرفة (..)، الغرفة المخصصة للمعيشة مساحتها ٦ م في ٤ م، وتضم ثلاثين فردًا، أي أن عليّ أن أحيا على مساحة ٤٠ سم ملتصقًا بجاري آكل وأشرب وأنام وأصلي عليها أدركت مدى ضيق الصدر والعصبية التي تتولد مع ضيق المساحة والاختناق والحر الشديد (برغم أننا في فبراير).. كل هذا يؤدي حتمًا إلى مناوشات وشجار يفضي إلى كوارث.

نزعت من عقلي أي تصور للسجن كنت قد شاهدته على شاشات التليفزيون والسينما، نحن هنا على أرض الواقع كلٌّ لديه فرشة عبارة عن بطاطين كومت على أرضية الغرفة كيفما اتفق في مساحه لا تتجاوز ٤٠ سم .. والغرفة بها حمام بلدي مساحته ١ م² يتوضأ ويستحم ويقضي فيه حاجته ثلاثون رجلًا وعلى الجدران يتم تعليق الأمتعة الخاصة بالنزلاء بكثافة غير عادية ..الصراصير والقمل والبق هنا لهم مطلق الحرية في التجول على الأمتعة والأطعمة وحتى النزلاء أنفسهم، ولا تجدي مع تلك الحشرات أية مقاومة أو محاولة إبادة حيث أن هذا المناخ يساعدها على التكاثر والتواجد بشدة.. ولذلك فإن الإصابة بأمراض جلدية كالإكزيما والجرب حتمية .. ربنا يستر.

نوباتشي الغرفة يدعى (عباس) نحيل جدًّا وقصير وهزيل الجسد، يوجد معي في الغرفة اثنان من فاقدي الرشد أو بالبلدي "مجانين"، ولكن بشكل ما يمكن السيطرة عليهما بنسبة معقولة وإنني أتساءل لأي مدى

يمكن أن أحتمل أفعالهم حتى تناسب هذه النسبة المزعومة؟

***

اكتشفت وجود فريق كرة قدم للسجناء، وسأحاول الانضمام له بإذن الله- عن طريق زميلي في الغرفة (عبد الحليم) وهو يقول بأنه لاعب كرة قديم في فريق من فرق الأقاليم.

الخميس ٤ فبراير:

استيقظت في الثامنة صباحًا وتناولت قطعة حلاوة صغيرة جدًّا وكمية أصغر من الشاي أعاني هذه الأيام من فاقة شديدة، نفدت سجائري السجائر هنا هي العملة المتداولة أي أنني أحيا في هذا العالم الجديد بلا مليم أحمر.. وجلست أنتظر فتح الباب.

***

الجمعة ٥ فبراير:

لم نخرج أمس للتهوية، واليوم أيضًا لن نخرج فهو عطلة نظل حبيسي الزنازين في أيام الجمع والعطلات الرسمية بما فيها الأعياد أنا هاكتب بالعامية إمبارح اتخنقت جدًّا وقلت لربنا قبل ما أنام أنت خلقتني ونسيتني وكمان ظلمتني بجد مش عارف إيه اللي بيحصلي ده أستغفر الله العظيم أنا قطعت الصلاة ومش عارف هأرجع ولا لأ

نفسي أروّح بقى أنا هنا ليه وبرغبة مين اتنين زبالة (خطيبتي وحماتي السابقتين) ملعون أبوهم (لأبو) اليوم اللي عرفتهم فيه أقسم بالله لما أخرج من هنا هآخد حقي وبدراعى الصبر طيب.

***

إحنا لسه الصبح وفيه جوايا غضب شديد وبراكين ثايرة ..لو شوفتهم دلوقتي هأقتلهم وأعلق رءوسهم على باب السجن.

***

حوالي العاشرة صباحًا جلسنا نتابع فيلمًا أمريكيًّا يحكي عن رجل لديه عقدة نفسية ما[1] أنا في غاية الضيق ومشتاق جدًّا للحياة الملكية قرفان من كل شيء السجن والحمام البلدي وعايش وسط مخلوقات كانت رجالًا زي ما بيقول د. أحمد خالد توفيق صراصير وقمل وعفانة وريحة نتنة وكمان مش معايا ولا سيجارة وتعبان وجعان التعيين الميري يقرف الكلب الجربان بقالي كتير بأدعي بس ربنا مش عايز يستجيب، مش فاهم أنا عملت إيه عشان أستاهل العقاب والعذاب ده كله جوايا غضب من كل شيء حتى الله زعلان منه عشان سابني أتظلم وراميني

[1] A Beautiful Mind الفيلم العبقري لـ "راسل كرو" من تأليف أكيفا جولدسمان والمأخوذ عنه فيلم (آسف على الإزعاج) لـ "أحمد حلمي".

هنا أنا عارف كويس إن ده كفر.. بس أحبس اللي جوايا يعني ولا أتشل ولا أعمل إيه يا رب إما تاخدني وأموت أو تطلق سراحي.

***

بعد صلاة الجمعة الحمد لله هدأت نفسيتي وكالعادة استغفرت ربي أتمنى أن يغفر لي وأن تمر هذه المحنة على خير.. آمين.

***

حوالي الخامسة مساءً الحمد لله رزقنا الله (أنا والصاوي) بشاي وسكر وسجائر كميات ضئيلة جدًّا لكن الحمد لله الجوع يمزق أحشائي .. الحمد لله .. له الحمد على كل شيء.

***

السابعة إلا ثلث مساء أود أن أكتب عن الصاوي هو ابن منطقتي، وكان صديقًا قديمًا عرفته منذ أكثر من ثلاثة عشر عاما وانقضت سنوات كثيرة منذ رأيته آخر مرة.. "أحد عشر عامًا". المفاجأة أنني قابلته كسجين معي في زنزانة القسم بسبب إيصالات أمانة وما جعلني أكتب عنه الآن أنه زميل معي في نفس الغرفة هنا في سجن برج العرب.

***

أشارك في معيشتي هنا زميلين الصاوي وعبد الحليم، أي أننا نأكل معًا ونتشارك في مساحة نومنا مستخدمين فرشة تتكون من أغطيتنا مجمعة (يسمون المشاركة هنا "عايشين مع بعض") الجدير بالذكر أن العنبر الذي نحيا فيه مقسم رُبعين .. رُبع أموال عامة ورُبع سرقات كلنا ظلمنا أنفسنا بشكل أو بآخر.

***

اشتقت كثيرًا لرؤية مراد وعم جمال وعم عبد الله وأحمد زملاء مركز (..) برغم أنهم زملاء حبس إلا أنني أتذكر أيامهم دائمًا كذكرى حلوة انتويت الاتصال بهم جميعًا بعد خروجي إن شاء الله.

***

في السابعة مساءً جاءت ثورة مصطفى ومصطفى هو أحد الشخصين فاقدي الرشد هنا، لا أعلم تشخيص حالتهما لأنني لست متخصصًا الغريب أن ثورة مصطفى جاءت بكل ما يجيش به صدري ولكنه (مصطفى) أعلنها صريحة مدوية.

هو ربنا مدخلني السجن ليه بيعاقبني على إيه يعني هي نار جهنم سابت كل المشركين والظالمين وجاتلي أنا!!

هذا هو ما صرخ به مصطفى وهو نفس ما فكرت فيه ولم أجرأ على إعلانه ولا أن أتفوه به .. ترى من منا فقد عقله أولًا ؟!!

السبت ٦ فبراير:

الثامنة والنصف صباحًا استيقظت مكسر العظام، وبرغم ذلك أخذت كفايتي من النوم، أشعلت سيجارة قاربت سجائري على النفاذ ولكن "ربنا بيرزق"، وجلست في انتظار إعداد الشاي.

***

حوالي الرابعة والنصف عصرًا أكرمني الله كثيرًا جدًّا كنت قد توجهت إلى مسير العنبر لأطلب منه الخروج إلى المكتبة، ولكنني فوجئت به يريد تصنيعي في الأعمال المكتبية وعُرضت على الرائد المسؤول عنا ووافق .. كان غاية في الذوق والاحترام ومن ثم انتقلت إلى الغرفة (١) يسمونها غرفة الباكايتة وهي تعني من هم ميسورو الحال من النزلاء - وهي تعني الراحة التامة في النوم وكماليات الغرفة من حيث الإضاءة ونظافة الحمام وغير ذلك لي مرتب ثابت طبعًا سأحوله إلى بونات صرف من الكافيتيريا أو سجائر .. الحمد لله.

***

السابعة والنصف مساء بعد غداء دسم ومشبع توافرت معي السجائر والشاي والسكر أيضًا الحمد لله الذي أكرمني وبفضله عدت إلى صلاتي اللهم هوّن، وقنا شر ما قضيت .. آمين.

***

التاسعة مساء .. بعد حمام بارد ومنعش -لا يوجد ماء ساخن أصلًا- وصلاة العشاء جلست لأكتب .. تحسنت حالتي النفسية كثيرًا، أكرمني الله فقد أصبحت مسير العنبر تحت إشراف المسيرين القدامى ومن فوقهم ضباط الشرطة والمُسيّر مكانة متميزة للنزيل عن أترابه اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال ملكك وعظيم سلطانك.

الأحد ٧ فبراير:

بعد صلاة العشاء مر اليوم طيبًا وأحمد الله على وضعي الجديد وكرمه، يقتصر عملي على الأعمال المكتبية كالعمل على تمام العنبر ودفتر الأحوال والتحركات .. وهو عمل مناسب ومريح.

الاثنين ٨ فبراير:

وقت العِشاء على قدر الإمكان أحاول مساعدة زملائي دون الحصول على مقابل -سجائر- وهو ما أفعله سرًّا؛ لأنه لو عُرف سيتم

تخزيني (عزلي من العمل وإعادتي لغرفتي القديمة) فورًا؛ فالمتعارف عليه هو حصول المسيرين على سجائر مقابل أي شيء يفعلونه؛ فهم الرابط بين النزلاء وإدارة السجن غير ذلك حياتي داخل الغرفة مرتبكة وأرتكب بعض الهفوات لأني ضارب لخمة ويرجع ذلك إلى وضعي الجديد الذي لم أعتده بعد .. سأكون سريع التأقلم بإذن الله.

***

شاهدت اليوم مباراتين من مباريات الدوري المصري، خسر الأهلي وربح الزمالك مما أسعدني جدًّا وذكرني بجلساتي مع إخوتي وأصدقاء عمري أكتب تلك الكلمات وأنا ألتهم حيات الشليك (فراولة) الطازجة التي أهداني إياها حسن حلاق العنبر .. حاليًا أفكر في كتابة سيناريو جديد من وحي الواقع.

الأربعاء ١٠ فبراير:

بعد يوم عمل مرهق ومشحون، وبعد صلاة المغرب والغداء جلست لأكتب، الحمد لله معنوياتي مرتفعة، المجموعة (..) مكونة من خمسة عنابر، وكل عنبر مقسم إلى ثماني عشرة غرفة (كل رُبع تسعة غرف) ويتراوح عدد النزلاء في كل غرفة ما بين الخمس والعشرين والثلاثين إلا غرفة المسيرين لا تزيد عن خمسة عشر نزيلًا، وهي -بفضل الله- غرفتي الحالية وقد كتبت طبيعة عملي كمسير للعنبر من قبل وهي مسؤولية

كاملة عن نزلاء العنبر، ومكان العمل هو التقفيصة وهي عبارة عن كاونتر رخامي محاط بقضبان حديدية أمام مدخل العنبر، ويفصله عن ممرات الغرف بوابات حديدية تفتح بأمر المسير يجتاحني الحنين إلى أهلي وبيتي وأصدقائي وأوراقي ومدونتي .. الآن أستعد لقراءة مسرحية المهزلة الأرضية للعملاق يوسف إدريس اقترضتها من زميل غرفتي الجديدة عز، وهو محامٍ بالمناسبة.

الخميس ١١ فبراير:

ما ليش نِفس أكتب.

الجمعة ١٢ فبراير:

ذهبنا إلى عملنا مبكرًا -المسيرين يخرجون أيام الجمع إلى التقفيصة- ورجعنا مبكرًا، كان يومًا مريحًا أنهيت كتاب يوسف إدريس، وكان رائعًا كعهدي به نقيم بطولة للشطرنج داخل الغرفة مساء -وهو شطرنج مصنوع بالكامل من قطع الصابون الميري- وإلى الآن أنا بطل فيها، ولا أُهزم وهو ما أسعدني جدًّا خلف القضبان تسعد من أجل أقل الأشياء، وتنفعل على أتفه الأشياء كذلك!!

السبت ١٣ فبراير:

بعد انتهاء العمل ويوم صاخب وبعد الغداء أكتب عاهدت نفسي على مساعدة الصاوي زميلي من الغرفة القديمة وجاري القديم كذلك أعتبره أخي.

الأحد ١٤ فبراير:

بعد انتهاء العمل وصلاة المغرب كان يومًا عاديًا والحمد لله، أحيا حياة طيبة بمقاييس السجن اطمأننت على الصاوي في حديث خاطف -قلما أترك التقفيصة- أثناء تريضه في التُّريّب بعدها رجعت لاستكمال عملي، ولما فرغت منه اغتسلت وتناولت الغداء وصليت ثم جلست أكتب تلك الكلمات.

الاثنين ١٥ فبراير:

مرهق جدًّا ولن أكتب.

الثلاثاء ١٦ فبراير:

يقتلني الحنين إلى أهلي وبيتي وأصدقاء عمري، بل إنني في أشد الشوق إلى مفردات هذا العالم الذي أصبح باهتًا جدًّا البلاي ستيشن والكمبيوتر والموبايل وملابسي وساعتي وولاعتي وقلمي وأفلامي، حتى الهواء الذي أتنفسه هناك أظنه غير الهواء هنا.

أكتب هذا في العاشرة مساءً تاريخ خروجي الرسمي هو ٧ أكتوبر، وهو ما يعني أن أمامي وقت طويل جدًّا بين الجدارن وخلف قضبانها أريد رؤية إخوتي وأن أسمع صوت أمي، وأفتح الباب لأجد أصدقائي وأتلقى مكالمة من أبي أعده فيها بالذهاب له غدًا، تضحكني دعابات أخي الصغير ووجود أخي الأكبر جواري لا أعلم متى سيحدث هذا فاليوم هنا بسنة كاملة هناك مع الأحباء.

الجمعة ١٩ فبراير:

لم أكتب منذ الثلاثاء أكتب هذه الكلمات بينما يتردد ورائي أذان صلاة الجمعة، وورائي لأني لن أصلي حدث اليوم موقف عجيب كنت جالسًا في التقفيصة حينما دخل عليّ شخص سجين لا أعرفه، ولما كلمني رددت عليه وأنا أكتب بعض الأشياء الخاصة بتذاكر النزلاء -كل سجين له تذكرة مدون عليها تاريخ حبسه وإفراجه وتهمته يعلوها صورته الميري بملابس السجن- ولم أنظر له فذهب، بعد ثوانٍ تم استدعائي من قبل مسير المجموعة بأكملها وتم توبيخي بسبب أنني لم أقف احترامًا لهذا السجين لمجرد أنه مسير مجموعة أخرى .. عجبًا .. مسير المجموعة عادة ما يكون محكومًا عليه بالمؤبد في قضايا المخدرات أو ما يوازيها واليوم يتم توبيخ المثقف لأنه لم يقف احترامًا لمجرم!!

***

- الهرم اتقلب على فكرة!!

***

عجبًا لأمر إلهي فعل بي هذا عجبًا لأمر ربي الذي نصر الظالمتين عليَّ ورمى بي في هذا المكان اللعين حيث المكانة للأكثر إجرامًا والسارقين وتجار السموم كيف يتأتى كل هذا لمجرد توقيع ورقة بكامل حسن نية وأمان -بديل لقائمة أثاث- لساقطتين انخدعت فيهما.

كان كل ذنبي أنني حلمت حلمت ببيت وزوجة ومكانة اجتماعية ووفرة في الرزق وهدوء وحياة بلا مشاكل لنفسي وأهلي.

وجدت نفسي بين كائنات غريبة وأسماء أغرب مثل (نفخو، فسو، إخواته، المرعب، ماندو وما شابه ذلك) ومفردات وقوانين عجيبة.. فمثلًا كلمة حاج هنا عيب جدًّا، وتعني الديوث، وطريقة النوم والمشي والكلام لها عجائب أخرى ما لي ومال هؤلاء، أنا لم أعد أريد شيئًا واتخذت على نفسي عهدين أولا: أن أقاطع نهائيًا كل ما هو أنثوي أو ينتمي لامرأة وثانيًا: أن أتنازل بكامل حريتي عن جنسيتي المصرية، سأرحل باحثًا عن أية جنسية أخرى فمصر هي الدولة الوحيدة على ما أظن التي تسجن أبناءها زورًا بقانون ظالم ومجحف لمجرد التوقيع على إيصال أمانة كضمان لشراء أي شيء هذا القانون هو ما تنص عليه المادة ٣٤١ خيانة أمانة وهو أساسًا ملغى دستوريًا، والصادر به القرار الجمهوري رقم ٥٣٦ لسنة ١٩٨١ هل من العدل أن نزج وسط هذا

الجحيم بأناس كان كل ذنبهم عدم توافر المال لشراء احتياجاتهم في المعركة الدائمة مع الحياة، هناك من يقضي مدة عقوبة لثلاث سنوات (وهي عقوبة إيصال أمانة واحد فقط) لمجرد عجزه عن سداد قسط ثلاجة كان قد اشتراها لجهاز ابنته، بل إنه قد يموت داخل الجدران اللعينة، من يموت هنا يتم استدعاء أهله لاستلام الجثة وعليهم قبل البدء في الإجراءات الحكومية المعقدة دفع عشرة جنيهات مصرية ونصف ثمنًا للبطانية الميري الملفوف فيها جسد فقيدهم من مسؤول عن عدم توافر حق الثلاجة مع هذا المواطن المصري؟ ومن مسؤول عن ضياعه في غياهب السجون المصرية لمجرد أنه فكر في اقتنائها؟! ومن مسؤول عن قضاة يحكمون بدم بارد على مواطن بسيط لا يقوى على قوت يومه مقدم ضده عريضة دعوى تدينه بمبالغ تتعدى مئات الآلاف من الجنيهات وهم يعلمون تمام العلم أن هذه المبالغ كتبت بيد محامي الخصم؟ يا ربي، أنت تركتني هنا ونصرت الظالم عليّ ويا مصر أبيع جنسيتك بلا مقابل أو ألقي بها في أقرب صندوق قمامة.

***

حينما كنت أتلقى التوبيخ من مسير المجموعة الخاصة بي قال بالحرف الواحد:

- خش أوضتك وريحنا من (..) أم نضارتك دي.

طبعًا يكره المنظار الطبي؛ لأنه بالنسبة له من مفردات الثقافة والعلم الذي لا ينتمي إليهما بأي حال من الأحوال.

***

الاثنين ٢٠ فبراير:

فوجئت بزيارة من أمي يوم السبت الماضي فرحت جدًّا لرؤيتها، جاءت وحيدة مللت وتعبت بعدما ذهبت كطفل زارته أمه في الروضة وتركته حتى يحين موعد (المرواح) لا أستطيع منع نفسي من التفكير خارج هذه الأسوار اللعينة وأكرر أهلي وبيتي وأصدقائي يا الله ردني إليهم ردًّا جميلًا سريعًا عاجلًا يا أرحم الراحمين.

الثلاثاء ٢٣ فبراير:

بعد انتهاء العمل والغداء وصلاة العشاء جلست لأكتب اليوم تعادل الأهلي في الدوري مما أسعدني سيما أن الزمالك قد فاز بالأمس أعتزم كتابة سيناريو جديدًا تتجمع خيوطه وبناؤه الدرامي في ذهني وطبعًا يقتلني الحنين.

الخميس ٢٥ فبراير:

بعد صلاة العشاء أشعر بقرب قرار تخزيني المسيرون لا يطيقوني ومن فوقهم مسير المجموعة كل ما أفعله أنني أساعد الناس دون أن أستغلهم .. و... مزاجي زفت مش كاتب!!

الجمعة ٢٦ فبراير:

لم أخرج للعمل بسبب حادثة الجمعة الفائتة لا زالا شوقي وحنيني كما هما وعتابي مع ربي كما هو وهمي وحزني أيضًا اليوم أبدأ في كتابة السيناريو الجديد.

"ورقة تم تدبيسها في دفتر اليوميات":

أنا قلبي كان شخشيخة أصبح جرسًا

جلجلت بيه بالليل .. صحيوا الخدم والحرس

أنا المهرج .. قمتوا ليه .. خفتوا ليه

لا في إيدي سيف .. ولا تحت مني فرس

وعجبي

***

أنا اللي بالأمر المحال اغتوى

شفت القمر نطيت لفوق في الهوى

طولته ما طولتوش إيه أنا يهمني

وليه .. ما دام بالنشوى قلبي ارتوى

وعجبي

***

عيني عليك يا عم صلاح

سجن برج العرب

٢٥ فبراير

السيناريو[٢]

بدءً من الآن ستتداخل صفحات الرواية مع السيناريو.

أفان تيتر[3]

(1)

نهار / خارجي / داخلي

شوارع

- منظر عام لشوارع الإسكندرية، ونقترب من مبنى القسم.

- p.o.v[4] يوسف وهو يدخل القسم

- أمام أمين شرطة يستوقفه يوسف.

يـوسـف: لو سمحت.. فين مكتب تنفيذ الأحكام؟

- غير مهتم ولا ينظر له.

الأميـن: فوق الدور التاني.

ما قبل بداية الفيلم ويسبق التيترات أو نرى التيترات من خلاله وهو مشهد أو أكثر ويكون بمثابة مقدمة للفيلم.

[4] Point of view = وجهة نظر.. أي أن اللقطة من وجهة نظر يوسف.

▪ يصعد يوسف إلى مكتب تنفيذ الأحكام حيث أمين شرطة جالسًا إلى مكتبه.

▪ يظهر يوسف في مواجهة الأمين الذي ينظر له في تساؤل.

▪ باستسلام.

يوسف: أنا جاي أسلم نفسي.

أفان تيتر

(٢)

نهار/داخلي

أمام زنزانة الحبس

▪ يقف يوسف أمام مخبر رافعًا يده ويتم تفتيشه بدقة.

▪ يُفتح باب الزنزانة لتظهر الأجساد متكدسة على فرش أرضية في لمحة أثناء فتح الباب وولوج يوسف إلى الداخل.

▪ ينغلق الباب في وجوهنا.

(صوت مدوٍّ لقفل باب الزنزانة الحديدي وإزاحة المزلاج)

" إظـلام تدريجي

تنزل التترات

يبدأ الفيلم

مشهد ١
نهار / داخلي
داخل بنك استثماري
"مكتوب على الشاشة قبل عام"

▪ تظهر أجواء البنك من الأمن ومرورًا بالعملاء حتى مكتب يوسف الذي يجلس عليه ويكلم أحد العملاء.	
▪ لافتة على المكتب يوسف عبد الرحمن خدمة العملاء"	يوسف: بالظبط كده يا فندم أول ما نستكمل الورق المطلوب نقدر نحصل على القرض والبروشور ده فيه كل تفاصيل طرق السداد والأقساط ادرسها على مهلك
▪ يناوله مطبوعات أنيقة تحمل شعار البنك.	
▪ يرن هاتفه المحمول فينظر على الشاشة ويجيب.	سوري لحظة واحدة.
▪ يستدير بكرسيه حتى لا يسمعه العميل وينطق آخر كلمتين همسًا.	أهلا أهلا أخبارك إيه وحشتيني أوي

مشهد ٢

ليل / داخلي

كافيه بستانلي

▪ يوسف يجلس إلى إحدى الموائد المطلة على البحر منتظرًا عمر صديقه ومشعلًا سيجارته.

▪ يدخل عمر مرتديًا بذلة كاملة ويضع حقيبة عمله على مقعد مجاور ويجلس مرهقًا.

▪ مبتسمًا.	يوسف:	إيه يا بني اتأخرت ليه؟
▪ متجهم الوجه.	عمر:	طلع عيني في زيارات الدكاترة النهارده.
	يوسف:	وده يخليك مبوز كده!!
▪ بتردد.	عمر:	أمك كلمتني.
▪ بغضب.	يوسف:	تاني.. مش هنخلص من القصة دي.
▪ منطلقا في الكلام.	عمر:	قصة إيه وزفت إيه أنت

متجاهل أهلك وبصراحة
كده أنت مِركب وفاء
عليهم .. حرام عليك يا بني.

▪ بنفاد صبر.

يوسـف: بص يا عمر أنا كل شهر
بأدفع في البيت اللي بأقدر
عليه ومش مخليها عايزه
حاجة وبعدين هي
وياسين أخويا عايزين إيه
أكتر من كده ناقص بقى
أقطع نفسي وأوزعها على
أهلي ومصاريف الجواز.

▪ بحزم.

عمـــر: الحكاية مش فلوس مع
إنك عارف كويس إنك
بترميلهم اللي فاضل من
وفاء والست حماتك
أنت من إمتى كنت كده !!
وأمك قالتلي إنك قطعت
الصلاة كمان إوعى ياالا
تكون صدقت نفسك
خليك فاكر أيام الشغلانة

أم تلتميت جنيه اتقِ الله في أهلك.

يوسف: إحنا طلع عين اللي خلفونا لحد ما اشتغلنا شغلانة محترمة.

عمر: أديك قولتها اللي خلفونا.. وأنت أمك بصراحة استحملت كتير وقعدت بيك أنت و(أخوك) بعد ما أبوك سابكم من وأنت عيل بترضع.

▪ يشيح بيده في عدم اهتمام وينهض وهو يشير للنادل طالبًا الشيك.

يوسف: بقولك إيه تعالَ معايا البيت نتعشى ونلعب شوية بلاي ستيشن.

مشهد ٣

ليل / داخلي

صالة بيت يوسف

▪ يوسف يجلس مع عمر وياسين أمام التلفاز ويلعبون البلاي استيشن.

▪ تدخل أم يوسف حاملة صحفة عليها أكواب الشاي لتضعها أمامهم.

الأم: الشاي يا ولاد.

▪ مسرعًا يحمل عنها الصحفة.

عمر: تسلم إيدك يا طانط.

الأم: لمتكم مع بعض دي بالدنيا

▪ ليوسف.

هاتروح لحماتك بكرة؟

▪ بنفاد صبر.

يوسف: أيوه .. فيه حاجة؟

▪ بغضب.

الأم: هو حرام يا بني أسألك؟!

▪ يصيح بغضب وهو يضغط pause.

يوسف: هو لازم أقدم تقرير؟!

▪ رد فعل على وجه الأم وتنصرف متحسرة	
▪ معاتبًا يوسف.	عمـر: بالراحة على أمك شوية.
▪ بغيظ ليوسف.	ياسين: هتفضل طول عمرك غبي.
▪ بلا مبالاة وهو يمسك بموبايله.	يوسـف : بقولكوا إيه نطلب دليفري؟

▪ ديزولف

▪

مشهد ٤

ليل / خارجي

مطعم مأكولات بحرية

▪ ديزولف[٥] من يد يوسف الممسكة بالموبايل إلى يده أيضًا ممسكة بالموبايل ولكن وهو يجلس مع وفاء بالمطعم.

▪BC[٦] شاشة الهاتف على أوبشن الآلة الحاسبة يجري عليها عملية حسابية.

يوسف: الحسبة قدامك أهي أعمل أكتر من كده إيه؟

▪ يوسف ينحني ليخرج علبة سجائره من الحقيبة فتظهر وفاء في مواجهته وعلى وجهها نظرة غل وشر.

وفاء: آه طب خلاص إدي

---

[٥] مزج بين لقطة وأخرى تليها .. أي أن اللقطة تظهر تدريجيا من خلال اللقطة التي تسبقها.

[٦] Big cadre = كادر كبير أو لقطة قريبة = close shot.

لأهلك بقى بقية الفلوس وتتحرق الجوازة.

▪ بتغيب. يوسف: هو أنا أقدر أستغنى عنك.

وفاء: يا حبيبي، كل اللي أنا عايزاه نبقى في بيتنا وأمك ما بقتش بتطيقني جوازنا هيخلصنا من الهم ده.

▪ بأسف. يوسف: مش عارف إيه غيرها كده.. دي كانت فرحانة بكِ أوي.

▪ بدلال مصطنع. وفاء: يا حبيبي المهم نكون سوا.. وعلى فكرة أمك ما اتغيرتش كده إلا لما شافت الهدايا اللي بتجيبها لي والخروجات والفسح مع إنهم مشيلينك هم البيت لوحدك.

▪ بحماس مديرًا دفة الحديث. يوسف: بصي بقى المرتب ألفين جنيه حماتي بتاخد ألف

جمعيات والبيت خُمسمية
وأنا بصرف الباقي يا دوب
مواصلات وسجاير.

• بغضب.

وفــاء: خمسميت إيه؟!! دانت كل يوم عزومات وعشا من بره وده يقولك هات ودي تقولك إديني

• نظرة خبيثة.

عمومًا .. أنت حر مع أهلك.

مشهد ٥

ليل / داخلي

بيت وفاء

▪ يوسف يجلس بجوار وفاء ممسكًا بيدها مبتسمين وتدخل عليهم نوال (حماته) حاملة صينية عليها أكواب الكاكاو.

يوسف: كمان الكاكاو بنفسك يا جميل.

نوال: عقبال ما نشربه في بيتك.

▪ ينظر لوفاء بحب.

يوسف: إن شاء الله يا نانا.

نوال: خلي بالك ميعاد الجمعية بكره.

يوسف: بكره بالليل تكون عندك.. ما تقلقيش.

▪ تخرج.

نوال: طب شد حيلك بقى أنا رايحة أشوف الغسيل.

▪ تلتصق به هامسة في شوق.

وفاء: وحشتني أوي.

▪ ناظرًا خارج الغرفة بحذر.

يوسف: استني نوال تشوفنا.

▪ تبتعد في دلال واقفة.

وفاء: خلاص أنت الخسران.

▪ يحتضنها من الخلف ويهمس في أذنها

يوسف: بقولك إيه أنا إجازة بكرة البيت هيبقى فاضي الصبح أستناك بدري؟

بلذة لملامسته.

وفاء: خلاص أشوفك الصبح بدري.

▪ يديرها في قوة ويلامس وجهها بشفتيه.

يوسف: ابقي ابقي البسي القميص الأسود.

▪ هائمة.

وفاء: حاضر.

▪ تقولها وتقبله هي في شهوة.

▪ ضاحكًا.

يوسف: بقينا بنعرف نبوس أهو.

▪ تضربه في كتفه بدلال.

وفاء: تعليمك يا أستاذ.

▪ يرن هاتفه فيجيب على الفور بعد نظرة إلى الشاشة.

يوسف: ألو.

ص عاصم أيوه يا جو ممكن أشوفك .. فاضي؟

▪ تتغير ملامح وفاء إلى الضيق.

يوسف: عاصم باشا تؤمرني نتقابل في كوستا داون

تاون إيه رأيك؟

ص عاصم خلاص ساعة وأقابلك هناك.

▪ يغلق الخط.

يوسف: اتفقنا .. سلام.

▪ مصطنعة الغضب في رقة أنثوية.

وفاء: طبعًا هتقولي عميل مهم ولازم أنزل.

▪ يغمز بعينه.

يوسف: خلاص بقى مانا هأشوفك بكرة..

▪ يصيح بها ناظرًا خارج الغرفة.

عايزة حاجة يا نانا؟

ص نوال: تسلم يا حبيبي.

▪ همسًا.

يوسف: حبيبي بكرة بدري القميص الأسود .. ها؟

مشهد ٦

ليل / داخلي

كوستا كافيه

كارفور داون تاون

عاصم: تمام جاي في ميعادك تمام.

• يوسف يجلس إلى مائدة عاصم (في الأربعينيات) وأمامه قدح قهوة.

يوسف: تؤمرني.

عاصم: تشرب إيه؟

يوسف: ولا أي حاجة خير يا عاصم باشا.

عاصم: أبدًا يا چو أنا قلت تيجي تقعد معايا القعدة الحلوة دي كل حاجة حلوة بفلوس يا يوسف بس يا خسارة مش كل الناس بتعرف تجيب فلوس .. ولا إيه؟

• بتردد.

يوسف: يا ريت ندخل في الموضوع.

• مبتسمًا.

عاصم حاضر اسمعني كويس لمصلحتك .. ومصلحتي.

مشهد ٧

ليل / داخلي

غرفة نوم يوسف

"جوار الفراش مكتبة مرتبة بعناية"

▪ يوسف يجلس على الفراش وأمامه اللاب توب يبدو شاردًا للغايه ويشعل سيجارة.

ص[٧] الفلوس يا يوسف

عاصم: الفلوس هي حياتك بكل ما فيها الفلوس هي لبسك الشيك عربيتك الفخمة الفلوس هي مستقبلك ومستقبل أهلك هي ركوع كل الناس تحت رجلك.

▪ يستلقي على الفراش حالمًا.

يوسف: وماله.

[٧] صوت خارجي = voice over

مشهد ٨

نهار / داخلي

غرفة نوم يوسف

- وفاء في أحضان يوسف وهي ترتدي قميص نوم أسود قصير ويكشف عن صدرها.
- وفاء في قمة اللذة.
- يوسف ونظرة اشتهاء.
- لقطات ناعمة لما يحدث بينهما من قبلات وتلامس ويحتضنا بعضهما في قوة وشوق.
- يتوقفان تدريجيًا إثر إفراغ ما بداخلهما ويهمدان فيريح راسها على صدره العاري
- يشعل سيجارة ببطء.
- يقبل يدها.

يوسف: بحبك.

▪ تمشي بإصبعها على شفتيه.	**وفاء:**	بأموت فيك يوسف عايزه أقولك حاجة.
▪ بخجل.	**يوسف:**	قولي يا حبيبتي.
	وفاء:	أنت ليه دايمًا قصدي يعني .. خلاص خلاص.
	يوسف:	قولي يا وفاء في أيه يا حبيبتي؟
▪ بحياء.	**وفاء:**	يعني ليه دايمًا مش بتخليها علاقة كاملة إحنا مش هانتجوز خلاص...
▪ ضاحكًا.	**يوسف:**	أولًا: انا عايز أسيب فرحة الدخلة ليومها. **ثانيًا:** أنا خايف عليكِ إفرضي يعني جرالي حاجة قبل ما...
▪ تضع إصبعها على فمه لتمنعه من الاسترسال.	**وفاء:**	إوعى تكمل أنت عارف كويس إنك أول راجل يلمسني وأنت اللي علمتني كل حاجة بس أنا بقيت محتاجة ده معاك أنت،

وعمري ما هأحس إنى
ست مع أي راجل تاني
غيرك
وإياك تقول يجرالك
حاجة دي تاني، فاهم؟!!

• تلكزه في صدره.

• يضحك ويحتضنها بقوة.

يوسف: حاضر يا حبيبي.

الأحد ٢٨ فبراير:

لم أعد ملتزمًا في الكتابة لانشغالي بالعمل وكتابة السيناريو الجديد.. لا جديد تحت الشمس أو بالأحرى خلف القضبان.

***

دماء دماء دائمًا أنتفض قرب الفجر من فرشتي ويداي ملوثتان بالدماء دماء كل من ظلمني أدرك أنها كوابيسي اليومية المعتادة وأحيانًا أغمغم ببضع كلمات قبل استيقاظي لا يتبينها أحد ولا حتى أنا أتنهد بصوتٍ عالٍ، أشعل سيجارة في الظلام أقرر أن أدعو الله فأجدني أتراجع يائسًا من الإجابة أنام من جديد ورأسي يسحقه الصداع.

***

هل لدى أحد بعض أقراص البنادول من فضلكم إن رأسي يوشك على الانفجار.

الثلاثاء ٢ مارس:

بالأمس تم تخزيني عدت إلى غرفتي القديمة بلا سبب، أو ربما كان الضابط المسؤول أو أنا أو رزق .. ورزق هو المسير الأول والأقدم هنا محام مسجون على ذمة قضية مخدرات ولقد أقسم لي أنه ليس السبب.. فهمت أن حادثة الجمعة إياها هي السبب.

ظلم آخر دون جريرة عمومًا كل هذا يربي الشر الكامن بداخلي أصبح ينميه ويرعاه حتى أصبح يافعًا، ينتظر لحظة الانطلاق ينتظر اللحظة التي سينغرس فيها خنجري في قلب خطيبتي السابقة وأمها ومحاميها ومحاميّ أنا أيضًا، وكل من سوّلت له نفسه أن يظلمني أو يعترض .. بالضبط كما أرى في كوابيسي يوميًّا.

***

أجلس في التريب حالتي النفسية؟ لم تعد هناك نفسية لم يعد هنالك إنسان أصلًا، تحولت إلى آلة أهدافها الرئيسية ثلاث:

١ – مقاطعة الأنثى.

٢ – الانتقام.

٣ – جنسية أخرى.

هذا ما أريده ولن يمنعني أحد، أما عن علاقتي بربي فلن أتكلم لو تكلمت لنطقت كفرًا أتمنى الصراخ، البكاء .. ولكن المشاعر انسحقت مع آدميتي .. أنا مجرد آلة بلا مشاعر ولا قلب ولا حياة.

صبرًا صبرًا الحكومة بحكم سجني جعلتني فاقدًا للأهلية ولن أنفذ إلا ما قالت سأتصرف بالضبط كأي إنسان -اسمًا فقط- اعتبرته دولته أسفل طبقة في مجتمعها إلى أن أغير جنسيتي أنا فقط سأتبع التصنيف الذي وضعه مجتمعي.

***

عصر اليوم بداخلي بركان ثائر ينتظر فقط من ينفجر فيه الدمار والقتل والظلم ها هي مفردات عالمي الجديد تتشكل وتتخذ لنفسها طولًا وعرضًا وارتفاعًا .. رأسًا وذيلًا.

***

الشر داخلي يترعرع، لم ينصرني القانون، وتركني ربي إذن دعه ينمو لأكون كما اختاروا لي أن أكون جعلوه فانجعل كما يقولون .. وداعًا للطيبة والثقافة و .. والتدين.

الأربعاء ٣ مارس:

بعد عودتي من المكتبة رؤية الكتب مصفوفة أنعشت روحي وذكرتني بمكتبتي ورحلاتي إلى معرض الكتاب وزادتني شقاء وتعبًا، أصبحت إنسانًا آخر بأمر ساقطتين ولم يرحمني ربي ونصرهما عليّ وعندما أخرج -إذا أخرجني- سأعيث في الأرض فسادًا بالضبط كما أرادوا لي أن أكون.

إن روحي نفسها تتغير والأيام لا تمر والشر يتفاقم داخلي وعندما يسود لن أصنفه شرًّا .. بل طبيعة حياة.

***

يومًا ما قال لي الصاوي:

- أنت عارف إحنا هنا عاملين زي إيه؟

قلت بغير اكتراث:

- إيه؟

قال وهو يرنو إلى أبعاد أخرى:

- زي اللي مقفول عليه قبر والدود بياكله وهو حي.

هنا غزت جسدي القشعريرة انتفضت براكين بداخلي قررت أن أسمي هذه اليوميات "عندما أكلني الدود حيًّا"

الخميس ٤ مارس:

لا أستطيع تقييم علاقتي بالصاوي ربما لو كنت قد قابلته مجددًا بالخارج لما زادت علاقتنا عن هز الرأس من بعيد ولكني هنا لا أستطيع تحمل مسؤوليته هو الآخر. أنا أساسًا مديون ولا يمكن أن أتحمل ديونًا أخرى من أجله نعم أعتبره أخي، ولكن لكل منا طاقته أكتب هذه الكلمات في التاسعة صباحًا قبل فتح الباب.

***

كنت في غرفة (١) تناولت إفطارًا وشربت شايًا وسيجارتين .. بمنطق الشحاذ، نعم .. مهما حاولت إقناع نفسي بأنها من أجل العشرة أو المعرفة أنا أراها في عيونهم واضحة جلية وقبل هذا رأيتها في نفسي .. لم أكن أعلم أن بداخلي نزعة ماسوشية.

لماذا عشت حياتي كلها منتظرًا ما يلقيه الآخرون حتى عندما كنت في درجة اجتماعية أعلى كنت دائمًا أتطلع لما هو أكثر هذا ليس عيبًا،

لماذا يضيع كل ما أبنيه لماذا تضيع أحلامي؟!! حتى مكتبتي التي ظللت أبنيها أكثر من عشرة أعوام تبخرت في ثانية أمامي وأنا أبيعها لأصرف على القضية تبخرت معها أحلامي وقيمي في حين أن نفس الأحلام تركع تحت أقدام آخرين لا يستحقونها.

هل هذا عدل أيها العدل؟

هل هذا حق حقًّا يا حق؟

وتبًّا لها من حياة وتبًّا لي من آخرة فأين أنا؟ ولمَ تجرعت الظلم، ولمَ تلاشى كل ما حققته وسحقني تحته؟ عجبًا لأمر ربي ترى هل يستجيب؟ إنني أقترب من الكفر.. ليس بالشرك ولكن

***

على مر سنوات عمري حاربت كي أصبح مثقفًا ذكيًّا ومن أرباب القلم.. ولكن هنا في السجن انقلب الهرم كل هذه المفردات عار على صاحبها فما استطعت إيجاد نفسي وما قدروها خارج تلك الأسوار اللعينة، وما بين هذا وذاك انسحقت أنا ألا تبًّا وألف تب.

***

قبيل المغرب انطلق صوت مصطفى ليس ثائرًا كعادته ولكن جاء ترتيلًا صحيحًا لكلام الله "القرآن الكريم" صوته جذاب ورائع وبتجويد سليم، لما تعجبت قال لي الصاوي:

- على فكرة .. مصطفى أزهري.

فذُهلت.

الجمعة ٥ مارس:

المغرب وبعد حمام بارد ومنعش، كنت نائمًا بعد صلاة الجمعة، وانبعث من التلفاز صوت فيلم (ظرف طارئ) لأحمد حلمي الذي أعشقه ولكني تمنعت عن رؤيته لكي لا أرى المشاهد التي تذكرني بحياتي الملكية وشركة (..) التي كنت أعمل بها، بجواري رواية فلسفية (بابا سارتر) لـ "علي بدر الكاتب العراقي، وهي تناقش الفلسفة الوجودية التي انبعثت من فرنسا، وصارت موضة العالم في الستينيات وكان مصدرها هو "جان بول سارتر

الشر لا زال يترعرع بداخلي متخفيًا وراء شخصية مثقفة ومهذبة ومنطوية تلك الشخصية التي كنتها وتخلت عني فتخليت عنها بدوري ولا زلت لا أصلي.

السبت ٦ مارس:

تعرفت "زكي حميد" في الأربعينيات من العمر وفلسطيني الجنسية لكنه مصري خالص رجل توسمت فيه عقلية تسويقية منمقة وهي نفسها التي يحتويها رأسي .. وبشكل ما ساهمت في إلقائنا هنا .. في السجن.

الأحد ٧ مارس:

استيقظت مبكرًا جدًّا اغتسلت وغيَّرت ملابسي وجلست -على فرشتي- أقرأ مجموعة قصصية مختارة من الأدب الإسباني واللاتيني بعنوان "وفي جيبه المطر"

بداخلي انبعث ضوء خافت لعلها شخصيتي التي انسلخت عنها تبدي رغبة في العودة، ولكن على استحياء وكما قلت آنفًا أشعر بأني عدة أشخاص متداخلة ومختلطة ما بين ضلوعي، وكلهم يجمعهم شعور واحد وحقيقة منفردة بذاتها ألا وهي أن تكون يومًا خلف القضبان، فسجني قد تعدى طور الانصهار ما بين المجتمع الجديد وبين قواعده لأنه هو الحقيقة الوحيدة هنا -كالموت- ولكن أشعر كأنه بصدد مرحلة أخطر وأعمق .. سجن الروح ذاتها، روحي انحصرت في إطار فكري وعدمي يتعدى مجرد فكر وهو الاعتراض على أمر خالقها مما يخلق زلزلة وتخبط

لا محدودين إنه شعور سرمدي اللهم أشرق روحي بنورك جل جلالك..

***

كنا خارج الغرف للتهوية كالعادة اليومية وفجأة انقلب كل شيء الشاويشية تخرج جارية إلينا، مخبرين يحملون هراوات ثقيلة لإدخالنا الغرف وبأقصى سرعة ووقف شاويش أمام البوابة التي تفصل ما بين التقفيصة والطرقة أو الممر الذي يصل بين الغرف وصاح:

- كل واحد على أوضته يا ولاد المرة المتـ... منك له.

رددت عليه بصوت مسموع ولكن لا يصل إليه:

- والله ما حد ابن متـ.. إلا أنت.

وعندما قُذفنا قذفًا داخل الغرف صاح عباس:

عرفتوا بقه يا جدعان إننا عاملين زي الفراخ اللي على سطوح بيتنا، ندخل ونخرج بمزاجهم.

كان هذا تعليق عباس على ما حدث وهي عبارة بليغة جدًّا تخلو من التذويق ومفادها أننا تجردنا من آدميتنا بل انسحقت ودمرت تدميرًا.

ولكن بعد هذا الموقف لا زالت داخلي التأثيرات التي تركها ذلك البريق وهو أعلى وأعظم من أسوار السجن اللعينة هذه.

الاثنين ٨ مارس:

منذ عودتي إلى غرفتي القديمة وتخزيني وجدت نفسي أخلد إلى النوم مبكرًا جدًّا وكما قلت من قبل الغرفة تنقسم إلى قسمين: (المراية والصف) والنوم في الصف له خصائصه.

فمن كثرة تكدس الأجساد فيه لا بُدَّ من عكس وضعية النوم بالترتيب فأول الصف رأسه إلى الحائط والذي يليه رأسه إلى الطرقة، وهكذا وبما أن الطرقة ضيقة جدًّا أو غير موجودة إذن فإن من يضع رأسه تجاه الطرقة فهو يضعها تحت أقدام الآخرين.

والصاوي ينام بجواري وكان عليّ أن أريحه فجعلت رأسه إلى الحائط بناء على طلبه ورأسي أنا عكسه.

بعد عشر دقائق من مرور الزملاء وتنقيط مياه الخارجين من الحمام انتفضت لاعنًا دين السجن والحبس والظلم برغمي لعنت وأشعلت سيجارة حانقًا وطلب مني الصاوي أن أترك له نفسين.

***

الصاوي مريض نفسي تأكدت من هذا أمس وبرغم ما تجاوزت عنه من لمحات تشير إلى هذا إلا أن خبر علاجه في مصحة نفسية خلال فترة سابقة أزعجني وقطع الشك باليقين في انتظار دوري لأجن وأصبح (أنا آخر).

***

بعد دخولنا إلى الغرف (التمام) جلست لأكتب لا أعرف كيف ستمر المدة المتبقية ولا أعرف كيف سأتحملها يا رب الكون ألا كفاك عذابًا ألا كفاك أين رحمتك إن لم ترحمني فاقضبني إليك لقد مللت وتعذبت وهنيئًا للعاهرتين بحريتهما أهذا عدل؟!

الثلاثاء ٩ مارس:

اليوم ليس لدي كلمات لأكتبها.

الخميس ١١ مارس:

الثامنة صباحًا قبل فتح الباب بساعة بالأمس تملكتني عصبية غير عادية للفوز الأهلاوي على المصري، وقد لاحظ الجميع ذلك مما

معلهم يتندرون على عصبيتي تلك واليوم إن شاء الله يلعب الزمالك فريقي أنتظره بشدة.

انتويت إكمال السيناريو الذي غبت عنه لفترة وكان تعرفي على عماد الصحفي دافعًا لا زال بداخلي المشاعر ذاتها ولا جديد خلف القضبان.

مشهد ٩

ليل / داخلي

صالة بيت يوسف

▪ تجلس الأم وياسين ويدخل يوسف آتيًا من غرفته وقد استيقظ لتوه.

يوسف: سلام عليكم.

الأم: وعليكم اقعد عايزاك.

▪ يجلس بملل.

يوسف: خير؟

الأم: هو أنا يا بني عدوتك مالك مش طايقنا كده؟!

ياسين: ما تتعدل يا بني أنت في كلامك مع أمك.

يوسف: ممكن تخلصونا بقى.

▪ يناوله إصبع روج فينتزعه يوسف من يده.

ياسين: طب خد يا روميو ده بتاع وفاء أمك لاقته جنبك وأنت نايم.

▪ بعصبية.

الأم: اوعى البت دي تيجي وأنا مش في البيت.

▪ بلا مبالاة.	يوسف:	البت دي كلها شهر وتبقى مراتي.
	الأم:	شهر ولا حتى ساعة. أنا قلت اللي عندي، ولو مش عاجبك كلامي روح يا شملول عيش مع حماتك هناك.
▪ يوسف يتركهم ويذهب لولا يد ياسين تستوقفه.	ياسين:	جرالك إيه يا بني دانت حتى الصلاة سيبتها من يوم ما اشتغلت وخطبت وأنت متنطط علينا.
	يوسف:	والله بقى شغلي وصلته بمجهودي، ومحدش ساعدني في جوازتي وكمان بأصرف على البيت ده.
▪ في سرعة وحسم.	الأم:	غصب عنك تصرف على البيت ده لأنه خيره عليك لحد ما بقيت شحط أهو.

ياسين: وياريت بقى يا كازانوفا تبقى تخليها تغير النوع ده من الروج عشان ده وحش بيطلع في البوس.

▪ يوسف والأم يضحكان برغمهما.

مشهد ١٠

نهار / خارجي

كوبري ستانلي

- يوسف يمشي الهوينى متأملًا شاردًا.
- ملامحه الوسيمة وهو ينفث دخان سيجارته.

ص وبعدين لسه بدري على ما
يوسف: أكمل مصاريف الجواز.
ص يوسف الجمعيات اللي أنا
نوال: دخلتك فيها يا دوب تجيب
أودة نوم وأنا بنتي بقالها سنة
ونص معاك مش معقول كده
اتصرف بسرعة.
ص الأم: يا بني واحدة واحدة واللي
ما يستحملش قلة حيلتك ما
ص يستاهلش خيرك.
ياسين: يا عم، احمد ربنا كنت، الأول
كاشير حقير بـ ٣٠٠ جنيه في
ص الشهر.
عمر: أنت عارف أنت بعدت عن

ربنا ليه .. عشان حاسس إنك خلاص مش محتاج لحد استغفر ربنا واحترم نفسك ممكن كل حاجة تتهد في ثانية.

▪ يرى شابًا صغيرًا يقود سيارة فاخرة فينظر له يوسف بغيظ.

▪ صائحًا.

يوسف: وهو ده يعني عمل إيه عشان يعيش العيشة دي.. تعب في إيه؟

▪ يخرج هاتفه من جيبه ويطلب رقمًا ما بعصبية "لحظات انتظار حتى يجيب الطرف الآخر

ألو يا عاصم باشا.

مشهد ١١

ليل / خارجي / داخلي

في سيارة عاصم

▪ عاصم.. ويجلس جواره يوسف.

عاصم: اللي طالبه منك سهل وبسيط أوي البنك بتاعك بيدي قروض كبيرة بتطلع لناس VIP وطبعًا بتطلع من غير ضمانات مقابل عمولة الصفقات دي ليها ورق طبعًا.

يوسف: أيوه بس الملفات دي في مكتب المدير أجيبهالك إزاي؟

عاصم: ماسألتش نفسك أنا ليه اخترتك أنت بالذات بما أنك الوحيد اللي لسه ما إتثبتّش ف

▪ مقاطعًا

يوسف: بأسهر لوحدي أخلص كل الشغل الإداري في البنك

ومرتبي مش مكفيني ومحتاج.

عاصم: بالظبط كده.

يوسف: أيوه بس أنا خايف حد يشوفني وأنا داخل مكتب المدير.

عاصم: مين اللي هايشوفك السيكيورتي؟ دول قاعدين بره طول الليل بيحششوا.. وبعدين أنا عايز نسخ منها بس.

يوسف: أيوه بس

عاصم: يابني العاصفة لما يتهب بتطير معاها الأشجار الكبيرة مش شوية نجيلة مزروعة في الطين واللي هاتخده برده هايجمد قلبك.. هاديك على كل مره تخدمني فيها قد مرتبك في سنة قلت إيه؟

- يوسف يصافحه على طريقة كفك وعاصم يتأفف. يوسف: ماشي ياعم الشجرة اتفقنا.

مشهد ١٢

ليل / داخلي

بيت وفاء

▪ نوال ووفاء وأم يوسف جلوس في غرفة الصالون.

الأم: بقى جايلكم عشان اللي شايفاه بيحصل ده غلط.

نوال: هو إيه بقى اللي غلط يا أم يوسف؟

الأم: الواد أنتوا مصربعينه على إيه مش فاهمة؟!

▪ بحدة.

وفاء: صربعة إيه ابنك بقاله سنة ونص داخل خارج علينا.

الأم: يا بنتي، عيب تكلميني كده وبعدين استعجالكم ده ممكن يخليه يداين أو يعمل حاجة غلط.

نوال: والله بقى محدش ضربه

على إيده، لو مش قد الجواز مكنش دخل بيوت الناس من الأول وأنا عندي استعداد من بكره أجوزها أحسن منه.

▪ رد فعل على وجه الأم.

وفـاء: تشربي شاي يا طانط؟

▪ بسخرية.

الأمـ: لا يا بنتي كتر خيرك.

▪ تخرج من المكان بحسرة ووفاء ونوال ينظران لبعضهما مبتسمتين في انتصار.

مشهد ١٣

ليل / داخلي

بيت يوسف

▪ الأم وياسين يجلسان في صالة الشقة، ويدخل يوسف من الباب مندفعًا بعد فتحه بالمفتاح.

▪ بغضب شديد.

يوسف: إيه اللي أنتِ عملتيه ده؟

▪ صارخة.

الأم: عملت إيه؟ مالك داخل بزعابيبك كده إيه يابني خلاص عملتهم أهل على أهلك؟

ياسين: أمك خايفه عليك.

يوسف: والله بقى أنا عارف مصلحتي كويس وأنا عارف بأعمل إيه.

ياسين: وهو أنت هاتلبي طلبات الهانم دي منين؟

يوسف: محدش له دعوة أنا هاتصرف.

ياسين: والله ما حد هيغرقك غير وفاء وأمها.

مشهد ١٤

ليل / خارجي

مقهى على البحر

▪ عاصم ويوسف جلوس على مائدة تطل على البحر.

▪ يسلمه مظروفًا.

يوسف: تمام كده يا باشا؟

▪ يراجع الأوراق التي أخرجها من المظروف ويسلمه بدوره مظروفًا أصغر به نقود.

عاصم: تمام يا جو ومتهيألي أنا كده برده تمام.

يوسف: كام دول يا باشا؟

عاصم: تلاتين ألفًا.

يوسف: بارك الله فيما رزق تشرب إيه بقى؟

عاصم: كافيه لاتيه.

▪ ناظرًا باتجاه النادل ويصيح.

يوسف: هات سحلب يا محمد..

▪ يضحك.

عاصم: حبيب قلبي.

مشهد ١٥
ليل / داخلي
بيت وفاء

▪ يوسف ونوال ووفاء جلوس في الأنتريه ومظروف النقود أمامهم على الترابيزة.

يوسف : بالعشرين ألف دول يبقى خلصنا من الجمعية خالص، كان فاضل ٨ أقساط ندفعهم مرة واحدة ونخلص.

▪ بضيق.

نوال : ماشي يا بني.

يوسف : أنتِ لسه زعلانة من ماما؟

نوال : أمك كانت بتكلمنا كأننا هاناكلك منها.

يوسف : هي متدايقه إن مرتبي كله رايح على الجمعية.

وفاء : جمعية إيه هو أنت دفعت غير قسطين منها وأساسًا اللي

هيتبقى مش هيكمل تمن أوضة نوم!!

نـوال : ولسه بقى هندخل في معمعة الإيجار المؤقت.

يوسـف : طب أعمل أيه بس أكتر من كده؟!!

نـوال : اسمع يا واد أنت مش عايز تخلص وتتجوز؟!

يوسـف : طبعًا.

▪ بلهفة. نـوال : خلاص اسمعوني انتوا الاتنين كويس أبو وفاء الله يرحمه كان في القوات المسلحة ودول بيصرفوا إعانة جواز كويسه لأبناء اللي كانوا معاهم لو قدمنا لهم قسيمة الجواز يبقى نكتب الكتاب والفلوس اللي تيجي ندخلكم بيها.

يوسـف : بجد يا نانا!!

▪ ناظرًا لوفاء. وفـاء : كملي يا ماما.

نـوال : بس فيه حاجة مهمة لازم

تاخد بالك منها.

يوسف	ها ..؟

نوال :	أنت لسه ما جبتش غير أوضة واحدة وأنت بقالك سنة ونص خاطب و...

يوسف	أيوه، ما غير الأوضة دي فيه الباقي من الفلوس واللي هيفضل معاكِ نجيب بيه الأنتريه ونخلي النوم آخر حاجة.

▪ مقاطعًا.

نوال :	ما هو برضو لسه أوضة النوم والتليفزيون والسخان غير بقى الشقة دي مصيبة لوحدها عشان هتبقى مؤقت وكمان هنكتب في قايمة بنتي أيه؟

يوسف :	اللي تشوفيه طبعًا.

نوال :	لا يا حبيبي أنت تمضي وصل أمانة على الأبيض ولما تخلص حاجتك خالص نكتب قايمة

▪ رد فعل على وجهه.

وتاخد وصلك.

يوسـف : وصل أمانة؟

▪ بدهشة.

تـوال : أنا هأديك بنتي وبعدين هتخاف من إيه دي هتبقى مراتك ولا أنت بقى مش ناوي تكملها حاجتها ده غير إننا هنرتاح من المشاكل اللي عاملاها أمك مع بنِي ونجوزكم ونخلص قلت إيه؟ ولا أنت مش شاري؟

وفـاء : إحنا أُصله يا يوسف.

▪ تمسك بيد يوسف

يوسـف : خلاص أمضي.

▪ باستسلام

مشهد ١٦

ليل / داخلي

غرفة نوم وفاء

▪ وفاء مستيقظة على فراشها وتدخل نوال حاملة صحفة عليها ساندوتشات وكوب لبن تضعها جوارها وتقبلها.

نــوال: حبيبتى لسه صاحيه ليه؟

وفــاء: عادي يا ماما.

نــوال: إيه رأيك في اللي حصل النهارده؟

وفــاء: يوسف بيحبنى أوي بس العقربة أمه دي اللي مش طايقاني.

نــوال: هو يوسف بس اللي بيحبك؟! يوسف وغيره!!

▪ رد فعل على وجهها.

وفــاء: يعني أيه؟

نــوال: أنتِ يا بت مش حاسه بنفسك ولا إيه فيه

مليون واحد يتمنى تراب
رجليكِ ماخدتيش بالك
في خطوبة نغم الشباب
كانوا هايتهبلوا عليكِ
إزاي؟!!

وفــاء: بجد يا ماما؟!

■ بسعادة.

نــوال: طبعًا يا عيون ماما دي
نغم بتقول فيه واحد
من قرايب العريس
اسمه باسم هيموت
عليكِ من يوم ما شافك
في الخطوبة بس إيه
على مستوى وعايزك
تسافري معاه أمريكا.

وفــاء: طب ويوسف
والوصل؟

نــوال: يابت، افهمى أنا كده
جبته هو وأمه تحت
ضرسي بأعملك كرامة
معاهم لحد ما نشوف

قريب عريس نغم ده يبقى سي يوسف وأهله مرميين تحت رجليكِ، يابت يابت لازم تفتحي كذا سكة وأنتِ بقى تتدلعي وتختاري هو مش يوسف مضى وخلصنا؟

▪ تتأود في وقفتها.

وفــاء: آه.

نــوال: يبقى عشان خاطرك يطلع عين أمه.

مشهد ١٧

نهار / خرجي

شوارع

- يوسف ماشيًا ويتحدث في هاتفه المحمول حاملًا حقيبة عمله على كتفه ويتوقف فجأه مركزًا بصره على سيارة BMW تمر بجواره في سرعة متوسطة.

- يوسف يلمح داخل السيارة وفاء بجوار شاب "باسم" تضحك معه وتتمايل عليه في دلال.

- يوسف يتسمر مكانه ولا يتحرك يكتفي بمتابعة السيارة بنظره فقط.

مشهد ١٨

نهار / خارجي

سجن برج العرب

▪ منظر عام لمدخل السجن ويبدو كئيبًا موحشًا.

▪ لافتة كبيرة واضحة.
(سجن الغربانيات "برج العرب").

مشهد ١٩

نهار / داخلي

السجن

▪ شاويش يمشي في ممر يصل بين غرف مرقمة من ١: ٩ وهناك البوابات الحديدية وأجواء السجن من شاويشية وسجناء تنظف الممر.

▪ أبواب الغرف المرقمة حتى تتوقف أمام الغرفه رقم ٥.

▪ الشاويش يفتحها والغرفة من الداخل مساحتها ٦م x ٤م ويتكوم فيها ما يقرب من ٣٠ رجلًا يتامون متجاورين محشورين بجوار بعضهم البعض في صفين متقابلين على فرش أرضية مكونة من البطاطين بحيث تلتقى

الأقدام ببعضها.

▪ بصعوبه نتبين يوسف يستيقظ من وسط الصف المجاور للباب.

▪ بصوت ناعس.	**يوسف:** الباب فتح؟
▪ وهو يلقي ليوسف بسيجارة.	**عباس:** أيوه صبّح يا زميلي.

الصاوي

كيف لمثلي أن يحكي عن نفسه؟!! ومن أين آتي بتفاصيل عالمي وإذ بها قد انحصرت في صندوق حديدي قذر تفوح رائحة البول وغازات البطون من أركانه كيف لي أن أرتكز على أرض صلبة ودنياي تهرول في الطرقات على عجلات، لم يخبرها أحد من قبل بمعنى الترفق بمن إبلعته في أحشائها أتخبط وأنحشر فأمد يدي كي أرتكن إلى الجدار الحديدي فقط كي أفطن إلى قيود معصمي التي بدورها مقيدة إلى معصم فريسة أخرى من فرائس الوحش الحديدي نتن الرائحة وكيف لك أن تعرف ممن هو مثلي شيئًا، مثلي حجب عنه رؤية الأشياء حجب عنه البصر فكيف بالبصيرة عذرًا فأنا لا أرى إلا عبر فجوة صغيرة بين قضيبين متوازين خلف شبكة حديدية لو استطاع الأشاوسة منع الهواء عنا ما ترددوا لحظة .. ولا زالت عربة الترحيل تمضي.

ربما تسلل خيط رفيع من شعاع الشمس ليلامس وجهي الملتصق بالكوة، فما يكاد يفعل حتى تتدافعني الأكتاف لتفوز هي به كأنهم يظنون -الحمقى- أن ينالوا به شيئًا من العالم الخارجي وما العالم الخارجي يا أغبياء إلا واحد من اثنتين إجبارة أو إدبارة قوم أجبرتهم الدنيا على المضي قدمًا إلى هنا أو القبر، وإدبارة عن شرفهم فتتضاءل

الأحجام لتطئها الأقدام   أقدام من في طريقهم إلينا وأقدام من أجبروهم علينا   في النهاية هي تحت النعال ولا مفر يا حمقى   لا مفر!!

كنت أعرف واحدًا يشبهني   واحدًا له اسمي وهيئتي، أحمد صابر الصاوي   اسمى وهيئتي؟   هل هذا ما يجعلني أستدل على كينونتي؟ هل مجموع العادات والانفعالات والحواس خاصتي هو ما اصطلح على تسميته أحمد الصاوي   كنه نفسي .. تلك مصيبتي

***

لو كنت قد رأيت الحاج صابر الصاوي متكئًا على كرسيه المفضل أمام متجره، ممسكًا بمبسم النارجيلة التركية الفخيمة والتي يعتز بها كثيرًا.. لو أمعنت النظر إلى وجنتيه المشربتين بالحمرة وأصابعه الدقيقة وجلده الناعم اللامع يبرز من أسفل الكمين لجلباب حريري تعلوه عباءة مذهبة الأطراف من الصوف الإنجليزي المعتبر لأقسمت على أن هذا الرجل من سلالة الأتراك وماضيهم الإقطاعي   لكنك لن تدرك أبدًا أن وراءه قصة كفاح وشقاء تجعله في نظر من يعرفها من أعتى الرجال وأشدهم طرًّا   بدأ حياته بعدما أنهى تعليمه بالحصول على شهادة متوسطة، ونزح إلى وكالة السيارات، عمل كصبي وتنقل بين المتاجر

والوكالات حتى استقر به المقام في كنف المعلم جودة، واحد من أكبر تجار قطع غيار السيارات في مصر شرب منه الصنعة، وأدرك سرها وسلك دهاليزها فشربها شربًا، بعد سنوات رجع إلى بلدته وكان من أوائل تجار قطع الغيار في المدينة التابع لها مركزه، كان قد تزوج ورزق ولدين من نجيبة زوجته التي كانت تنقية أمه رحمها الله نجيبة جاءت من عالم مفرداته: نعم، وحاضر، واللي تشوفه يا حاج غير متعلمة لكنها (ست بيت) محنكة، عندما تراها تقف في صحن الدار تصدر الأوامر هنا وهناك لنساء العائلة تبدو وكأنها جنرال يقود كتيبته ببراعة في معركة حربية كبر الأبناء والتحقوا بالجامعة وانتقلت الأسرة للعيش بالمدينة تيسيرًا على الأولاد (أحمد) و(أمجد) وكإضافة اجتماعية للحاج سيما وقد كبرت تجارته وتعددت متاجره إلا أنه احتفظ بالدار الذي يقبع في بلدته الصغيرة، ولم يفارق جلسته على الكرسي الخيرزان أمام متجره الأول والأصغر.. وش الخير كما يقول، وهذا بالرغم من وجود المكتب الأرابيسك المصنوع باحتراف ومزاج رائق من أسطى بريمو في الحسين تفرغ لمدة ثلاثة أشهر كاملة لصنع المكتب خصيصًا للحاج صابر، وُضع المكتب في واجهة المحل، وكان ملفتًا لنظر الزبائن والمعلمين أقرانه، بل ونظر المارة أمام المتجر إلا أن الحاج كان يفضل الكرسي الخيرزان والنارجيلة التي وضعت

أمامه بجوار منضدة صغيرة تحمل على سطحها دائمًا كوب القهوة المظبوط -بُنّ محوج- والتي يصر على أن تكون في كوب وليس في فنجان كما يشربها الأفندية عديمي الخبرة بالحياة.

كالقطار على قضيبيه مضت حياة أمجد -الأخ الأصغر- وكما أراد لها الحاج وأمسك بزمامها ووجهّها، تخرج أمجد في كلية التجارة، والتحق بالعمل يده بيد والده وقد اجتهد حتى أنه أصبح يحل محل الحاج في بعض الأوقات وكافأه الحاج صابر بأن زوجه تزوج أمجد من ابنة خالته، وبنى له الحاج شقة على مساحة دور كامل في عمارته بالمدينة، كان قد فقد الأمل في السيطرة على أحمد وتوجيهه، رمى طوبته كما يقولون، هذا الولد زرع شيطاني ولا حول ولا قوة إلا بالله تخرج في كلية الآداب قسم فلسفة بعد جهد جهيد وقضاء سبع سنوات في الجامعة، حاول معه أن يجعله مقيمًا على متاجره ولكن هيهات، لم يكن يرى في الدنيا سوى العربدة وزهق المال والعلاقات مع البنات الرقيعات معدومي الأهل كان الحاج حازمًا فأضاق الخناق وأصبح يقطر له الأموال تقطيرًا، لكن أحمد كان يعرف كيف يستغل عاطفة أمه نحوه ويعوض ما يقتطعه الحاج، سلم أمره لله في ابنه البكر واستغفر، وحمد على الابن الأصغر، ولكن الحياة لا تمضي أبدًا كما أردت لها جاءت الطامة الكبرى بسرقة

الخزنة الصغيرة في حجرة نومه ولم يتطلب الأمر تفكيرًا كي يعرف الفاعل.. ولكن ما الداعي لكل هذا   ليكونن له حساب عسير مع هذا الابن الملعون.. أرغي وأزبد وطفق ينتظر أن يأتيه أمجد بأية أخبار جديدة تتفتق عن بحثه، ونزل عليه الخبر كالصاعقة   أحمد مصاب في حادث طريق، انقلبت به سيارة صديقه على الطريق السريع وقد تبين من التحاليل الطبية أن دمه يحمل أثر المخدرات هو وزميله   أحمد كان يحمل في دمه (الماكستون فورت).

***

تكبد الحاج الكثير من العناء والأموال كي (يلم الموضوع) وحتى لا تفوح منه رائحة، كانت الصدمة قد أفقدته بعضًا من توازنه ولم يعد يعي ما عليه أن يفعله. فاقترح أمجد إدخال أخيه أحد المصحات الخاصة والتي تعد بالسرية والكتمان، لكن عليه أن يغدق بالكثير من أجل علاج ابنه وكتمان أمره   الدكتور يوسف يبدو متمكنًا، له نظرة رجل يفعل ولا يتكلم، رجل بنى إمبراطوريته الصغيرة -المصحة- بصرامة   وجهه الأحمر وعيناه الخضراوان الواسعتان وجبهته العريضة، والخيوط الفضية التي خطت شعره يخبرونك بأن هذا الرجل لا يستحب المزاح معه، وأنه سيكون ذا يد حديدية على مرضاه، فلا تتسلل إليهم جرعات من (الهباب

إياه) مقابل رشوة باستثناء الجرعات التي تتطلبها فترة العلاج طبعًا والتي ستكون تحت إشرافه.

الماكستون فورت عقار يتم تحضيره وتصنيعه في المعامل من عدة مواد أشهرها مادة أملاح الأفدرين[٨]، يصنع على هيئة سائل أصفر اللون بدرجاته المتفاوتة يترك آثارًا مدمرة على من يتعاطاه، وله علامات لا تخطئها عين، في البدء يتسبب في فقدان الشهيه للطعام بدرجة عالية، وغالبًا ما تكون رائحة فم مدمنه كريهة لا تطاق، ثم تدريجيًا يميل بشكل كبير إلى اليقظة وعدم الرغبة في النوم، وترتفع معدلات التدخين إلى أرقام فلكية من علب التبغ أو ما يشابه ذلك، ثم يتمكن من جهاز المناعة ويحدث به نقصًا حادًا، ومن ثم يختل أداء الجهاز العصبي بشكل ملحوظ.. هذا بالنسبة للأعراض الجسدية، غير أن للعقار تأثيرات نفسية حادة، وحتى بعد الإقلاع عنه يصاب من كان يتعاطاه بنوبة اكتئاب شديدة يمكن أن تصل به إلى التفكير الجدي في الانتحار.

لأكثر من عام ظل أحمد يعالج عام هو الأشد وطئًا في حياته جلسات العلاج النفسي كانت ترهقه أكثر من أي شيء، نوبات الهياج حينما كانت تجتاحه يكون مدركًا تمامًا لما يفعل ولكنه لا يستطيع أن

---

[٨] منبه للجهاز العصبي ويستخدم في صنع المنشطات.

يوقف نفسه سباب وضرب وشتائم وتعدي على الأطباء، ثم يرتمي جسده على الأرض ويبدأ في التشنجات العصبية التي غالبًا ما تنتهي بأن يبول على نفسه، تكررت طوال العام لدرجة أنهم قد أخضعوه رغمًا على العلاج بجلسات الكهرباء في البدء كانت الزيارات من أمه وأخيه، وقد علم أن أباه قد أقسم ألا يأتي لزيارته، وأنه غاضب منه أشد الغضب، لكن أمه كانت تلح عليه في أن أباه يحبه وأن غضبه هذا من أجله وإلا كان تركه لسكة الضياع، لولا الحاج لكانوا وجدوه ميتًا على قارعة الطريق ككلب عقور ثم بدأت الأم تأتي بمفردها وقد أنبأت ملامحها عن الهم والحزن، ولكنها لم تجب أبدًا عن تساؤلاته.

كانت الأيام تحمل في طياتها للعائلة ما هو أسوأ أزمة قلبية شديدة أصيب بها الحاج، رقد على إثرها لأكثر من شهرين وتدهورت حالته النفسية بسبب ما يحدث لابنه البكر، ثم جاءت المصيبة الكبرى لتصيبه بشلل نصفي أقعده لستة أشهر قبل أن يسلم روحه إلى خالقها جاءت خسارته لأمواله ومتاجره لتقضي على ما تبقى منه السوق غلاب كما يقولون، كان الحاج قد انصرف عن تجارته ولم يعد يولها اهتمامًا بسبب الأحداث المؤسفة من ثم تعرض لخسائر متلاحقة ولكنه حين استدرك الأمر كان قد فاته الكثير.. فجمع ما تبقى ليضعه في صفقة واحدة ضخمة

علها تعوض ما فات واستدان في بقية ثمنها، إلا أنها احترقت عن آخرها في المخازن، وتكاثرت الأقاويل عن عزام عزام درويش التايكون الجديد الذي لم يكن له منافس سوى الحاج صابر بعدما اشترى جميع معلمين السوق وجمعهم تحت لواءه ولم يأبَ سوى صابر يقولون أيضًا إن عزامًا له علاقات وثيقة برجال الحزب الحاكم، فكانوا له ظهرًا من فولاذ لا يقهر .. من شهد اليوم الأخير في حياة الحاج صابر لا ينسى مشهد وفاته أبدًا كان قد طلب أن يجلسوه على كرسيه الخيرزان المحبب وجاءوا له بالنارجيلة وكوب القهوة، لكنه لم يمسهم وهبطت رأسه ببطء لتتدلى على صدره ويسلم روحه ومن خلفه يرى الناظر إلى داخل المتجر المكتب الأرابيسك لا زال قابعًا .. لكنه هذه المرة مغبرًا.

أسفرت التحقيقات عن أن السبب في الحريق كان بسبب ماس كهربائي، وقيد الحادث قضاء وقدر انحدر الحال بالعائلة وتم بيع المتاجر كلها والبناية السكنية لسداد مديونية البضاعة المحترقة، عادوا إلى دار البلدة الصغيرة وأصر أمجد على الاحتفاظ بالكرسي الخيرزان والمكتب لم يتبق سوى مبلغ يتعدى المائتي ألف جنيه مصري بقليل، قرر أمجد أن يبدأ به من جديد ولكنه هذه المرة سيحمل على كاهله مسؤولية أسرته وأهله .. ولم يكن أحمد على علم بكل هذا حين خرج من المصحة.

***

خرجت من المصحة لأجد الخراب قد عم، انزويت في حجرتي القديمة والتي لم يبقَ لي سواها، كنت أمضي الأيام في غرفتي منعزلًا ولا أكلم أحدًا.. حوصرت بنظرات الآخرين المتهمة، كنت أرى في عيونهم تهمتي جاهزة كنت أرى المقت والكراهية حاجزًا بيني وبين أهلي، حتى زينب زوجة أخي كانت عيونها تنطق بها مدوية أنت السبب، لم أطق أن أوجد بينهم وهم كانوا يتحاشوني كشيطان زنيم جاء من أسفل دركات الجحيم من سقر، هذا الجحيم هو ما صنعتموه بي الجحيم هو أنتم يا من كنتم مني الجحيم هو الآخرون كما قال سارتر.

ماذا تعلمون أنتم عن فلسفة الحياة؟ ماذا تعلمون عن (فيثاغورس) و(سقراط) و(سارتر) و(أفلاطون) و(شوبنهاور) و(نيتشه) و(ألبير كامو) أردت أن أكون أنا أحمد الصاوي، وليس ابن الحاج الثري أو أخا أمجد زينة شباب العائلة، أمجد الذي أخضعوا له دلالهم وتقديرهم وثناءهم كنت أراها في عيون أبي وأمي واضحة جلية "ليتنا ما أنجبنا سوى أمجد"، أمجد فعل كذا فتعلم أمجد تفوق في دراسته فكن مثله، أمجد مثال للابن البار ويا ليتك كنت ربعه، أمجد أمجد أمجد، لا أريد أن أكونه.. لا أريد أن أسمع دعاءكم لي بأن يهديني الله مثل أمجد، وحينما كنت أعترض لم أكن أسمع سوى مصمصة شفاة أمي المتحسرة وتبويخ

أبي، يا ناس يا عالم يا بشر أنا اخترت وأردت أن أكون نفسي لا أمجد أردت أن أحيا فلسفتي الخاصة لكن رغبات أبي كانت دائمًا وأبدًا تضع العوائق في طريقي كان يريد أن يصنع مني نموذجًا لقاعدة (جعلوه فانجعل) الشهيرة، كان يريد أن أحيا كالآخرين غير عالم أني دائمًا وأبدًا لن أسلم بأن أكون واحدًا من القطيع، أبيت وتمردت وصنعت لنفسي عالمي الخاص علاقاتي وأصدقائي وكتبي ومنهجي كنت أؤمن بأن الخطايا هي السبيل الأمثل لبلوغ الإنسان كماله، فما الذي يكتسبه إنسان لم يجرب شيئًا ولم يخطئ، أين المعرفة أين الخبرة الحياتية الإنسان هو سيد مصيره، وما القدر إلا نتائج لاختياراته، ولقد اخترت أن أكون نفسي لا أكثر، أحب ما أحبه وأكره ما أكرهه، أتنفس هواء أماكن اخترت أن أكون فيها أضاجع نساء اشتهوني واشتهيتهم وما الضير إن كنا نتمتع ببعضنا البعض يطوينا فراش واحد بعيدًا عن العيون اللزجة شربت خمرًا لأجرب تدفق الدماء الحارة في عروقي لتجعل مني مقدامًا لا يوقفني شيء استهوتني فكرة أن أحيا خبرات في عوالم أخرى لم أجربها من قبل، ولمَ لا وقد كان الكاتب العظيم (إدجار ألان بو) لا يكتب إلا بعد جرعة أفيون محترمة، دخنت الحشيش لكني أبيت أن أنحدر إلى مستوى البانجو، وظللت بحاجة إلى بوابة أكبر لذلك العالم الساحر.. عالم أتغيب فيه لأرى الحقيقة متجلية أدرك كنه نفسي فأعرف كم أنا عظيم أمتلك

حياتي وأصنعها بيدي كلمات وكلمات نساء خمر مخدرات، كتب وإبداع وفلاسفة عرفوا سر الوجود كل هذا ينتظرني أريد أن أرتحل له تاركًا كل هذا الجهل والغباء، أهرب من وجوه كالحة وكلّابات تطبق على المجتمع يدعونها عادات وتقاليد عيب وحرام، حتى جاء اليوم الذي عثرت فيه على المفتاح السحري لبوابتي.

ثلاثة سنتيمترات من السائل الأصفر الرقراق و آآآآآآه، يا للنشوة التي تبعثها في حين تحقن في أوردتي، بعد هذا يأتي شحذ حواسي كالقط الحذر أستطيع أن أرقب الذرات تتطاير في الهواء على الضوء المنبعث من طرف سيجارتي، العرق البارد يغمر جسدي أنفتح على عوالم أخرى فتأخذ ضربات قلبي في التزايد، حينها يبدو أبي وعالمه متضائلًا جدًّا أو غير موجود، يبدو باهتًا كحلم متداخل لن تتذكره حين تصحو يثقل إحساسي بذاتي وأهميتي أشعر أني فوق العالم والزمن فوق البشر.. كنت أنتشي وأبحر في عوالمي حتى جاء يوم الحادثة لأقضي بعدها عامًا من أظلم أعوامي وأقساها، انتزعوني من فلسفتي انتزاعًا، لم يعد لحياتي معنى حتى أني كدت أنهيها بيدي لولا أمجد -ذلك المتطفل- الذي كان يرقبني بصرامة ذات يوم صارحته بأني لم أعد أطيقهم ولم أكن أحب حياتي معهم يومًا ما، أردت أن أستقل وأبدأ حياتي وحيدًا، أخذت منه

مبلغًا من المال وارتحلت إلى المدينة من جديد، قمت باستئجار شقة وافتتحت محلا صغيرًا لخدمات المحمول، صنعت منه مضخة علاقات أنثوية على كل شكل ولون، لم تنجُ إحداهن من شباكي حتى زوجة صاحب البيت الملتزمة والتي لم تكن ترتدي سوى الإسدال ظللت أتابعها وأحاصرها، أقترب تارة، وأتجرأ تارة أخرى حين كنت أرى في عينيها أنها لا تمانع ولما تعرت أمامي اكتسحتها، أكلت منها وشربت حتى أنها ارتمت عارية تلهث من عنف ما كان:

- دنيتكم بالظبط زي جسمك لازم تتعرى من التابوهات وبعدها تأكليها أو تأكلك.

- مش فا .. هاه مة.

- مش مهم أنتِ تفهمي.

وجذبتها من شعرها لأواصل التهامها أيها الراسبوتين العظيم أنا هنا.

ما الذي يجعل واحدة مثل هذه تسلم لأحضاني؟ أليس هذا هو العيب والحرام بعينه؟ الحقيقة يا حمقى أنكم تضحكون على أنفسكم، وأنكم أول الخطائين إذا سنحت لكم الفرصة. ما الذي سيفعله رجال

الدين وأصحاب المبدأ إذا وضعت امرأة جميلة عارية أو حفنة أموال حرام طوع بنانهم وضمنت لهم أن لا يعرف أحد بما سيفعلون؟ ما الذي ستراه في الناس إذا كشف كل منهم عن رغباته الحقيقية؟ .. هذه فلسفتي ولكن تبًا كنت محكومًا بقواعد صنعها البشر، أنا بحاجة إلى الأموال بحاجة إلى التواجد لو ترك الأمر لي لما منعت أحدًا من فعل ما يحبه دون مقابل ومهما كانت رغباته، ولكني مقيد ومكبل بما ومن حولي دخلت في معاملات تجارية حتى يكبر مشروعي الصغير، عشرات التوقيعات على إيصالات الأمانة والشيكات البنكية التزامات كان يجب علي أن أوفي بها ولكن هيهات، إن من مثلي يبدد ما بيده قبل أن يسأل نفسه عن العواقب تطورت الأحداث سريعًا ووجدت نفسي محبوسًا وبدأ فصل جديد من حياتي مع عربات التراحيل.

احتوى ملفي على شهادة علاجي النفسي والتي قدمها أمجد علها تخفف عني أو تحول محبسي إلى مصحة حكومية، فما كان إلا أن قاموا بترحيلي أكثر من سبع مرات إلى سجن برج العرب وفي كل مرة يرفض ضابط المباحث استلامي، فيعودون بي إلى زنزانة القسم من جديد مقبرة نتنة هي الزنزانة، وهذا الوصف دقيق إلى أبعد حد وفي كل مرة يقومون بترحيلي فيها يتم إيقاظي في السابعة صباحًا لألملم فرشتي

ويخرجوني إلى ساحة القسم ويجلسوني ومن معي على الأرض حتى تجيء العربة صرت أحفظ تفاصيل العربات من الداخل كم شرخ في هذه، شكل الشبكة الحديدية والقضبان في تلك، بل إن لكل عربة رائحتها ودرجتها من النتانة أستطيع أن أميزها من خلالها حتى المطبات صرت أحفظ عددها وأعرف في أي شارع نحن برغم صعوبة هذا من الداخل، كنت قد تغيرت نحل جسدي كثيرًا وزحف الصلع على مقدمة رأسي، جحظت عيناي واصفر جلدي ملاحظات كانت تقولها أمي باكية حين كانت تراني في الزيارة بصحبة أمجد الذي يخبرني بأن ديوني وصلت حدًّا مفزعًا لا يستطيع حياله شيئًا يسألني فيم بددت كل هذا فلا أرد يلح في سؤاله كثيرًا فأجيب:

- متخافش مارجعتش للماكس تاني.

***

ياللعجب!! عالمي الجديد الذي أصبحت أسيره هو عربات التراحيل، عالم تقشعر الأبدان من رؤياه فتتقلص الملامح وتسري الرجفة في أجساد من يلمح العربة في الطريق:

- اللهم احفظنا.

نظرات الناس الكالحة ذعرهم اشمئزازهم وهم يروني مقيدًا بالكلابش يقتادوني إلى داخلها أو منها إلى قسم أو سجن، وجوه من أقابل داخلها، ودائمًا ما يكون أكرههم إليّ هو من قيد معي في كلابش واحد أرتمي على أرضيتها التي وطئتها أقدام عفنة أو تبول عليها حثالة المجتمع، أتأمل الشروخ على جدرانها، تمامًا مثل الشروخ التي تركها السجن في روحي، تبدأ الرحلة واحدة من الرحلات التي يرفضون فيها استقبالي في أقذر عالم يمكن تخيله الطريق المعهود محطة القطار يقتادوننا كالأغنام إلى رصيف المحطة في انتظار قطار المساجين تحولي إلى فرجة.. زنزانة قسم الخليفة ومنه إلى السجن أحصل على الرفض بسبب ما كان من علاج نفسي وتقرير حالات الهياج العودة إلى مقبرة القسم العفنة.

في الطريق من الخليفة إلى السجن أرتمي على أرض العربة وأنتظر.. نصف ساعة ثم يدور المفتاح في قفل الباب ونسمع صوت المزلاج الحديدي الضخم ويظهر بعد هذا الشاويش الذي يقف مترنحًا من اهتزازات العربة ودائمًا هي نفس الجملة:

- اللي عايز يفك الكلابش أو يعمل تليفون أو يقعد معانا بره من سكات كده يجيب الواجب ويجي.

وكالعادة ودائمًا وأبدًا تكون جملته هذه بمثابة طلقة البدء للهرج واللغط وتدافع المساجين نحوه:

- هششش جرى إيه يا (..) يا ولاد الكلب .. قلت بالراحة!!

وهنا يأتي السؤال الأبدي من سجين ما:

- طب يا فندي أنا عايز أعمل تليفون وهما هايحولولك رصيد.

- لا يا (..) أمك كاش كاااااش.

أبتعد بوجهي عن هذا كله وأعود لتأمل الشروخ.

عند عودتي إلى القسم فوجئت بوجود عابد ذلك الشاب الذي كان جارًا لنا في المدينة علمت منه أنه هنا بسبب إيصال أمانة كان قد وقعه لخطيبته كضمان لقائمة الأثاث لم أره منذ أكثر من عشرة أعوام واليوم -باللمفارقة- نلتقي في زنزانة قسم، كان شعوري نحوه حياديًّا فلم نكن أصدقاء قبل ذلك، لكني رأيت فيه شيئًا من العالم الخارجي فأصبحت أجالسه وأتحدث معه ونأكل سويًّا بعد أربعة أيام قاموا بترحيله إلى مركز (..) تمهيدًا لنقله إلى محطته النهائية السجن وبعد هذا بيومين قاموا بترحيلي إلى برج العرب من جديد.

***

في الرحلة السابعة تم قبولي، جلس ظابط المباحث الجديد يراجع ملفي ويتفحصني من أسفل إلى أعلى، وفجأة مهر أوراق بتوقيعه قبل أن يصيح:

مجنون على نفسك يا سرنجاتي يا بن القحبة أنا بقى هأقيلك وعلى الله أسمع بس إنك فكرت تعمل مشكلة.

نظرت عاجزًا إلى الأرض ولم أرد فصاح بمخبر يقف خلفي:

- صبَّحه يا حامد.

وانهال كف حامد الشبيه بالمطرقة على قفاي خيل لي أني سمعت صوت طقطقة العظام قبل أن أنكفئ على وجهي استندت إلى المكتب ووقفت بصعوبة.

- على الإيراد يا حامد.

بعدها أنهيت إجراءات الدخول، وألقوا بنا إلى عنبر الإيراد وعندها انزويت في ركن الزنزانة و.. انفجرت بالبكاء.

***

قابلت عابدًا في الممر الذي يصل بين الغرف وجدته جالسًا فوق فرشته المطوية أمام الباب وعرفت منه أنه تم تسكينه في غرفتي مصادفة غريبة أن يكون هو بالذات من الإيراد الذي يوزع تسكينه على

غرفتي، على الفور طلبت من النوباتشي "عباس أن يسمح بفرش نمرته بجواري لأننا سنعيش مع بعض وكما تقتضي أن تقول بلغة السجن، كان متجهمًا يهاب السجن ولاحظت أنه يخرج انفعالاته على الورق، كان يواظب بدأب غريب على كتابة يومياته هنا، انضم إلى معيشتنا شاب آخر وهو عبد الحليم شاب من الأرياف طيب القلب ومطيع، مضى حوالي أسبوع قبل أن يتم تصنيع عابد كمسير للعنبر وانتقل للعيش في غرفة (١) وهي أنظف غرف العنبر، وللأمانة لم يتركني فكان يوميًا يأتي إلى غرفتي ويعطيني بعضًا من لفافات التبغ أو كمية من السكر أو باكو شاي، أو يدور بيننا حديث خاطف في التريب يعود بعده سريعًا إلى التقفيصة الحقيقة أن للسجن فترة تتراوح ما بين الأسبوعين والشهر الكامل حتى تعتاده وتسلم بالأمر الواقع، عندها سيصبح حنينك للخارج أو لأهلك مجرد ذكريات باهتة يمر طيفها أمامك في تلك الفترة التي تنتظر فيها وصول الماء في الهيتر لدرجة الغليان، عندها يصير للشاي في تلك الأكواب البلاستيكية القذرة حضور أقوى من ذكرياتك تلك فتتناساها، أو أن يصيبك الأرق فتنتفض من فرشتك لاعنًا يوم أتيت للدنيا وعندها فقط تدرك وتلاحظ وتشم، تعرف يقينًا أية حقارة وقذارة تحيا فيها وأي أجساد عفنة حشروك وسطها، لم تمضِ أكثر من ثلاثة أسابيع حتى عاد عابد -

اتخزن- وهو شيء متوقع على كل حال، فهو لم يكن ليجاري حيتان العنبر، ولا يمكن له أن يعيش وسطهم بالورقة والقلم عاد إلى مكانه جواري وأصابتنا الفاقة سويًا إلا أنه قام بالاتفاق مع يسري الدلال بأن يأخذ منه ما يسد حاجتنا من الدخان والشاي والسكر على أن يسلمه ما سوف يأتيه من أهله كالحوالات أو الدخان، ولكن بعد عشرة أيام أو أكثر قليلا بدأت أوقن أن عابدًا قد ضاق بي وبمشاركتي له في الدخان والشاي، أما عن أهلي فلم يأتِ أحد منهم لزيارتي ولم تصلني منهم ولو حتى حوالة مالية، وصرت أعيش في ضنك وتعب حتى أنني قد طلبت من عباس أن أقوم بأعمال النوباتشية كتنظيف الغرفة والحمام مرتين يوميًا، واستلام التعيين مقابل عشر سجائر في اليوم الواحد، انكسرت وضاعت أحلامي وتبددت عوالمي ولم أعد كما كنت، ضاق صدري وبلغت روحي الحلقوم حتى أنني تشاجرت مع عابد حينما لمح لي بأنه لن يستطيع عليّ صبرًا فهو مديون من الأساس وليس في طاقته أن يتحمل ديوني أنا الآخر، تطور الأمر إلى مشادة كلامية ذكرته فيها بوضعي الذي كان وأن الزمن الأغبر هو من أحوجني إليه .. نظر إليّ باستهانة فصحت به:

- أنت بتبصلي كده ليه .. ماتشوف نفسك الأول دانت اللي حابساك مرة!!

لم أكن أعرف أن السجن سيحولني إلى هذا الكائن المتدني حين أغضب، استشعرت ندمًا وسكت بعدها حين ارتسمت نظرة ذهول على وجه عابد، أدركت في رعب ما أنا في طريقي إليه أنا الآن غير ميت فقط وهو وضع أبعد ما يكون عن الحياة نحن هنا كالمدفونين أحياء القبر مغلق علينا والدود ينهش أجسادنا، فماذا تتوقع منا؟ وأين المفر؟ أين عوالمي الخاصة؟ أين أحلامي وحياتي؟ أنا أتعذب بالله إني أتعذب ولم أستطع الصمود أكثر من ذلك خررت ساجدًا اللهم إني احترقت في جحيم قضائك فآمنت بك، وكيف لا أؤمن ؟! وإني كنت من الظالمين.

***

من الأفضل أن نعاني الظلم من أن نمارسه

سقراط

عابد

الجمعة ١٢ مارس:

بالأمس فاز الزمالك كنت سعيدًا بفريقي ولكن المشاعر الإيجابية هنا زائفة، إنني أختنق تحت جبال من السلبيات بل إن كينونتي دُمرت حتى أصبحت لا أعرف من أنا وما الذي يجعلني أستدل على نفسي.

***

بعد صلاة الجمعة التي لم أُصلِّها وقام بإلقاء الخطبة فيها عماد الصحفي أو أنه يدعى هذا فلتقطع ذراعي لو كان هذا صحفيًّا فهو يخطئ كثيرًا بالقراءة وطوال الخطبة يتمايل ويتلوى في حركات أشبه بالتنطيط وهو ما يفضح عدم قدرته عن التعبير وضعف ثقته في نفسه عندما يلقي كلمة هذا بجانب أشياء صغيرة تجمعت لتشكل الصورة الحقيقية .. ليس صحفيًّا ولكنه مدعٍ إلى متى سأظل ساذجًا؟!

***

بيني وبينك سور ورا سور ..

وأنا لا مارد ولا عصفور ..

في إيدي ناي .. والناي مكسور.

***

دائمًا تتردد داخلي بصوت محمد منير الذي ملأ كياني عشقًا له تتردد في ذهني وروحي.

الأحد ١٤ مارس:

في الصباح الباكر وبعد الاستحمام جلست مشعلا سجائري وأكتب تكدست مشاعري وأفكاري حتى أنها سقطت من رأسي ولم أعد أعي شيئًا.. ولكني لا زلت أحلم.

كان لابد أن أعطي بعض اللمحات عن هذه الشخصيات التي تعيش معي وأعني هنا أبرزها.

الشيوخ:

- عم وهيب .. عجوز تعدى الثمانين ولا يزال محتفظًا بوسامته مسيحي.
- عم فوزي عجوز في السبعينيات أتعبه السجن وهو الدليل الحي على الظلم الذي أتى بنا إلى هنا.

عم صالح تعدى السبعين وهو إمام الغرفة ولا أمنع نفسي من وصفه بالخبث.

- محمد يوسف   نموذج لأي إنسان تستطيع السيطرة عليه   لا عقل لا إدراك .. وقذر جدًّا ولا يستحم إطلاقًا.

الكهول[9]:

- يسري .. تاجر من تجار بني قريظة   أعني أنه واحد من الدلالين.
- عباس   نوباتشي الغرفة   أواخر الثلاثينيات   لم أستطع أن أكون عنه انطباعًا ما.
- إبراهيم .. مثال للجهل والغباء لكنه أحيانًا يبدي طيبة.
- سيد .. هو موجود وبقوة .. ولا يمكن الحكم عليه ولا تجاهله.
- خالد البنا   دائم البحث عن مكانة واضح أنه افتقدها، وأرتاح له كثيرًا.
- د. فهمي   مُدَّعٍ وأشك أنه طبيب تخدير كما يقول.
- عم خليل   المطرب الرسمي للغرفة .. ونسيه ذووه هنا.
- عم عادل   حالة بارانويا متقدمة.
- أبو عمر .. رجل أنهكه الفكر وأرتاح لرؤيته.
- خالد السويسي   مثال للجهل والغباء.

---

٩ الكَهْلُ من الرجال من زاد على ثلاثين سنة إلى الأربعين.

الشباب:

- الصاوي كتبت عنه ما يكفي.

- عابد الرحمن محمد لا أعرفه وأقسم على هذا.

الاثنين ١٥ مارس:

خواء لا أكثر.

الثلاثاء ١٦ مارس:

إلى متى سأظن بالناس حسنًا وقد بلغوا من القبح مبلغًا وأظن بالناس أنهم أحرار وهم لشهواتهم عابدون مستعبدون إنه الصباح صباح تحت سقف العذاب وبين جدران الألم كيف وكل من أسديت له معروفًا يكشف عن خسة ونذالة أتحدث عن الصاوي ولن أكتب أكثر فإنه لا يستحق.

إن الله يعذبني يعذبني في نومي وصحوي وفي دخولي الحمام والاستحمام بل إنه يعذبني في كل ما تراه عيني وتسمعه أذني ويشمه أنفي وتلمسه يدي ويذوقه لساني أصبح جلدي (مركز الإحساس) يحتك

بالعذاب ويحتوي عليه ولن أتضرع لخلاص لن يأتي ولن أنادي من تجاهلني، ولن أظن بالناس خيرًا بعد الآن.

***

الشر يطفح داخلي والحياة تموت والإدراك يتلون أصبح قاتمًا والعقل في طريقه للامنطقية والوعي غائب وترتفع ذرات اليأس لتغمر كل شيء .. بلا استثناء.

الأربعاء ١٧ مارس:

بعد عودتي من المكتبة وقد استعرت كتاب الإنيادة لفرچيليوس وهو النسخة الإيطالية من الإلياذة لهوميروس وتذكرت ما قرأته داخل السجن

- المهزلة الأرضية .. يوسف إدريس.
- الدساس خيرى شلبي.
- بنت السلطان إحسان عبد القدوس.
- الزلزال مصطفى محمود.

- إلا فاطمة   أنيس منصور.

- بابا سارتر.. علي بدر.

- وفي جيبه المطر.. مجموعة مختارة من الأدب اللاتيني والإسباني.

- الإنيادة .. والأخيرة سأقرأها اليوم بإذن الله.

الخميس ١٨ مارس:

بعد التمام والغداء جلست لأكتب   لم يحدث اليوم أحداث ذات بال   ذهني منشغل بتجميع خيوط وأحداث السيناريو   وأما عن الواقع فأنا حي ميت.

الثانية عشر والربع بعد منتصف الليل وقد انتهينا لتوّنا من حفل إفراج زميلنا أبو عمر.. وهو حفل نابع من قلوبنا تم فيه إحياء مشاعري من جديد وكانت فرحتنا حقيقية   تم توزيع الحلوى والسجائر والشاي والمياه الغازية، وقمنا بالغناء والتصفيق   أنا نفسي قدمت وصلة غنائية ولم أكن أعرف أن للحفل طقوسًا ثابتة سأكتبها بالتفصيل -بمشيئة الله- بعد الرجوع لعباس؛ لأنه في ختام الحفل قد قام وصاح من النضارة (فتحة الباب) بقصيدة شعبية خاصة بالسجناء سمعها العنبر بأكمله لسوف أكتبها من فمه.

الجمعة ١٩ مارس:

بعد صلاة الجمعة والغداء أكتب أنتظر اليوم مباراة بين الزمالك والجونة خاصة بعد تعادل فريقي مع الإسماعيلي في آخر مباراة واتساع الفارق بيننا وبين الأهلي.

***

السابعة مساء .. فاز الزمالك.

السبت ٢٠ مارس:

قبل فتح الباب للتهوية أكتب مع دخان السجائر ورشفات الشاي الثقيل الحياة داخل السجن هي عالم آخر عملته السجائر وطعامه التعيين الميري والمشاركة الإنسانية فيه هي مجرد تجمع لثلاثين شخصًا داخل غرفة ضيقة بحمام مشترك تتباين الشخصيات والثقافات والعقليات، ولا يمكن أن تظل شخصية متمسكة بنفس الإطار الفكري والتفاعلي الذي كان لها في الحياة الملكية .. نحن نحيا وراء برزخ دنيوي هذا هو التعبير الأصح والأصلح.

***

انتهيت من قراءة كتاب (تأملات في دنيا الله) للدكتور مصطفى محمود .. ذلك الكتاب الذي كانت تضمه مكتبتي.

***

بعد حسبة دقيقة وجدت أني تخلفت عن كتابة اليوميات لمدة تسعة عشر يومًا متقطعين، وواظبت على كتابتها لمدة أربع وخمسين يومًا.. أنا سجين منذ ثلاثة وسبعين يومًا.

***

عنبر كله يسمع حتى الحديد يسمع، حتى البلاط يسمع حتى الخشب يسمع

بعد مساء الخير على غفر الليل اللي قاسى معانا العذاب والويل

بعد مساء النور على البيه المأمور بعد مساء الشربات على حضرات الظباط

كلمتين من ع النضارة .. وهأنزل على طول

أنا بقول يامه يا مايا .. يا أغلى من فرشتي وغطايا

أمانة عليكِ يا غالية البت اللي حبيتها .. وفي قلبي داريتها

إن سألتك عليَّ يا غالية .. قوليلها ده كان وكان

كان شمعة وانطفت   كان وردة وانأطفت

وأنت يا خويا يا بن أمي وأبويا   إن حد سألك عليَّ يا أخويا

قول ماليش إخوات .. قول كان ليَّ أخ ومات

أنا بقول ملحق .. واللي مايلحقش يلحق

قولنا على الله التساهيل   جايلك يا سجن الويل

كنت بعدي عليك يا سجن .. وأعتب على سكانك

دلوقتي بقيت يا سجن .. نمرة جوه جِدرانك

أول بوابة قالت إيه جابك

والتانية قالت انسَ أحبابك

والتالتة قالت يا مرك يا عذابك

دخلنا حوش الإيراد .. قابلنا عم شاهين

صول شنباته شنبات .. تقولش وحش من الغابات

وقعدنا تلاتات تلاتات .. وقال يابن فلانة وعلانة

محدش معاه أمانات   أو حتى علبة دخان تريح قلب التعبان

حلقولنا شعرنا الظريف .. بقى شكلنا مخيف

قلعونا هدوم العز والفشخرة   ولبسونا بدلة زرقا مزهرة

القملة فيها يا غالية أخاف أموتها   لا يطلعلى عفريتها

حطونا ما بين عنبرين   واستقبلونا أحلى استقبال

بالكفوف ع الظهر والقفيان .. مانا بقول ملحق .. واللي ما يلحقش يلحق

أنا بقول واحد

واحد .. يا ورد

اتنين .. يا فل

تلاتة .. يا ياسمين

أربعة   يا أجدع ناس معلمين

خمسة   يا بكايتة .. يا كراكية

ستة .. يا زهرة شباب الحركة الوطنية

سبعة .. يا سجن النسا .. آآآآه

تمانية .. يا باشا .. يابشا

تسعة .. يا أجدع ناس .. حشاشة

عشرة .. يا فرن .. يا حلم الجعان

حداشر.. يا مستشفى العفن والدود .. والداخل مفقود .. والخارج مولود

ونشرب في صحة أخينا وأخيكم حد عايز يقوله حاجة

(الجميع في نفس واحد) .. مع السلامة يا غالي.

الأحد ٢١ مارس:

خرج للتو الصاوي فقد طلبوه للترحيل الساعة الآن السابعة صباحًا استشعرت حزنًا لفراقه أدعو الله أن تكون جلسة إشكال ويعود بعدها إلى بيته.

بالأمس أحضرت كتاب (وداعًا أيها الملل) لأنيس منصور فقد كنت بالمكتبة.

***

سمعت أغنية هشام عباس "أمي الحبيبة" فاليوم هو عيد الأم وأخيرًا .. دمعت عيناي.

***

[10] هذه القصيدة الشعبية تدعى عنبرة وقد كتبت هنا بتصرف والجزء الأخير مقتبس من فيلم الفاجومي للعبقري خالد الصاوي ..
(المؤلف).

منذ أن سجنت ولم تلفظ عيناي دمعة واحدة إلا عندما سمعت هشام عباس يغني (أمي الحبيبة)، وتذكرت أمي وسالت الدمعتان ساخنتين على وجنتيّ كم كنت قاسيًا عليكِ يا أمي ولم أكن أعرف أن حبك هو ملء كياني وسمعي وبصري بل إنه يملأ وجودي ذاته كنت أنت الأمر كن .. فكنت إنسانًا دماؤك تجري في عروقه.

من أجلك وحدك سالت الدمعتان دمعتان لم يقدر ولن يقدر السجن على إخراجهما من عيني ولكنك أنت إن أمرت أخرجت عيني نفسها إليك.

***

الاثنين ٢٢ مارس:

أقترب بشدة من الإلحاد ولا أحب أن أكون هكذا ليت شعوري هذا يختفي إنه يمزق صدري، ليس إلحادًا ينفي ألوهية ولكنه لا يرضى بقضاء إلهي ويضعه في إطار عدمي هو إلى الظلم أقرب رباه أغثني وأعدني إليك.

كنت قد دخلت في مناقشة حادة مع زكي حميد انتهت بهروبي لأن:

- دفاعي عن فكر شيطاني وكلام يخرج من سجين لا يرى ذنوبه.
- وضع ذنوبي واضحة جلية أمام عيني.
- إنني أنا العبد الساجد الخاشع -الذي كنته- نطقت كفرًا.

إلهي   ها هي الحقيقة تنصب أمام ناظري مزلزلة لكياني   رباه إنني أستحق.

***

الثلاثاء ٢٣ مارس:

إن الحمد لله الذي ردني إليه ردًّا جميلًا.

الأربعاء ٢٤ مارس:

بعد صلاة العصر جلست لأكتب   لا أستطيع وصف شعوري بأية كلمات   لقد أتيت لسبب وحكمة وأمري كله خير   الحمد لله حمدًا كثيرًا، توقفت عن كتابة السيناريو منذ أيام   الحياة على نفس الوتيرة ولكني الآن أراها من منظور جديد، لقد صرت قادرًا على استغفار ربي خمسمائة مرة يوميًّا   هذا عجيب   والأعجب أنني اليوم قاربت الألف مرة .. بفضل الله.

الخميس ٢٥ مارس:

لم أتفرغ للكتابة اليوم.

الجمعة ٢٦ مارس:

بعد صلاة الجمعة الآن أستجمع ذهني لكتابة أشياء كثيرة ومن أجل هذا أترك القلم الآن.

السبت ٢٧ مارس:

السابعة والنصف صباحًا بعد الاستحمام جلست لأكتب كم أتمنى العودة في حضن بيتي وأهلي وأصدقائي إنني أتحرق شوقًا.

***

كثيرًا ما يجول بذهني خواطر تملأ مجلدات ولكني أكتفي بأسطر قليلة تملأ مجلدات إذا ما قرأت ما بين السطور بالتأكيد كل من سيقرأ يومياتي سيلاحظ التغير الواضح في نفسي إنه ليس تغيرًا نفسيًّا كسابقيه إنه تغير روحي.

***

الاثنين ٢٩ مارس:

بعد صلاة الفجر مباشرة جلست لأكتب لو كان لي أن أنحني احترامًا لكتاباتي لفعلت ليس لأنني كاتبها أو أنها تخطف القلوب والعقول ولكن لأنها آخر مفردات عالمي .. لم يبق مني إلا هي.

***

الثلاثاء ٣٠ مارس:

الحادية عشر صباحًا .. لم نخرج للتهوية اليوم .. بالأمس تشاجرت مع من يدعى عبد الله (مستجد) وهو مثال للهبل في أوائل الأربعينيات، تشاجر معي لمجرد أنني أشاهد مباراة الأهلي وأنا زملكاوي منتهى الغباء والتخلف والجهل قلمي أصيب بالاشمئزاز لما كتبت عن هذا السفيه.

لا جديد تحت الشمس .. لم نعد نرَ الشمس ذاتها.

***

ملحوظة: بالأمس فاز الزمالك على غزل المحلة على ملعب المحلة.

الأربعاء ٣١ مارس:

بعد صلاة الظهر جالسًا في التريب أكتب وأستجمع ذهني وأشحذ خلايا مخي الرمادية لخلق عالم يوسف عبد الرحمن بطل فيلمي لقد صنعت له عالمه كتبت أول عشرين دقيقة من حياته على الورق .. بنيت له التمهيد[١١] الذي سيدخله إلى عالمي عالم تكون فيه الكلمة العليا للون الكحلي .. والقهر والعذاب هما مصاحبان لكل ثانية تمر هنا.

عادة ما يكون التمهيد ٣٠ دقيقة "الصفحة = دقيقة" مقسمة بدورها إلى مرحلتين هما: العشر دقائق الأولى التي يجب أن تعرف خلالها من هي الشخصية الرئيسية وفكرة القصة والوضع الدرامي لها .. والمرحلة الثانية (٢٠ دقيقة) هي كشف عن الشخصية الرئيسية وتفاعلها مع الشخصيات الأساسية ودفعها دفعًا إلى الصراع الدرامي .. هذا في حالة أن يكون مدة عرض

الجمعة ٢ أبريل:

السجن عالم تاني سمعت ورأيت فيه العجب العجاب سمعت ورأيت ويا ليتني ما فعلت هنا يباع كل شيء بالسجائر .. الراحة والنومة = سجائر، عدم تفتيشك = سجائر، وحتى المرض إن أردت أن تعرض على طبيب ادفع سجائر .. وإن عثت في السجن فسادًا لن يعاقبك أحد لو دفعت سجائر لمن تدفع ؟ للمسيرين والشاويشية طبعًا لحظة سأشعل سيجارة.

ونستكمل أما عن روايات البلطجة والشذوذ الجنسي فحدِّث ولا حرج سمعت منها المئات من ذكريات السجناء غير أنها تحدث معاصرة في عنابر المخدرات والسرقات وغيرها.

حدث منذ أيام أن أخرجونا لمشاهدة مباراة كرة قدم بين فريق السجن وشباب جامعة الإسكندرية، وكانوا قد أخرجوا من كل عنبر مجموعة ما من السجناء.

الفيلم ١٢٠ دقيقة - وهو الوقت القياسي أما عن فيلمنا هنا فهو ١٠٠ دقيقة تقريبًا (المؤلف).

فشاهدت بعيني هؤلاء الشواذ يرقصون كما العاهرات تمامًا، ويتكلمون ويضحكون مثلهن وحولهم من اتخذوا دور رجالهم بل ويغارون عليهم.

أيها السادة وسط كل هذا أحيا أنا تخيل أن تعيش حياتك على فرشة عرضها ٤٠ سنتمترًا تأكل وتشرب وتنام وتصلي وتتحرك في حدودها .. والويل لك إن مسست فرشة غيرك .. سواء كانت أمامك أو عن يمينك أو يسارك.

أما عن عنابر التأديب فالمذنب يذهب إليها عاريا إلا من الشورت الداخلي فيتم استقباله من قبل المخبرين الغلاظ يحملون هراوات أغلظ، ولك أن تتخيل ما يحدث قبل الولوج إلى القبر العفن المسمى عنابر التأديب بعد هذا يأتي دور الكلاب.

كلاب بوليسية ضخمة مدربة على التعذيب، والأغرب أن لكل كلب رتبة واسم نعم لكل كلب رتبة عسكرية أما عن الصاعقة هناك بعض الكلاب مدربة على التحرش الجنسي على مرأى ومسمع من عنبر بأكلمه يتم إخراجه خصيصًا لمشاهدة هذا الانتهاك الآدمي وعندما يدخل المذنب إلى غرفته لا يجد فيها شبرًا ليجلس عليه عاريًا إلا من الشورت الداخلي ولا يأكل يوميًا إلا قطعة خبز جافة وقطعة جبن ميري

صغيرة جدًّا ولديه ربع زجاجة ماء للشرب والاستحمام والاستنجاء وتحيا مصر.

***

من منكم كرهني عندما نطقت كفرًا ومن حمد الله عندما عدت إليه ساجدًا ما بين هذا وذاك هل أحتفظ بعقلي وشخصيتي وثقافتي.. ؟!! الرجاء عدم الإجابة.

***

ينتج من تكدس الأجساد وكثرة الأتربة انتشار القمل والجرب على السادة نزلاء سجن برج العرب وقاية أنفسهم بأنفسهم (عشان مالكش دية أنت مسجون فاقد الأهلية أوطى فئة في المجتمع) وكلاكيت تاني مرة تحيا مصر.

***

السبت ٣ أبريل:

السابعة صباحًا لي زميلان عزيزان في الغرفة رقم (٢) .. زكي حميد وطارق تعرفت (طارق) عن طريق زكي وهو صحفي أجزم أنه غير مدَّعٍ وهو دارس لمقارنة الأديان مما جذبني للحديث معه وهو نفس المجال الذي قرأت فيه كثيرًا جدًّا هذان هما أقرب الناس للتعامل معهم هنا ولأكن حذرًا.

***

بعد العشاء اليوم رأيت أمي ولكن كان بيني وبينها سوران وأسلاك.. لما كان اليوم عطلة رسمية كانت الزيارة زيارة سلك أبي مريض للغاية وبكت أمي لحالي وطفح قلبي ألمًا اللهم ارزقنا فرجًا عاجلًا وسكينة في القلب وطمأنينة في النفس ورزقًا واسعًا وفضلًا عظيمًا وحسنًا لخواتيمنا و....

ويسقط القلم من يدي.

***

بيني وبينك سور ورا سور ..

وأنا لا مارد ولا عصفور ..

في إيدي ناي .. والناي مكسور.

***

الثلاثاء ٦ أبريل:

الصباح في انتظار الزيارة اليوم وعدتني أمي بهذا، فزيارة السلك لا تحسب بالأمس كتبت لها خطابًا حاولت أن أصب فيه مشاعري تجاهها ووضعته في جيبي استعدادًا للقاء الغالي تضطرب عواطفي كلما رأيت أمي وتضيع الكلمات من شفتي.

كتبت لها عن قراري بعدم الزواج؛ لأن الحياة القادمة ستكون لها ولها وحدها   وهي الإنسانة الوحيدة في الكون التي تستحق عواطفي ومشاعري   كتبت لها عن ندمي على ما اقترفته بحقها   كتبت لها راجيًا أن تسامحني   كتبت لها عن أنها سر وجودي   عن أنها أنفاسي ودماني من تكون هذا كله   إلا أمي.

***

بعد العشاء   اليوم رأيت أمي وسلمتها الخطاب   قبَّلت يدها فلم تمهلني وقبلت هي يدي .. ماذا أفعل ؟!! كلما حاولت إظهار مشاعري بادرتني بدين ثقيل جدًّا من الحنان والعطف يقصم ظهري   أخبرتني بمرض أبي الشديد وهو ما يعني تحملها هي وحدها تكاليف الزيارات بخلاف عناء الرحلة إلى هنا.

ماذا أفعل كي أرد لها ذرة من حنانها وعطفها   اللهم أعنها   يراودني شعور وحالة من التأكد بأنني سأسمع خبر وفاة والدي قريبًا   يا رب أغثني .. أغثني.

الجمعة ٩ أبريل:

إنه الصباح منذ زيارة أمي وقلمي يأبى أن يكتب هناك أقاويل شبه مؤكدة عن صدور عفو عن من هم أول سابقة في عيد الثورة ٢٣ يوليو، وهو ما يعني أن يفصلني أكثر من ثلاثة أشهر بأيام عن هذا العفو.. كلمات وكلمات ولكنها لا تنفد أبدًا .. لقد وضعت القارئ ليومياتي معي في السجن وأجد من الممل أن أعيد كتابة الأحداث ما لم يحدث شيء ذو بال.. حاليًا أشارك في المعيشة شابًا يصغرني سنًا يدعى (عماد) ورجلًا في العقد الخامس فرض نفسه علينا فرضًا هو خالد السويسي وهو الجهل والغباء مجسدان وبرغم كثرة من عرفت لم يستطع أحد أن يفهمني أن يسبر أغواري ربما استثنينا "زكي حميد" وكما قلت آنفًا هناك وجوه ووجوه وحينما أنفض عباءة ذكرياتي ستتناثر الوجوه ولا أعلم أيًا منهم سيبقى.

السبت ١٠ أبريل:

للسجن مفردات وقاموس خاص به سأكتب بعض مفردات اللغة هنا لتدرك معي مدى غرابة هذا العالم الشاذ المقزز:

- نداء لأي زميل .. يا زميل أو أخو.

- عندما يوبخك أحد .. بيكرتلك.

- ديوث .. حاج.

- الفرشة   نمرة.

- العيش   جراية.

- الطعام الميري .. التعيين.

- شاذ جنسيًا .. كفتجي.

- التدخل في الحوار .. راكب في الحوار أو ناطط عليه.

- يراك أحد .. قاطع عليك.

- يرمقك أحد .. واخدك.

- شاب ابن ناس .. شفايفه حمرا.

- رئيس الغرفة .. نوباتشي.

- رئيس العنبر .. مسير.

- القياس المعتمد هنا هو .. الشبر والقبضة.

- طبخ الطعام .. تصنيعه.

- الفاصوليا أبلونج.

- الحمام الدورة.

- واحدة بواحدة طالية بطالية (وتقال عادة لاثنين من الشواذ).

- اشتياق للتدخين الخَرَم.

- شاويش أفندي حرس.

- رجل متعلم .. أفندي.

- تقال لمن زار حديثًا زيارة سعيدة ويجب الرد عليها بإعطاء قائلها سيجارة.

- تقال لمن ترغب في قيامه من على فرشتك الفرشة سخنت.

- تثير الشغب تِبوّط.

- مكان به قلاقل .. مكان فيه دَكّن.

- لا تكلمني أو لا تحتك بي .. ما تجليش على سكة.

- سيبك مني .. فكك مني.

- مكان يستشري فيه الظلم أرض ما عداش عليها نبي.

- رجل خدوم وذوق .. راجل عسلية.

- آيس كاب   كلابوش.

- تحقِن رجل على آخر.. بتسوّح فلان على فلان.

- الشخص الذي ينصاع لكلام الآخرين   بيروح.

الاثنين ١٢ أبريل:

بعد غلق الباب وبعد ساعات ممتعة مع زكي حميد نتبادل فيها الحديث ونتناسى سجننا   زكي من أكثر الشخصيات التي تشبهني وأكثرهم تأثيرًا في نفسي وعلى قمة من سأحرص على التواصل معهم بالخارج إن شاء الله   في الرابعة والأربعين من عمره   أسمر اللون بدرجة خمري نحيل متوسط القامة ويزحف الصلع على مقدمة رأسه، يمتلك عينين جاءا من عالم راسبوتين   عينين قويتين تنفذان إلى روحك ذاتها   هو صديقي وأنا صديقه   أحرص على تواجده معي وهو يعرف عني كل شيء تقريبًا   اليوم حكيت له عن ياسمين.

***

ملحوظة: بالأمس هزم الزمالك   أعرف أن والدي يضايقه هذا مما يجعلني قلقًا عليه أكثر.

الثلاثاء ١٣ أبريل:

السابعة والنصف صباحًا أكتب متذكرًا حديثي مع زكي حكاياتي عن ياسمين وعلاقتي بها التي نشأت بعد انفصالي عن خطيبتي ولعنتي ياسمين أحبتني ياسمين أرادت أن تتزوجني حكيت له عن جولاتنا في (سان إستيفانو) وجلساتنا في (چانجل) ونادي أكاسيا وكوستا داون تاون وبحري شقاوتها وجمالها فرحتها الطفولية حين استأجرت لها ذلك القارب الصغير الذي طاف بنا مياه البحر بينما تقف جوارنا قايتباي شامخة وكأنها تحرسنا، عن مشاجرتها مع النوتي؛ لأنه أخذ مني خمسين جنيهًا دفعة واحدة ولم تهدأ إلا بعدما رد إلينا ثلاثين حكيت وحكيت ولكني استبقيت لنفسي ذكرى وطعم أول قبلة طبعتها على يدها ولكن.. لا أمان لامرأة هذا هو درسي الذي يجب ألا أنساه يجب أن أجعله طريقة للحياة.

***

قبل غلق الباب سلمت يومياتي إلى الشخص الوحيد الذي أثق به ومَنْ غيره؟! زكي حميد .. وغدًا أكمل.

الأربعاء ١٤ أبريل:

بعد الدخول وعودة اليوميات والاستماع إلى آراء زكي فيما كتبت جلست لأكتب .. زكي حميد ماذا لو تكلمت عنه هل أكتب عن حديثه لي في المرة الأولى وكأنه يعرفني منذ الأزل؟! هل أكتب عن أنه خصني بالكلام عن الطريقة الصوفية والفناء في عبادة الله؟! هل أكتب عن الملكية التي أعيشها عندما نتحدث سويًا؟! مع زكي تسمع عبارات عن الفيس بوك والماركتينج واللاب توب وكافيه كوستا عمومًا أشعر معه أنني لست في السجن مع كلماته تشم هواء البحر وترى الفاتنات -وهو مفتون بهن- وتتذوق السي فود كل هذا ونحن في التريب وحولنا الدنيا كحلي كحلي غريب أمر زكي الذي كانت له لمسات إيمانية داخلي وكانت له تأثيرات رومانسية جعلتني أتذكر ياسمين بحنين جارف هذا الصوفي المودرن الخلاصة أن زكي كان له تأثير نفسي كاسح عليّ.

الخميس ١٥ أبريل:

قبل فتح الباب حدث بالأمس موقف سخيف كنت قد تناقشت مع خالد البنا حول ترتيب القرآن -كلام الله- وكيف أنه رتب هكذا، ولم يرتب كما أنزل على سيد ولد آدم محمد رسول الله .. وإن كان قد كتب في عهده -صلى الله عليه وسلم- أم لا كانت أجوبتي قاطعة لمن له عقل من

خلال قراءاتي في مقارنة الأديان خاصة وأن البنا على قدر من الرقي لكني فوجئت بنافورة الجهل تنفجر بمياهها الآسنة في وجهي وفي كل مكان خاصة من السويسي وعباس .. وتطور الأمر بالسويسي إلى حد أنه قال: إن السنة لا تشكل أهمية.

- العصر كام ركعة يا سويسي؟

- أربعة.

- وعرفت منين .. مش من السنة برضه؟!

هكذا ترون الخلاصة أنني نمت كمدًا وما أغضبني أن هناك عيونًا غير مسلمة كانت ترمق هذا الجهل وتسخر منا ولم أصلِّ الفجر حاضرًا كعادتي.

***

السبت ١٧ أبريل:

السادسة صباحًا بالأمس تعادل الأهلي في اللحظات الأخيرة ٣ - ٣ مع الزمالك حيث كان الأبيض دائمًا هو الأسبق وتقدم ثلاث مرات على الأحمر .. عمومًا خسر الزمالك نقطتين وتعادل بطعم الفوز للأهلي.

***

بالأمس حدث نقاش حاد مع زميل جديد يدعى ناصر.. عم ناصر لأنه في العقد السادس مثال واضح لشخصية أبو العريف الراشق في أي حوار وأي حدث من حوله نقاش جذب العديد ليتدخلوا حول مصر وحب مصر، لماذا غضبوا مني عندما أعلنت أنني لم أعد أحبها لم أعد أنتمي لها هي اعتبرتني أسفل فئة في مجتمعها بقانون ظالم أنهيت نقاشي بعنوان عبقري للأستاذ أسامة غريب.

- مصر مش أمي دي مرات أبويا.

مشهد ٢٠

نهار / داخلي

السجن

- يوسف بزي كحلي يمشي بالممر حاملًا كوبًا بلاستيكيًا به شاي وسط حشد من السجناء غادين وذاهبين خلال الممر.
- يمر وسطهم وهو يلقي بالتحية على بعض منهم.
- لسجين عجوز أشيب تجاوزه.

يوسف: صباح الفل يا عم وهيب.

- بود.

وهيب: صباح الخير يا يوسف.

- بطانية مفروشة في جانب من الممر وعليها شاي وسكر وصابون وبسكويت يجلس جوارها سجين يبيع بضاعته

يوسف: صبّح يا أسامه.

أسامه: نهاره أبيض.

	يوسف:	بكام السكر؟
	أسامه:	بعلبتين.
▪ وهو يستكمل طريقه.	يوسف:	ليه يا عم ما هو بعلبة ونص عند الدلالين.
▪ يمشي حتى آخر ممر لتظهر بوابة حديدية يقف وراءها سجين ويصيح.	السجين	فين نوباتشية التعيين؟
▪ على الأرض طشت كبير به أرز وأقفاص عيش رديء الصنع إنها فترة توزيع التعيين على السجناء.		
▪ إلى يمين البوابة بوابة أخرى مغلقه وراءها حلاق العنبر ويحلق لسجين وبجواره نزلاء بانتظار دورهم وأيضًا على بعد خطوات منهم يجلس		

سجين آخر "مسير العنبر وهو مجدي يكتب في دفاتر الحركة للعنبر وتناديه سجناء من ناحية يوسف حيث تفصل البوابة المغلقة بينهم.

سجناء يا أستاذ مجدي.

مجدي: إيه يا جدعان محدش يقفلي على التقفيصة كده يا تنزل التِّربَّب يا تدخل جوه.

▪ يتجاوز يوسف بوابة ثالثة إلى يسار بوابة الممر حيث يهبط سلالم إلى مساحة كبيرة نوعًا مسقوفة بسلك حديدي يمشي فيها ويجلس على حصيرة جوار الحائط.

سجين: عايز أطلع مستشفى.

▪ يشعل سيجارته ويسند

ظهره إلى الحائط

▪ يوسف شاردًا وتومض الشاشة في فلاش باك إلى مشهد آخر.

ل / خ

المقهى

يوسف يجلس مع عمر

▪ بعصبية.

عمــر: يعني أنت اترفدت من شغلك وكمان قبلت فلوس حرام أهي دي لوحدها مصيبة تانية.

يوسـف: المشكلة مش في كده وبس المشكلة في الوصل اللي قلت لك عليه من بعد ما مضيته وهي انقلبت عليَّ ولما عرفوا أني اترفدت من شغلي لاقيت ناس تانيه

قدامي ناس ماعرفهاش
واحدة تانية خالص
ولما شوفتها

مع واحد في العربية رحت
وفضحت الدنيا خدوا
كل حاجة ورفعوا عليَّ
قضية بالوصل وصدر
حكم جزئي بتلات سنين
وكفالة ألف جنيه.

▪ ذهول على وجه عمر.

▪ ينتفض واقفًا.

عمــر: وبقالك شهور مخبي علينا
كل ده !! يا أخي اتقِ الله
في أمك وعلى فكرة
عمرك ما هتتعلم أبدًا
لأنك مش راضي بوضعك
مهما كان.

▪ ديزولـف ▪

▪ عودة إلى الحاضر،
ويفيق يوسف من خواطره
لينادي سجينًا مارًّا به

"محمود"

• يتوقف ناظرًا ليوسف. يوسف: عم محمود ماشوفتش زكي حميد؟

محمود: طلع المكتبة.

مشهد ٢١

نهار / داخلي

السجن ▪ التريب

▪ يوسف يجلس مع زكي (في أوائل الأربعينيات) على الحصيرة.

▪ يمسك بكتاب

يوسف: وداعًا أيها الملل جبته قبلك من المكتبة ما عجبنيش مع أني بأحب أنيس منصور.

زكي: يمكن لو قريته وأنت بره كنت شوفته بوجهة نظر تانية.

يوسف: يا أخي، أنا نفسي أعرف إيه السعادة اللي أنت فيها دي محسسني أننا في إحدى منتجعات بيفرلي هيلث داحنا في سجن يا زكي.

▪ بسخرية.

	زكـي:	ماتخدهاش كده اعتبرها خلوة أو فترة استجمام عيد حساباتك من الأول.
	يوسـف:	خلوة إيه أنت هتجنني بس تعرف أنت الوحيد اللي عرفت أتكلم معاه هنا يعني شبهي كده وحاسس إنك زيي.
	زكـي:	احمد ربنا، أديك شايف بقيت الناس هنا عامله إزاي.
▪ يدخل سجين زميل ليوسف بغرفته "عباس"	عبـاس:	يوسف قوم البس كاحول عندك زيارة.
▪ يوسف يقفز واقفًا وينطلق جريًا للخارج.		
▪ مبتسمًا.	زكـي:	هي بقت كده!!

مشهد ٢٢

نهار / خارجي / داخلي

السجن

"ساحة انتظار لدخول

قاعة الزيارة"

▪ يوسف وسط حشد من السجناء ينتظر دوره للزيارة ويخرج أمامه من القاعة شاب في مقتبل العمر مقيد بالكلابشات ويرتدي بدلة الإعدام.

▪ يوسف يرنو إليه وتدمع عيناه.

يوسف: الحمد لله.

▪ يسمعه سجين بجواره.

سجين: وانت جاي في إيه يا زميلي؟

▪ ينظر للسجين في شرود.

يوسف: وصل أمانة.

تومض الشاشه في فلاش باك إلى مشهد ٢ قبل التترات.

ن / د

زنزانة القسم

▪ يدخل يوسف إلى الزنزانة وعلى وجهه ذهول وينظر إلى وجوه المحجوزين العتاة الكالحة وتكدس الأجساد داخل الزنزانة القذرة. (موسيقى)

▪ فوتو مونتاج[١٢] مع موسيقى مناسبة للقطات ليوسف يحاول أن يندس بجسده وسط هذا الحشد الكريه.

▪ لقطة أخرى في الليل

[١٢] لقطات متتابعة سريعة تختصر مساحة زمنية معينة أو ترفع درجة التوتر والتشويق "suspense".

ليوسف ينام مضغوطًا على جانبه بين العشرات والقمل والصراصير والقذارة تضرب أطنابها في جميع أنحاء الزنزانة.

تومض الشاشة إلى لقطة أخرى

ن / خ

ساحة القسم

▪ يوسف مقيد بالكلابش إلى محجوز آخر وسط عدد من المحجوزين مقيدين بنفس الطريقة ويتم اقتيادهم إلى عربة الترحيلات في خشونة والعربة من الداخل بعد ما أدخلوهم فيها ليست بها مقاعد ومحشورين حشرًا وهم لا يزالوا مقيدين.

■ وهو يسد أنفه.	**يوسف:** يا ساتر إيه الريحة دى؟.
	سجين: تلاق حد فاكك ميَّة فى العربية.
	يوسف: هو إحنا رايحين فين؟.
	سجين: رايحين نعمل نماذج حبس.
■ العربة من الخارج وها تنطلق عبر الطرقات.	
■ العربة من الداخل توضح ترنح يوسف وجميع المحجوزين داخل العربة وهم مقيدون والسيارة تنطلق غير مبالية بما يحدث داخلها.	
■ تتوقف العربه أمام مجمع المحاكم ويتم إنزال من فيها بخشونة أمام العامة ونتبين يوسف وهو يحاول إخفاء وجهه.	**(تتوقف الموسيقى)**

▪ ديزولـف ▪

عودة للحاضر

▪ يوسف يدخل مع زملائه داخل قاعة الزيارات وعلى البوابة الداخلية يتم ختم ذراعه بختم الزيارة من أمين مختص قبل أن يدخل إلى القاعة.

▪ نسمع صوت الأم تناديه بلهفة.

ص الأم: يوسف .. يوسف.

▪ يرى يوسف مكان الأم فيجري إليها يوسف ويقبّل يدها بنهم واشتياق وهي تبكي.

الأم: عامل إيه يا حبيبي.

▪ يقوم بإجلاسها.

يوسف: الحمد لله وحشتيني أوي يا ماما اقعدي عايز أقولك كلام كتير.

إظلام تدريجي

تعود الصورة

▪ تبكي — الأمـ: يعني خسرت كل حاجة
ليه يا بني خبيت عني
وعشان إيه كل ده
شوفت آخرتها إوعى
تفتكر إنك في أزمة لوحدك
أنت ساحبنا كلنا وراك.

▪ نادمًا .. يقبِّل يدها. — يوسـف: سامحيني يا أمي
سامحيني.

▪ تربت على شعره. — الأمـ: مسامحاك يا ضنايا.

مشهد ٢٣

ليل / داخلي

السجن ▪ غرفة يوسف

▪ يوسف ينام شاردًا على فرشته وسط زملائه منهم من يتابع التلفاز ومنهم من يأكل ومنهم النائم.

▪ يقترب منه محمود فيعتدل في جلسته ليجلس أمامه.

يوسف: نورت الفرشة يا عم محمود.

محمود: زيارة سعيدة.

▪ يناوله سيجارة.

يوسف: سعيدة علينا.

محمود: شايفك كده سرحت رحت فين خليك هنا ماتشيلش هم اللي بره.

▪ في ضيق.

يوسف: اللي مستغربله أن الحبس بوصل ده مش محكوم ممكن أي حد يحبس أي

حد عشان ميت جنيه حتى ما أنت محامي وعارف.

محمـود: لأ، أقولك على اللي أسخن بقى القاضي بيبقى عارف إن المبلغ مش أصل الدين ومع ذلك يحكم بسنة وتلاتة كمان.

يوسف: معروفة.

محمـود: طب أنت تعرف إن المادة ٣٤١ دي دستوريًا ملغية من سنة ٨١ ؟

▪ بدهشة.

يوسف: أمال حبسونا بيها إزاي؟!!

محمـود: إحنا الدولة الوحيده اللي الدستورية فيها مالهاش سلطة على القضاء

▪ يربت على كتف يوسف.

نورت مصر.

مشهد ٢٤

نهار / داخلي

السجن "الترب"

	يوسف:	وبعدين يا عم فوزي مش هايروحونا بقى.
▪ يوسف يجلس مع رجل عجوز تعدى السبعين "فوزي"	فوزي:	أنا خارج من هنا على نقّالة بكره تشوف.
	يوسف:	ما تقولش كده يا عم فوزي، بكره تخرج ونشوفلك عروسة كمان
▪ مبتسمًا.		إنما اللي حبسك ده راجل ظالم أنت كنت ماضي لمين؟!
	فوزي:	كنت جايب تلاجة وبوتجاز لجهاز بنتي بالقسط أعمل إيه يابني العيشة
▪ نسمع موسيقى مناسبة خلفيه لحديث فوزي.		بقت صعبة وفرحة بنتي بتموت قدام عينيَّ عشت طول عمري شريف هأمد إيدي للحرام على

¼ مواطن	
آخر الزمن جبت الحاجة ومضيت وصولات والراجل منه لله ما صبرش على الأقساط واشتكاني بميت ضعف اللي ليه عندي والنتيجة أهي قدامك جثة حية.	
	▪ رد فعل على وجه يوسف.
	▪ تغطي الموسيقى على جميع الأصوات ويوسف يربت على كتف فوزي.
	▪ يبتعد المنظر تدريجيًا مع الموسيقى في لقطة من أعلى توحي بالعجز وسط أسوار السجن.

مشهد ٢٥

نهار / داخلي

السجن ▪ التريب

▪ يوسف مع زكي يمشيان في التريب وسط بعض النزلاء.

▪ هناك سجين يجلس في أحد الأركان ويصنع سِبح بالخرز والخيط.

▪ مهمومًا.

زكـي: على فكرة جالي جواب من مراتى إمبارح.

يوسف: طب كويس والجماعة والشركة أخبارهم إيه؟

زكـي: الحمد لله مالك؟

يوسف: إمبارح حصل موقف منيل قعدت أتجادل مع خمسة ستة عشان خاطر مصر وحب مصر كلهم بقوا وطنيين خلاص أنا كرهت البلد بصراحة

■ رد فعل على وجه زكي.

بقى مصر مش أمي دي مرات أبويا.

■ بضيق صدر.

زكي: يا بني افهم احتفظ بأرائك لنفسك ..أولا: فيه (مرشدين) في كل حتة

■ رد فعل على وجه يوسف.

وهوب هتلاقى نفسك في التأديب.

■ بعصبية.

يوسف: تأديب ليه هأحيها عافية يعني؟!

زكي: يا سيدي، العن (أبوها) بس في سرك دول ما بيصدقوا هايقولوا عليك معارض للنظام هو أنت حمل تأديب تلاقي نفسك في أوضة زي القبر باللباس لا أكل ولا شرب ده غير الإهانة والضرب ولّا الكلاب الكلاب هنا معلقة رُتب.

■ في ترهيب.

■ ذاهلا.

يوسف: رتب !!

زكـي: آه والله بس الكلام ده
للعالم المسجلين
والشضلية.. مالنا إحنا بقى.

يوسـف: عارف معانا راجل عجوز
اسمه عم فوزي ده
محبوس عشان تلاجة
مين مسؤول عن إنه مش
لاقي حق تلاجة ومين
مسؤول عن حبسه عشان
فكر يجيبها قسط يفرح بيها
بنته أقولك على حاجة
إحنا نغنيلها أحسن

▪ يغنيان معًا.

يوسف
وزكي: ماشربتش من نيلها
جربت تغنيلها
ماشربتش...

▪ مقاطعًا الغناء.

يوسـف: شربت طبعًا .. من كيعاني.

مشهد ٢٦

ليل / داخلي

السجن * غرفة يوسف

* يوسف يجلس بجوار نزيل "عماد"

يوسـف: سمعت إنك كنت في التأديب.

عمـاد: عادي مشكلة كده وعدت.

يوسـف: إيه اللي بيحصل هناك؟

عمـاد: بيدخلوك زنزانة صغيرة مافيهاش دورة مية باللباس تقضى مدتك وتطلع أنت خايف ولا إيه يا معلم؟

يوسـف: بفهم بس .. والكلاب؟

عمـاد: مش كل التأديب زي بعضه الكلاب للأشقيا اللي على حق.

يوسـف: هي بجد معلقة رتب؟

عمـاد: أيوه كل كلب له اسم

ورتبة بيسيبوه عليك
وأنت وحظك بقى.

يوسف: إزاي يعني؟

عماد: دي كلاب متدربة على
التعذيب ولا مؤاخذة

يوسف: ممكن تطخك.
تطخني !! .. مش فاهم.

▪ عماد لا يرد ويبتسم في
خبث.

مشهد ٢٧

ليل / داخلي

غرفة نوم باسم

- وفاء ترتمي في الفراش منهكة بجوار باسم والمفروض أنها انتهت من علاقة جنسية معه.

- لا ينظر لها ويزيح الغطاء ليتجه إلى الحمام.

- تنظر له في قرف واضح.

- بقعة دم تظهر من تحت الغطاء لتبين لنا أنها فقدت عذريتها أثناء العلاقة.

مشهد ٢٨

ليل / داخلي

السجن ▪ غرفة يوسف

▪ حفل إفراج نزيل، السجناء تلتف في دائرة حول سجين "أبو عمر ووسطهم يوسف بينما يدور عليهم عباس موزعًا السجائر والمياه الغازية.

(صوت الصخب والتهاني)

عبـاس: النهارده ليلة (أخونا وأخوكم) أبو عمر طالع إفراج باكر والتحية دي منه.

(يدوى الغناء والتصفيق يتولى الغناء عباس ويردد وراءه جميع من بالغرفة وبينهم يوسف على لحن عطشان يا صبايا دلوني على

السبيل)

عطشان يا صبايا دلوني على السبيل.

عباس: عطشان يا صبايا دلوني على السبيل.

حبسة مالهاش لازمة حبسونا الظالمين.

عطشان يا صبايا دلوني على السبيل.

▪ بإيقاع أسرع.

الجميع: حبسة ومروحين.

حبسة ومروحين.

▪ لقطات متتابعة ليوسف وعماد ومحمود وفوزي وعباس وهم يغنون ويصفقون.

عباس: (يرددونها كثيرًا)

الجميع:

ينتهون تدريجيًا.

عباس: مش هاتعتبر على النضارة

الجميع: يا عباس؟

▪ عباس يتجه إلى فتحة الباب الحديدي الصغيرة ويلصق بها

فمه ويصيح في شبه إلقاء شعري.

(موسيقى ذات شجن خلفية لكلام عباس)

عمـاد: عنباااااار كله يسمع حتى الحديد يسمع حتى الخشب يسمع كنت بعدي عليك يا سجن وأعتب على سكانك دلوقتي بقيت يا سجن

- الممر من خارج الغرفة خالي تمامًا باب غرفة زكي وقد ألصق وجهه بفتحة الباب كي يسمع ما يقال من غرفة يوسف

عبـاس: نمرة جوه جدرانك أول بوابة قالت إيه جابك والتانية قالت انسَ أحبابك والتالتة قالت يا مرك يا عذابك أنا بقول ملحق واللي مايلحقش يلحق أنا بقول يا ما يا أمايا يا أغلى من فرشتي وغطايا أمانة عليكِ يا غالية إن حد سألك عليَّ قوليله ده كان وكان كان شمعة وانطفت كان

منظر عام للممر في حين يبتعد الصوت تدريجيًا حتى يختفي وتطغى الموسيقى على الصوت.

■ إظـلام تدريجي ■

الاثنين ١٩ أبريل:

قبل فتح الباب   أحلم بمستقبل باهر   أحلم بقلمي يهز أرجاء المعمورة   أحلم ببيتي وأهلي وأصدقائي .. وسأحقق الحلم.

أحلامي سأبدؤها من هنا   غرفة مساحتها ٦ م x ٤ م ينام على أرضها اثنان وثلاثون رجلًا   ممنوع فيها المواقد واللون السائد هو الكحلي والانهيار والذل عنوان للعبة   من هنا أحقق معجزتي   إلى الأمام سأمضي ولن يردني أحد.

الخميس ٢٢ أبريل:

لم أعد منتظمًا في الكتابة لإصابتي بمرض شديد   التهاب حاد في الحنجرة ولم أعد قادرًا على الكلام   مجرد بلع ريقي يعذبني كثيرًا هذا بجانب ارتفاع ضغط الدم   اللهم إني أسألك الشفاء والخلاص من هذا المكان الوباء.

الجمعة ٢٣ أبريل:

في انتظار جودو الذي لا يجيء.

الأحد ٢٥ أبريل:

الحمد لله بدأ صوتي يخرج ويُسمع بعض الشيء إن الفكر الصوفي بجميع طرقه بحر جذبني لأغترف منه مكتشفًا، وعرفت الكثير من ذلك.

الثلاثاء ٢٧ أبريل:

السابعة صباحًا منذ أيام بدأت حملة تراحيل من السجن هنا إلى سجن الحضرة كل يوم يتم نقل عدد من السجناء ولا أعرف هل سيتم ترحيلي أنا الآخر أم لا؟ بالأمس تم ترحيل الشيخ صالح إمام غرفتنا والآن أكتب عن علاء .. شاب جديد هنا أتوا به من سجن الحضرة (أموال عامة) وهو ضابط بحري (مدني)، وحكم ضده بالسجن لمدة خمس سنوات بتهمة تزوير أموال شاب خلوق ومن بيئة راقية ومتدين رحل الشيخ وجاء علاء.

حاليًا يشاركني معيشتي وقد أصبح هو إمام الغرفة نصلي ونأكل ونتكلم سويًا علاء في السادسة والثلاثين من عمره من نفس فصيلتي وقد انضم إلى قائمتي بقوة.

أحن لمفردات عالمي القديم ملابسي ومكتبتي التي تبخرت هي واللاب توب شارعي الذي تربيت فيه وكتاباتي وجلسات أصدقائي ولهذا كله أقول: عفوًا إنني سجين ثمنًا لحب امرأة غادرة!!

***

والله يا مصر لو كنتِ تعلمين كم كنت أحبك ما ظلمتني قط.

الأربعاء ٢٨ أبريل

بعد صلاة الظهر أجلس في التريب وأكتب تأخرت الزيارة كثيرًا مما جعلني قلقًا جدًا هل حدث شيء لأبي التخبط يحاصرني وحولي نماذج من البشر عجيبة لدرجة تجعلني أتساءل عن كنههم هل هؤلاء بشر حقًا كيف أحيا وسط تلك الأشياء؟!!

***

عم علي زميلي في غرفة رقم واحد أيام كنت مسيرًا للعنبر رجل هادئ جدًا وفي قمة الطيبة .. يخدمني بعينه وهو بلدياتي.

في السجن توجد أهمية قصوى للبلديات مهم جدًّا أن تقابل من هو بلدياتك المجتمع هنا يفرض نوعًا من العزوة حسب كل بلد وأهلها متى ينتهي كل هذا وجوه كالحة جهل مطبق ادِّعاء أُمني نفسي بالانسلاخ عن كل هذا يومًا ما أنا وزكي وعم علي وعلاء وعم وهيب والبنا كلنا هنا محاصرون.

***

بعد صلاة العشاء في الآونة الأخيرة أواجه بعض المناوشات والمضايقات من بعض الحثالة أمثال السويسي السويسي كان يشاركني المعيشة وعلاء أعلنت أني غير راغب في مشاركته ومن يومها صار يضايقني ولكني له بالمرصاد الكلمة بعشرة لولا أنه يعلم تمامًا مدى حزم وقسوة إدارة السجن لقتلني بلا تردد أمثاله يعتبرون المتعلم والمثقف والنظيف أعداء أنا لست سهلًا وليس بمثلي يُطعم هؤلاء.

الخميس ٢٩ أبريل:

حوالي السابعة صباحًا اليوم بدأت التجربة الصوفية بدأت يومي بصلاة سنة الفجر والفجر، ثم قراءة الأساس ويليه الفواتح يغمرني شعور جميل ومريح اللهم ارزقني خيرًا في ديني وخيرًا في دنياي، وخيرًا في

بيتي وخيرًا في أهلي، وخيرًا في أصدقائي، وخيرًا في عملي، وخيرًا في معاشي، وتوبة عند مماتي، ورحمة ونورًا في قبري، وسكينة في بعثي، وشفاعة يوم الحساب، ورؤية الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، ودخول الجنة برحمتك، وشفاعة لأهلي والنظر إلى وجهك الكريم اللهم ائتني العلم ملكًا لا يتأتى لأحد من بعدي .. آمين.

***

اللهم لا تجعل لي دعوة وفيها استجابة إلا وللمسلمين خير منها يا أرحم الراحمين .. وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا ونبينا محمد.

السبت ١ مايو:

في الصباح جالسًا مع علاء نراجع الأوراد الصوفية كنت متعكر المزاج لأنني نمت بالأمس من العصر وحتى الآن أي أنني لم أصلِّ المغرب ولا العشاء وصليت فجر اليوم قضاء زد على هذا عدم قراءة أوراد ولا قرآن .. اللهم اغفر لي.

الأحد ٢ مايو:

استيقظت على خبر مفرح وهو الإفراج عن عم علي   أتمنى له التوفيق فأنا أحبه وأحب له الخير.

أكتب هذه الكلمات وبجواري زكي وعلاء "القبطان" وخالد البنا نحن نجد أنفسنا وسط العاصفة ونحاول التماسك   أيام وبتعدي.

"عندها تذكر .. نفس لمعة العينين والانتشاء جاءته لتخبره كم هي مرغوبة كم هي محط أنظار الرجال ما أفزعه حقًا هو سعادتها بنظرات اشتهاء هؤلاء الخنازير لها .. تثرثر وتثرثر:

- قال إنه مستعد يتاقلني بالدهب .. بس قلتله إني مرتبطة.

نسخة طبق الأصل من حبيبته السابقة أدار ظهره وانصرف لاعنًا كونه رجلًا وكونها امرأة"

الثلاثاء ٤ مايو:

قبل فتح الباب علاء نائم بعدما أنهينا صلاة الفجر وسنته، وقرأنا الأوراد والفواتح، وجعلنا ختامها مسكًا بقراءة ما تيسر من القرآن الكريم.

***

بعد الظهر جالسًا في التريب مع زكي وخالد البنا حركة الترحيلات أصابت الكثيرين من العنبر أصبح عدد غرفتنا ٢٢ نزيلًا مما يعني زيادة في عرض الفرشة وراحة أكثر في النوم.

***

ملحوظة: بالأمس فاز الزمالك وتعادل الأهلي الزمالك رسميًا في بطولة أفريقيا أكثر ما يثير الجدل في حواراتي مع زكي -على سبيل الدعابة- هو زملكاويتي وأهلاويته الشديدة و .. ولا زلت قلقًا من تأخر الزيارة.

***

قبل صلاة العصر جلست منهك الذهن قلقًا ..ماذا حدث بالخارج ولأي سبب تأخرت الزيارة اللهم أنزل السكينة على قلوبنا.

الآن فقط أعترف بسر داريته عن نفسي كثيرًا لماذا أتذكرها دائمًا وما سر تلك الغصة في حلقي ما تلك المرارة التي تصاحب تفكيري بها.

عرفتها صغيرة السن ذات سبعة عشر ربيعا طفلة لا تعرف عن الدنيا شيئًا ولا كيفية التعامل مع من حولها عندما بدأت علاقتي معها كنت مجرد عابث كعادتي وقتها وكما كانت تفرضه عليّ ضعف إمكانياتي المادية.. وبدأت تربيتها -بالمعنى الحرفي للكلمة- وتعلقت بي أيما تعلق

عشقتني وأحببت فيها احتياجها الدائم لي، عاملتها كابنتي - صغيرتي - وبدأت أعلمها كل شيء كيف تتكلم وتصف مشاعرها اجتررت شعوري بأول قبلة وعناق ما أن عانقتها حتى بدأت في استغاثة طفولية.. "ماما ماما" ووجدتني أهدهدها وأطمئنها وأربت على ظهرها حتى هدأت بألّا وقرت عينًا.

علمتها العشق والهوى وأيضًا كنت أعلمه لنفسي فهي أول جسد أنثوي لمسته علمتها كيف تلمسني بحب وتقبلني بعشق علمتها كيف تذوب أجسادنا سويًا حتى تختلط علينا أعضاؤنا لا نعرف ساقًا من ذراع.

كنت أعلمها الهوى فوجدتني أتهاوى .. أنسحق .. ضاعت تربيتي الدينية، كان ذلك مع بداية تمردها على العشق وبداية هياجها الجنسي .. تمردت على الإحساس الرقيق بالذوبان الجسدي في الحب تحولت عنه إلى غريزة تهشني وتلتهمني وتطلبني دائمًا، أصبحتْ جسدًا وشهوة فقط وعندها زهدتها فازدادت هياجًا ونهشًا في جسدي كنت أنام معها وأدع نفسي أشاهدها مسعورة فأتركها حتى تفرغ لذتها كاملة دون أن يهتز لي جفن فترتمي بجواري منهكة .. وعارية.

كانت تتوسل لي أن أجعلها امرأة ولكني أبيت وكل هذا لم ينزع الغمامة من على عيني، كنت بغباء ما بعده غباء لم أفطن بعد إلى أنها بدأت ترى في نفسها مبتغى للرجال، وتبحث بينهم عمن يسد حاجتها تحولتْ إلى حيوان ولا يرويها إلا أن ترى نفسها مرغوبة في عيون الرجال، وأن تجمع مالا المال والجنس استعبداها فعاشت من أجلهما فقط، كيف لم أفطن إلى افتتانها بجسدها وجمالها؟! كيف لم أرَ بريق عينها عندما

يرغبها أحد؟! كنت كمن صنع تمثالا فلم يصدق أنه تحرك وقد دبت فيه الروح رغم مشاهدته لهذا بأم عينيه باعتني بحفنة أموال ورغبات في عيون آخرين، وتحولت إلى عاهرة تلك العاهرة رمت بي هنا تلك العاهرة كانت خطيبتي.

***

بعد المغرب لا أعلم لماذا كتبت عنها ربما لأنها السبب في سجني وربما لأنها الدليل الحي على غبائي الدليل الحي على عصر العبودية للمال والجنس وهزلية القانون.

منذ إقامة الدعوى ضدي وأنا أسمع عنها كوارث فضائح يندى لها جبين تربيتي لها، وقد أثبت -بما لا يدع مجالًا للشك- أنني أفشل مربٍّ في التاريخ، وبجانب ما سمعته رأيت بعيني وكان أول الغيث حينما رأيتها بعيني في أحضان عشيقها بداخل سيارته وهي لم تزل بعد خطيبتي والنتيجة طبعًا معروفة.

***

* عندما أخرج من هنا -بمشيئة الله- سأعلق صورها فوق فراشي حتى لا أسمح لنفسي بأية مشاعر تجاه أية أنثى.

وفاء

لم أكن أتصور أن كل هذا ممكن الحدوث ولكنه حدث وأنا غير آسفة عليه، وإليك ما يصدمك حقًا يا عابد إذا كانت الدنيا نفسها مفاتن، فلماذا لا أنتزعها بمفاتني.

***

بدأ الأمر منذ حوالي ثلاث سنوات حينما كنت أتردد على ذلك السنترال القريب من بيتنا والذي كان يديره ثلاثة أو أربعة من الشباب ما بين عامل ومتطوع من أجل باقي المجموعة فكلهم أصدقاء، وكلهم كان يهش ويبش لرؤيتي، وربما اجتمعوا معًا في تلك الفترة التي يستبدلون فيها الشيفتات، وكنا نتمازح ونقول أي شيء إلا الشيء الذي جئت من أجله سواء كان إجراء مكالمة أو شراء كارت شحن أو منزلي واحد فقط كان يتجهم الوجه ويرحل سريعًا إذا أتيت، واحد فقط كان يرفض أن يبقى عليّ قرشًا واحدًا برغم أنني وأمي كنا من زبائن المكان، وكانت هناك صفحة باسمنا في الأجندة العتيقة القابعة في درج الكاونتر الخشبي الذي يناضل الزمن للمحافظة على لونه الأخضر الذي خدش في عدة أماكن، فكان ينزف مللًا ورتابة. كانت حركته ثابتة سواء كنت عنده أو أهاتفه يخرج الأجندة وينظر ببرود إلى صفحتنا قبل أن يغلقها ويلقيها إلى ركن الكاونتر:

- لما ييجي الحاج.

- طب ما عاطف بيديني الكروت اللي عايزاها.

- خلاص أما بيجي عاطف.

فكنت أشعر بغل وغيظ، وأتمنى لو هشمت رأسه قبل أن أغلق الخط بعنف، ما بال هذا الجلف الذي لا يحسن معاملة الجميلات!! نعم أنا جميلة، بل إنني أراني فاتنة وإن لم أكن قد أدركت تلك الحقيقة وقتها.

كنت لم أكمل عامي السابع عشر بعد، وكانت حياتي تنحصر ما بين بيتي وبيت جدتي، جدتي التي أعشقها وأحب أن أقضي معها بقية عمري لاسيما وأن خالي الثلاثيني لا يزال يقيم معها ولم يتزوج بعد، كان خالي قريبًا مني ودائمًا ما كان يأخذني لنتمشى قليلًا في شوارع المدينة في وقت متأخر نأكل الآيس كريم أو نشرب الكولا كان يهون عليَّ ويحنو ويدللني ويمنحني كل ما يسعدني مهما كان بسيطًا؛ لأنه يعرف أن بيتي الذي سيسلمني له كان إلى العذاب أقرب.

منذ سنوات تزوجت أمي بعد وفاة والدي بأشهر قليلة، وكان ناتجًا عن هذا حازم أخي الأصغر.. لم يكن لي أشقاء فأمي كانت الزوجة الثانية لأبي يرحمه الله، ولي منه ستة إخوة كلهم رجال يقيمون بمدينة ساحلية،

وأيضًا كانت الزوجة الثانية لأبي حازم الذي له ولدان من زوجته الأولى، ولا زالت هي الأخرى في عصمته.

هكذا كانت أمي تُحارَب من جهتين إخوتي من أبي الذين يتهمونها بأنها السبب في وفاته، وضرتها القبيحة التي تراها خاطفة رجال وخربت عليها وبالتبعية كان غضب هؤلاء وأولئك ينصبّ على شخصي وقتها كنت لا أعرف عن الدنيا شيئًا سوى محاولات الانطواء في انتظار اللحظة التي أفرفيها إلى جدتي ودلال خالي.

خالي علي يعمل مدرسًا بالنهار النهار بالنسبة له هو آخر اليوم بطبيعة عمله الآخر، خالي على يعمل بفرقة أفراح طبّالا، نعم ولم أخجل من هذا يومًا فلو رأيت أكوام الكتب التي لديه والتي التهمها التهامًا لأدركت أنه جمع خبرة لم ينلها إلا قليل خالي كان يبحر في عالمين .. عالم الكلمات وعالم أبناء الليل.

***

كان وضعي المنغلق يجعلني لا أعرف أن أقول كلمة " لا "، وبالتالي صار من المفروض علي أن أقضي حاجياتي وحاجيات أمي ومتطلبات خالاتي كذلك أنا من أبتاع الخبز للعائلة من الفرن الذي صرت معروفة

لعامليه، وأنا من يتسوق لجدتي وأمي، وأنا من يعد الغداء لخالي كلما كنت عنده وأنظف الشقة من الأتربة المتراكمة في أركانها بالرغم من أن بنات خالاتي في مثل سني تقريبًا لكنهن كُن يعرفن كيف ينتزعن أوضاعًا أرادهن كل هذا وأنا لا زلت أرتدي زي المدرسة الثانوية.

كانت قريناتي في المدرسة -ثانوي فنى- يتحدثن دائمًا عن كائن أسطوري مبهم الحبيب، كل منهن تحكي وتحكي عن مغامراتها وخروجاتها وعن طعم القبل الخاطفة في الأماكن التي تتيح ذلك، كنت أخجل من سماع هذه الحكايات وتحمر وجنتاي فقط لأتلقى سخريتهن بذلك اللقب الذي أطلقن عليّ العسكري، يتهامسن به يتكلمن به يصرخن به في وجهي وينفجرن ضاحكات.

في المساء كنت أغلق على نفسي غرفتي وأخي وبعد أن أتأكد من أنه راح في نوم عميق، كنت أرتدي قميص النوم القصير الذي يكشف عن معظم جسدي وأقف لأتأملني هذه الكنوز لابد أن تدخر لواحد فقط واحد ينتشلني من كل هذا.

في السنترال لم أكن أحب أن أرى (عابد) يتجهم لدى رؤيتي ويتحاشى الحديث معي، كنت أحب أن أرقب عالم الشباب من بعيد، هذا

العالم الذي أسمع عنه الأساطير من زميلاتي ولو عن طريق كلمات بسيطة أتبادلها مع عاطف أو مجدي ولكن كان هذا يثير نفور عابد بشكل ملحوظ إلى أن جاء ذلك اليوم كنت قد اضطررت لمحادثة السنترال في المساء ليحول لي مكالمة على موبايل زوج أمي فوجدت صوت عابد الرزين وقد قام بمحاولة تحويل الاتصال ليجد الهاتف مغلقًا .. وهنا فوجئت بنفسي أحاول أن أقتحمه وأسأله عن سر تجهمه ونفوره مني أثار دهشتي رقته في الحديث وتوبيخاته لي بأن محادثاتي مع الشباب قد تثير الأقاويل وتضعني في صورة هو يعلم تمامًا أنها ليست من صفاتي لأول مرة كنت أشعر أن هناك من يخاف عليّ ووجدتني أعده بألا أكرر هذا.

تكررت المكالمات وأكثر من مرة ظبطت نفسي وأنا أتعلل بلا شيء كي أذهب وأراه لم تقتصر المكالمات على رنين ينبعث من هاتف السنترال كان ينبعث أيضًا من هاتف بيته في أواخر الليل، طلب مني أن يلتقيني في كافيه يومها كانت ساعة يدي تقدم ما يقارب العشر دقائق ونتيجة لهذا وقفت وحيدة أتلقى سخافة الشباب وتعليقاتهم اللاذعة وأخيرًا: ظهر عابد بعدما تلقى مني اللعنات والسباب بما يكفيه لبقية عمره جريت إليه دامعة العينين من فرحتي بقدومه .. كان بمثابة من أنقذني من الغرق

وسط بحر النظرات هذا .. ولأول مرة نامت يدي في كفه .. يومها عرفت أني أحببته.

كان عابد يحبني .. لم يكن بالنسبة لي مجرد رجل أحببته، كان عالمًا كاملًا ومختلفًا وبعيدًا عن واقعي المليء بالكيد الأنثوي والتخطيط والغمز واللمز ورفع الحواجب، كان مثقفًا يعيش في عالم الكتب بل وكان يحيا فيه أكثر من عالمنا هذا مثل خالي علي، كان يعلمني كل شيء بداية من طريقة الكلام والانفعال نفسها إلى كيفية استكانتي في حضنه.

السنترال ملحق به مخزن صغير وبه مكتب خشبي للحاج، وفوجئت بعابد يطلب مني ذات مرة أن آتيه في الصباح الباكر من يوم الجمعة لنجلس سويًا بالمخزن وبعيدًا عن أعين الناس بعد غلق الباب الرئيسي علينا من الداخل كنت مترددة خائفة ولكن صوته في التليفون كان يبعث في قشعريرة لذيذة تشمل أوصالي كلها وتحيط بجسدي الممدد على فراشي .. و وأشتهيه، كان إحساسًا غريبًا عليّ ولكنه كان يهزني ويمتلك كل سنتيمتر مني، وفي صباح الجمعة ذهبت إليه أتشمم رائحة البكور وأتأمل الشوارع التي لم تمتلئ بعد، وأفكر في تجربتي الجديدة التي سأخوضها بعد قليل.

أدخلني سريعًا وسبقته إلى المخزن وقام هو بغلق الباب الزجاجي الخارجي للسنترال ولحق بي أمسك بيدي وهمس في أذني بعبارات الحب.. كلامه حنون دافئ، اقترب مني فشعرت بأنفاسه الحارة تفوح منها رائحة المعجون لف يديه حول وسطي واقترب بشفتيه من شفتاي .. هنا ارتجفت وانتفض جسدي ولم أكن أدرك أنني لازالت بعد طفلة طفلة مذعورة:

- ماما .. ماما .. ماما.

ظللت أرددها وأهتف بها وأنا أنتفض بين يديه، كان رد فعله عجيبًا.. على الفور تحولت لمسته من لمسة عاشق إلى لمسة أب أخذ يهدهدني ويمسح على رأسي ويربت وقتها أدمنت إحساسي هذا أن أكون ابنته أولا وحبيبته ثانيًا استكنت تمامًا وهدأت ومسحت وجهي في صدره كما تفعل الهرة الصغيرة مع أمها، ووصلته الرسالة فأخذ يطمئنني نظر إلى عيني واقترب من شفتاي .. وتغير طعم عالمي إلى الأبد.

***

صرت أسيرة لعشقه ولمساته لم أكن أتخيل أبدًا أن أفقده ذات يوم أو أظن في نفسي صبرًا على فراقه، طلبت منه أن يذهب لأمي ويطلبني منها .. بعد محاولات وترتيبات وإلحاح ذهب إليها كان يريدني بصدق ولم

يكن على استعداد أن يُظهر بادرة توحي بأنه غير جاد، ذهب لأمي في مقر عملها النتيجة كانت معروفة سلفًا أمي زجرته وأفهمته أن راتبه ومهنته لا يشفعان له في مجرد التفكير بالارتباط، وأفهمته أن من واجبه الابتعاد عني لو كان يحبني طلبتُ منه أن يجد وظيفة لا يقل دخلها عن الألف من الجنيهات كانت صدمته قوية وكان مرضي أقوى أصابتني الحمى وقد علمت من أمي أنى لم أتوقف لحظة عن ترديد اسمه أدركتْ أنني أحبه حقًّا وأن عليها أن تسلم بهذا عندما استطعت أن أقف على قدماي هرولت إليه فرأيت دموعه إثر رؤيتي حبيسة مقلتيه وسقطت مغشيًّا عليّ بعد هذا بشهر التحق عابد بالعمل في شركة (..) الشهيرة وتمت خطبتنا.

دخل عابد في دوامات الجمعيات ليتمم الخطبة، وأخرى من أجل الأثاث، وثالثة للشقة التي حتمًا ستكون إيجار جديد وبرغم هذا كان سعيدًا كنت أخفف عنه إرهاقه وتعبه بين أحضاني أتاحت الظروف ذات مرة أن نكون وحيدين في بيته كانت هذه المرة تحمل لنا طعمًا مختلفًا، رآني لأول مرة بين أحضانه بملابس مثيرة نهل من جسدي بعشق وقدمت له ما يرضيه ويرضيني، كان في أعز لحظات شهواته محافظًا على خط أحمر لم يحاول أن يمسسه عذريتي كنت أذهب

لداره في أيام محددة صباحًا كونه يكون وحيدًا فيها تخرج أمه وإخوته ويبقى هو كنت أرتدي كل ما ترتديه المرأة لزوجها وكنت أيضًا لا أرتدي.. أصبح زوجي الذي أحفظ كل جسده أعرف رائحته أشعر بأنفاسه حين يريدني، تجرأت عليه حتى أنني طلبت أن أتولى أنا زمام ما يحدث بيننا وقد كان أصبحت أدمنه أصبحت لا أرتوي إلا من بين شفتيه وأصبح لا ينام إلا على صدري العاري لكن كان لا يزال هناك خط أحمر.. خط أحمر وضعه هو وتمسك به:

- عايز أسيب فرحة الدخلة للدخلة.

يقولها وهو يقترب من عذريتي يقترب بشفتيه .. ويقترب كما بين أي زوجين لكنه حين يؤججني يتراجع فتصبح عملية إفراغ ما بداخلي صبيانية لا أطيقها.

***

تدريجيًا راحت الحماسة الأولى وفرحة الخطبة وبرزت الالتزامات والديون الشهرية برأسها من خلف جسدي ساقية رُبط إليها ولم يعد يقدر أن يتزحزح عنها.. يعود آخر الليل ليرتمي على فراشه كلوح خشبي، لم تعد هناك تلك المكالمات الطويلة بيننا أصبح آخر لا يرى إلا التزاماته

وديونه وإتمام زواجه أصبحت هناك في آخر بؤرة رؤيته وإن كان هذا من أجلي أمه (حماتي) عرفتْ كم يعاني ابنها أصبح عصبيًّا يزجرها ولا يهتم بي، نشبت خلافات دائمة بيني وبينها حيث أنها تراني المتسببة الأولى في معاناته واستدانته كانت الفجوة تتسع بيني وبين أمه وكان عابد قد تغيرت نظرته إلى كل شيء فترسم عليها ما يحولها إلى ورق بنكنوت ليلهث وراءها، لم يعد يتحدث إلا عن الديون والالتزامات اختفت مداعباته وتدليله لطفلته الصغيرة التي كنتها وانعدم إحساسي بلهفته في لمساته لامرأته التي أصبحتها أحيانًا كان يريد أن يطيب خاطري فيبدأ في تدليلي كطفلة فيبدو مصطنعًا اصطناعًا هذا يؤلمني يا عابد يؤلمني لا أريدك مفتعلًا ولم أعد تلك الطفلة لقد نضجت أرجوك لقد نضجت وأصبحت أحتاجك أشتاقك أريدك وأشتهيك، ذات يوم صرخت فيه أني لم أعد طفلة ولن يرضيني تدليله لي كما لو كنت ابنته أنا الآن امرأة ناضجة تريد رجلها، وقتها صمت لكني قرأتها في عينيه أنا بالنسبة له عبء ثقيل يذكره بديونه أصبحت شهوته ترفًا ليس مطلوبًا الآن كان ردي أن اجتحته التهمت جسده الذي أسلمه لي دون رد فعل .. ولما انتهيت طلبت منه أن يجعلني امرأة نعم طلبت منه هذا كي لا يفلت مني وكي أكبله فلا يتركني كان هذا قبل أن تمنعني أمه من الذهاب إلى بيتها دون وجودها.

***

كنت قد تلقيت ذلك الاتصال الجاف من أمه جاء صوتها مليئًا بالغيظ والكراهية:

- أنتِ كنتِ عندي في البيت الصبح؟

- أيوه يا ماما.

ما تخطيش البيت ده إلا لما أكون أنا موجودة فاهمة؟!! تيت تيت..تيت.

نشب خلاف بين عابد وأمه وإخوته بسببي، وقد بلغ الخلاف أوجه حينما كان عابد يتناول الغداء معنا وفوجئنا بأمه تقتحم علينا البيت لتوبخنا على أننا أدخلنا ابنها في التزامات وجمعيات لا قبل له بها وأنه غارق في الديون بسبب إلحاحنا في إتمام الزواج كان قد مر على الخطبة أكثر من عام ولم يوفر عابد سوى غرفتين بالتقسيط دارت مشادة كلامية بيننا وبين أمه، وأما هو فكان صامتًا كالأسماك وانتهى الأمر بأنها غادرت حانقة تدعو على ابنها، وأصرّت أمي على أنها جاءت فقط من أجل إفشال الزواج لأنها تكرهني ولم تعد تطيقني وصاحت في عابد بأن عليه إتمام الزواج سريعًا لو كان يريدني حقًّا ولو كان يريد إنهاء الحرب بيننا وبين أمه لم يرد ورحل زائغ العينين.

فصل عابد من عمله لم يعد هناك دخل يسد به ديونه علمت فيما بعد أنه فصل لأنه حاول الحصول على أموال عن طريق غير شرعي، لا زالت أجهل ماذا فعل حتى الآن، وانهار عابد زالت ابتسامته وشحب لونه، وفقد وزنًا ملحوظًا لكني لا زلت أحبه ولقد فعل ما فعل من أجلي.. قررت أن أسانده مهما حدث أعطيته الشبكة ليبيعها ويسد ديونه، وادعيت أني أضعتها كنت أنتظر أن يجد عابد عملًا آخر سريعًا لكن هذا لم يحدث فقد أصبح سيء السمعة في مجاله هذا، وتوقفت مسيرة الزواج وأصابني الغم واليأس كان هذا حين لعبت أنغام قريبتي دورًا كبيرًا في حياتي.

وقتها كدت أجن من رغبتي في رجلي واشتياقه له وحاول عابد أن يرضيني فكان يتبادل معي مكالمات جنسية، في نهاية كل ليلة كنا نتحدث لساعة أو أكثر لنتبادل تخيل جميع الأوضاع الجنسية التي تحدث بيننا طلبت منه -على الأقل- أن يمتعني بعلاقة جنسية كاملة حتى ولو في عالم الخيال كان يتحدث .. يتنفس يلهث .. يتأوه في خشونة، خليط ينصب في مشاعري وانفعالاتي لتعرف يدي طريقها بين فخذاي وأفرغ شهوتي وحينما أنتهي كان عابد يعود هادئًا في لحظة واحدة حتى هنا كان يمثل ليرضيني كان يسد حاجتي فقط، أيقنت أني قد فقدت رغبته في إلى الأبد.

كنت قد ذبلت بدوري وطفح الهم على ملامحي وقد ذهبت مع أمي مرغمة لزيارة أنغام قريبتي وأمها أنغام مطلقة ولديها ولد ولكنها لا زالت تحتفظ بسحرها الأنثوي وهي تدرك هذا جيدًا وتعرف كيف توظفه كانت تجيد اختيار فرائسها واحد من الوجوه المكتنزة اللامعة فاغرة الأفواه يسيل لعابها حين يرى ساقيها العاريتين تبرزان من أسفل الجوب القصير، هي تعرف كيف تكون فعالة كاسحة ضحكة همسة نظرة إغراء .. دلال بإيحاء جنسي .. وهكذا ينهمر شلال النقود عليها وعلى ابنها وبدأ الضغط النفسي عليّ أنت جميلة فاتنة، هناك من يدفع آلاف الجنيهات كي يظفر بضحكتك ونظرة راضية ألا تنوين تغير هذا الثوب الذي يخفي هذه الحلاوة والطراوة عابد لا يستحقك، أنت أغلى وتساوين ثقلك مالا ما الضرر من أن تتعرفي هذا أو ذاك كنت أحاول أن أفر .. لكن عابدًا كان يبتعد كان همه فقط هو الحصول على الأموال لسداد ديونه، وقد تماديت في مساعدته حتى أنني بعت من أجله مشغولاتي الذهبية الخاصة كي يسدد أقساط الجمعيات وباقي ديونه التي لم أعلم لها آخر، أصبح يمثل لي الهم والغم في حين كنت أرى ما أتمناه يركع تحت أقدام أنغام بهمسة مدللة وبدأت في مراجعة نفسي ما الشرف هل هو ذلك المعنى المزيف الذي يجلب الهم والفقر .. وهل كان ما أفعله مع عابد شريفا؟ هل لو فعلت ذلك مع غيره يكون هناك فارق؟!! وجدت أن الفارق هو حصولي على ما أبغيه وأن أنال ما أريده بمجرد التلميح عنه، إن أمي تعلم تمامًا ما تريدني أنغام أن أفعل وهي موافقة

عليه طالما أنه سيعوضني ما خسرته بل ويزيده الكثير.. لم لا وهي نفسها تركت أبي من أجل زوجها الحالي نعم هكذا أخبرتني جدتي، إن أمي كانت متزوجة من أبي حين ظهر زوجها الحالي في حياتها بصفته صديق لأبي أخبرتني أن أمي قد فرت من أبي (الذي يكبرها بعشرين عامًا) كي تذهب لحبيبها (زوجها الحالي) وانقعطت أخبارها حتى علم أبي بما فعلته فطلقها ومات محسورًا على ما فعلته.

***

جدتي كانت تكره زوج أمي بشدة، وكانت لا تذكر أبي إلا بالرحمة والحب وتنسج حوله كل ما ينسج حول الصالحين الطيبين في حين كانت أمي تردد حين أسألها عن هذا:

- ستك مش عارفة حاجة.

يومًا ما حكيت لعابد من بين دموعي ما عرفته من جدتي، وقتها كان عابد الذي أحبه، أخذ يهدأني ويؤكد أنه لا يهمه أي شيء سواي، فنمت في حضنه ملء جفوني راضية.

والآن لم يتبقَّ من ذلك شيء بدأت أمي تعامله بجفاء وقرف واضح.. كنت قد أحضرته وواجهته بما فعلته من أجله أمام أمي بدا كمن أسقط في يده واربد وجهه وأفهمته أمي بجفاء ألا يريها وجهه إلا

بعدما يحضر شبكة جديدة وفوق هذا أن يرد ما أخذه، ولا كلام قبل أن يحدث هذا في نفس الوقت كان قد انزوى عن أهله مرغمًا وأصبح منبوذًا وحيدًا.

***

هكذا حسمت أمري ولكن يتبقى أمر واحد لابد أن أنزع عابدًا نزعًا من حياتي ومن قبل هذا أن أسترد أموالي منه ذهبت وأمي إلى النجار المعني بأثاثنا وبعته إياه كانت فاتورته باسمي وقد حدث هذا نكاية من عابد في أمه كان عابد قد سدد ثمنه مؤخرًا وأجَّل تسليمه لحين إتمام الزواج، رتبت كل شيء مع أمي دعوته إلى البيت برفق ولين أحضرت إيصال أمانة وختَّامة وطلبت منه أن يوقع الإيصال فارغًا ليثبت لأمي حسن نيته كان يتصرف بلا وعي وباستسلام وقد فعل فور طلبي ووضع بصمته على الإيصال، ولقد قمت بأخذ بطاقة رقمه القومي ودوَّنت بياناته عندي ولم يكن في حالة تسمح بالاعتراض من فرط ذهوله.. أو لنقل وثوقه بأن الأمور لن تضطرنا لاستخدام الإيصال ضده.

في ليلتها خلعت دبلته من إصبعي -وكنت ارتديها في بنصر اليد اليسرى- وتزينت وذهبت إلى أنغام التي كانت تتابع معي الأحداث بالسؤال لا يفوتها منها شيء، وعن طريقها تعرفت (باسم) شاب وسيم ثري

يمتلك سيارة (بي إم دابليو) من طراز السنة، ودعانا إلى مطعم فاخر وامتدت السهرة إلى ما بعد منتصف الليل، ولما تركته كان قد صار بين أصابعي أقلبه كيفما شئت.

كانت مكالمات عابد تأتيني ليلًا ليجد نفسه رهن الانتظار لمدة ساعتين وأكثر .. كنت أتعمد هذا كي يجن جنونه وجاء اليوم الذي رآني فيه مع باسم داخل سيارته، وقتها لم أعلم أنه رآني، رجعت من الخارج فوجدته يغلي بانتظاري انفلتت أعصابه تمامًا وسبني وسب أمي في اليوم التالي قمت برفع دعوى خيانة أمانة ضده بعد ملء خانات أسماء الدائنين بأسماء زميلين لأمي بالعمل وقد تولى رفع الدعوى ضده محامٍ جارنا متزوج ولديه أطفال، وهو أيضًا واحد من الوجوه فاغرة الأفواه سائلي اللعاب حين ينظر لجسدي.

لتدفعن الثمن غاليًا يا عابد أنت والحدأة أمك .. ولنرَ من الأقدر، أنت أم أنا وأمي العاهرات كما دعوتنا، لنرَ.. وسترى.

عابد

الأربعاء ٥ مايو:

بعد صلاة الفجر منذ أمس وتتملكني حالة من الضيق والتعب والقلق ولاسيما بعدما كتبت ما كتبت وكنت أتصور أن يريحني إخراج ما بنفسي على الورق إلا أن هذا جاء بنتيجة عكسية وكان وبالًا عليّ هذا بجانب الفاقة الشديدة التي أعيشها هذه الأيام لا سجائر ولا سكر ولا شاي ويضاف إلى هذا أن ديوني قد وصلت إلى أربعين علبة تبغ كاملة ولكم أن تتخيلوا مدى ضيقي هذه الأيام.

***

بعد صلاة المغرب اليوم انضممت إلى فريق السجن لكرة القدم كانوا قد مروا صباحًا يطلبون من يرغب في اللعب فسجلت اسمي وخرجنا إلى الملعب الكبير، وقفت في مركزي كحارس مرمى قديم وفي النهاية تم اختيار مجموعة منا للانضمام لفريق السجن.

دخل مرماي هدفان ما كان يجب أن يدخلا.

الخميس ٦ مايو:

اليوم هو اليوم ١٢٠ داخل هذه الأسوار اللعينة.

***

أكتب بعد عودتي من الزيارة رأيت أمي واطمأننت عليها وعلى إخوتي، أما عن أبي فحالته متدهورة للغاية وقد تم حجزه بمعهد القلب بإمبابة أدعو الله أن يشفيه ويرده إلينا بصحة وعافية، كان لقائي مع أمي ضاحكًا باسمًا قدر ما استطعت حتى لا أبين لها كم المعاناة التي أعانيها آه يا أمي ما عندي أغلى منك يا من أقدم روحي تحت قدميك راضيًا، حماك الله ورعاك وأبقاك راضية سعيدة آمين.

أبي بحاجة إلى مبلغ كبير حتى يُجرى له عملية جراحية بالقلب اللهم ارزقنا اللهم اشفه آمين.

الجمعة ٧ مايو:

السابعة والنصف صباحًا إن الحمد لله الذي من عليّ بزيارة أمي أمس بعد القلق وطول الانتظار، أصبحت لدي وفرة في السجائر والشاي والسكر، وحالتي النفسية تحسنت كثيرًا لرؤية أمي رغم تدهور حالة والدي الصحية والنفسية بسببي، أدعو له بالشفاء.

شعرت بحزن كبير حيث لم يبعث أحد لي مع أمي ولو بخطاب واحد.

***

مع زميل جديد هنا في الغرفة وجدت مجلة الشباب، ولما تصفحتها أعجبتني وأنعشت روحي بقراءة مقالين لأنيس منصور ود. أحمد خالد توفيق.

الأحد ٩ مايو:

جالسًا أكتب الغريب أنني نسيت كيفية الكتابة وأنا جالس إلى منضدة أو إلى مكتب.

الطقس حار جدًّا هذا بالإضافة إلى الزحام ومحدودية الحركة، فقد ازداد عددنا من جديد، ويترتب على هذا الخليط شعور بأنك في الجحيم ذاته وتصير فكرة الانتحار لا بأس بها إطلاقًا.

مفردات حياتي هنا هي:

- الفرشة.

- أواني بلاستيكية.

حاجياتي الخاصة (ملابس كحلية- صابون- فرشة أسنان ومعجون- لوف).

- شاي / سكر / تبغ.

- أوراق وقلمي.

بينما توجد هنا عدة طرق لتزجية الوقت:

- التريض صباحًا في التريب.

- بعض من صادقتهم (زكي- علاء- البنا).

- التلفزيون (وهو ما أعاد إليّ الإحساس القديم بالتخلف العقلي حيث لا توجد سوى قناتين: الأولى والثانية).

وها هي حياة كاملة هنا لا تتعدى ورقة مكتوبة.

الثلاثاء ١١ مايو:

بمجرد فتح الباب اتجهت مباشرة إلى التريب وجلست لأكتب وسأكتب لمحة عن الدلالين في السجن يعد هؤلاء مراكز قوة لأنهم يسيطرون على الموارد المادية للسجناء بنسبه ٨٠% سواء كانت حوالات بريدية تحولت إلى بونات صرف من الكافيتريا أو دخان فسياستهم أن يمولوا السجين يوميًا بما يحتاج من شاي وسكر وسجائر وأحيانًا الدواء -ليست كل الأدوية مباحة في السجن- مقابل أن يضعوا أيديهم على كل ما

يأتي به أهل السجين من حوالات ودخان .. ويكرروا عملية التمويل اليومي مقطرة وعلى نطاق أضيق حتى تنفذ ذخيرة السجين التي هي في يدهم أصلا، ويظل السجين منتظرًا أن يحن عليه الدلال ويلقي له بأي شيء من دخان وما إلى ذلك وبالسليقة نفهم أن بضاعتهم تباع للسجين بثلاثة أضعاف سعرها الأصلي، وهكذا يظل السجين مدينًا للأبد ولا أعلم هل دخل حكماء صهيون السجون المصرية ليضعوا برتوكولاتهم أم أنهم تعلموها من هؤلاء؟!!

***

بعد صلاة المغرب جلست أتذكر مناقشة دارت مع زكي حول ما كتبته يوم الثلاثاء الماضي عن خطيبتي السابقة ويرى زكي أنني كنت مخطئًا وأنني المسؤول عن خلق العاهرة بداخلها، فأنا أول من فجر رغبتها وكان عليّ أن أشبعها شبعًا كاملًا أو كنت امتنعت عنها من الأساس وتركتها طفلة لا تعلم عن الجنس شيئًا، بل ويذهب زكي في استنتاجاته إلى أنني لو كنت عاشرتها معاشرة كاملة ما كنت سُجنت أصلًا الغريب أنني أوافقه تمامًا!!

الأربعاء ١٢ مايو:

بعد التمام .. تهوية وشاي وسجائر وزكي لا جديد.

الخميس ١٣ مايو:

بعد صلاة المغرب كان اليوم مرهقًا فقد كنا نقوم بحملة نظافة للغرفة وهي تشمل إخراج الفرش إلى التريب ونفضها وتنظيفها ريثما يتم تنظيف الغرفة وغسلها بالماء والكلور توطدت صداقتي بعلاء بشكل كبير، حدث اليوم موقف طريف حيث أصيب علاء بكريزة ضحك جعلته يتمرغ على أرضية التريب إثر سماعه لي وأنا أقلد بعض الشخصيات من زملاء غرفتنا مثل ناصر والسويسي ومحمد يوسف وأيضًا عوكل واللمبي.

السبت ١٥ مايو:

ازدادت ساعات نومي إلى حد فلكي .. لم أعد منتظمًا في الصلاة ولم أعد أواظب على أوراد الطريقة الشاذلية الدسوقية .. ماذا دهاني؟!!

الأحد ١٦ مايو:

بعد صلاة العصر .. بدأت يومي بصلاة الفجر وسنته، ثم نمت إلى أن فتح الباب والتقيت زكي وقرأ ما كتبته في السيناريو وأعجبته المشاهد

الأخيرة، كنت أرى داخله فخرًا طفوليًا عندما يقرأ دوره في السيناريو فقد جسدت شخصيته الحقيقية داخل فيلمي بعد هذا صلينا الظهر واتجهنا إلى التربة الأول -كل عنبر به أربع تربيات لكل رُبع اثنان- وهناك رأيت زكي يلعب الطبق الطائر -بغطاء بلاستيكي- مع زملائه بالغرفة كان مفعم بالحيوية وهمهمت لنفسي: "طفل كبير كنت أتمنى مشاركته اللعب لكني مصاب بالتهاب في فتحة الشرج نتيجة للإمساك الذي أعانيه هذه الأيام نتيجة لسوء التعيين الميري اللعين.

الاثنين ١٧ مايو:

بعد التمام اليوم صرفت الحوالة التي أودعتها لي أمي أدعو الله أن يبقيها لي ويرزقها رزقًا واسعًا وأن يشفي أبي سددت ديوني ولله الحمد.

المشاهد التي أنوي إضافتها إلى السيناريو قوية جدًّا وسأكمل إن شاء الله حتى أنتهي منه وأعالجه المعالجة الأخيرة.

***

أكثر ما أسعدني هنا هو أنني ساهمت في تعليم بعض الأميين القراءة والكتابة ما أدخل السعادة إلى قلبي أكثر هو أن تلاميذي أحرزوا تقدمًا ملحوظًا خلال ثلاثة أيام فقط.

الثلاثاء ١٨ مايو:

بعد التمام مر الصباح كالعادة مع زكي اليوم سيكون حفل إفراج عم وهيب وقد أهداني كتاب قصة العهد القديم.

الأربعاء ١٩ مايو:

السابعة صباحًا موقف رهيب حدث بالأمس، بعد صلاة المغرب كنت جالسًا أقرأ رفعت رأسي لأجد مجموعة من المخبرين ورجال المباحث داخل الغرفة ولا أدري متى دخلوا ولا كيف لم أشعر بهم !! جاءوا لتفتيش الغرفة.

أخرجونا إلى الممر وأوقفونا ووجوهنا إلى الحائط ريثما ينتهون من تفتيش الغرفة. كان شعوري وقتها قد وصل إلى ذروة لم أعهدها من قبل من الهلع والذل والمهانة ماذا لو كلف أحدهم نفسه وقرأ ما كتبته؟ مضت دقائق من التوتر مرت كدهر كامل وفجأة سمعتهم يأمروننا بالعودة

إلى الغرفة فدخلنا لنجد الفوضى ضاربة أطنابها في كل سنتيمتر كان على كل منا أن يلملم أشياءه المبعثرة، كانت حاجياتي كاملة لم تمس إلا أن عبد الله ويسري قد أعلنا عن فقدهم لبعض علب الدخان والبسكويت وبونات الصرف.

عرفت أن حملة التفتيش هذه كانت بسبب أن هناك من أوشى بعباس عند الإدارة من هو وبماذا أوشى؟ لا أعلم ولا يعنيني أن أعلم، على العموم هم قد جاءوا ولم يجدوا شيئًا فقط استرجعت شعوري وقت أن كنت في الممر ووجهي إلى الحائط وقتها دعوت الله ورفعت يدي -في الخفاء- إلى السماء:

"اللهم يا مالك الملك وملك الملوك، لا تسلط علينا من لا يخافك فينا ولا يرحمنا اللهم ارحمنا رحمة تغننا بها عن رحمة من سواك" أتذكر أنني كنت أدعو بعينين دامعتين.

وعندما دخلت وقعت عيناي على فرشتي، وكان ملقى عليها السيناريو مفتوحًا على صفحة الغلاف ولمحت عنوانه "ربع مواطن"

مشهد ٢٩
نهار / داخلي
مكتبة السجن

▪ مكتبة واسعة محاطة بأرفف الكتب وتتوسطها مائدتان طويلتان يجلس عليها السجناء.
▪ يوسف وزكي متجاوران.
▪ سجناء يدورون حول الجالسين ويبدو أنهم متصنعون بالمكتبة.

يوسف: الفهرس فين يا جدعان؟

▪ من المائدة الأخرى ويشير بمجلد ضخم.

فهمي: معايا هنا أهو.

▪ يبتسم لفهمي وهو يكلم زكي.

يوسف: ده الدكتور فهمي دكتور تخدير مستجد معايا في الأوضة إلا أخبار أوضتك أنت إيه؟

زكي: عادي إشمعنى؟

يوسف: بفكر أكلم المسير ينقلني معاك.

زكي: وماله بس لسه هاتدخل ورا الباب أنت قربت تطلع المراية.

يوسف: الأوضة عندك أنضف.

زكي: يا عم، أهو كلها نومة وأدينا بنتقابل لما الباب بيفتح.

▪ مهمومًا.

يوسف: على رأيك أهي دفنة وخلاص.

زكي: يا بني فكك بقى من اللي أنت فيه ده خلي مدتك تعدي.

يوسف: أمي وحشتني أوي وبيتنا وأخويا وكل حاجة.

زكي: أنت عارف إيه أكتر حاجة وحشتني؟

يوسف: إيه يا عم المتفائل؟

▪ يوسف يضحك بشدة ويصافح زكي على طريقة كفك.

زكي: النسوان!!

▪ يصمتان فجأة إثر سماعهما الصوت.

ص . خ: هش ش ش ش الصوووووت.

مشهد ٣٠

نهار / داخلي

السجن ▪ التريب.

▪ يوسف يمشي في ضيق وسط أجواء التريب ويأتيه زكي مسلّمًا عليه.

زكي: صباح الفل إزيك يا جو.

يوسف: زفت!!

زكي: مالك تاني صباح النكد يا عم.

يوسف: عم فوزي تعبان أوي.

▪ ببساطة.

زكي: بلغه مستشفى.

يوسف: بلغت مجدي بس الراجل تقريبًا بيخلص.

زكي: لا حول ولا قوة إلا بالله.

يوسف: عارف اللي يموت هنا .. لما أهله ييجوا يستلموا جثته بيدفعوا عشرة جنيه ونص تمن البطانية الميري اللي

اتلف فيها عيشة كلاب
وأكل تقرف تشوفه وإهانات
وضرب وشتايم من مخبرين ولاد

▪ يشده في اتجاه مخرج التريب.

زكي: طب بسسسسسس اسكت بقى تعالى معايا نشرب شاي عندي اهدى كده ووحِّد الله.

▪ يصبح.

يوسف: خلهم هما يوحدوه الأول الكفرة ولاد الكلب.

مشهد ٣١

فجر / داخلي

السجن ▪ غرفة يوسف

▪ فوزي الذي ينام بجوار يوسف يجاهد كي يلتقط أنفاسه ويصدر أصواتًا توحي بعسر التنفس فيستيقظ يوسف مفزوعًا ويسنده إلى صدره.

يوسف: عم فوزي مالك يا عم فوزي حد يلحقنا يا إخوانا.

▪ صائحًا.

▪ يستيقظون تدريجيًا ومن بينهم عماد وعباس وفهمي ومحمود ووهيب ويهرعون إلى فوزي.

▪ يتكلم بصعوبة ▪ يحتضر

فوزي: خلاص يا بني خلاص وصلنا النهاية خلاص عايزك بس تشهد على إني ما كنتش عايز غير فرحة بنتي وإني بأحبها أوي الإيد قصيرة يا بني

▪ رد فعل على الوجوه.

(موسيقى مناسبة)

▪ يوسف يبكي.

خلي بالك من نفسك
ربنا يفك سجنك.

▪ يرتخي جسد فوزي بين يدي يوسف.

ينظر لفهمي متوسلا.

يوسف: دكتور.

▪ فهمي يزيح يوسف جانبًا ويسمع قلب فوزي ويقيس نبضه.

▪ متأثرًا.

فهمي: البقاء لله.

▪ يوسف يقف مذهولا

▪ رد فعل على الجميع ولا ينطقون.

▪ فجأة يجرى يوسف إلى باب الزنزانة ويضرب عليه بشدة.

▪ صارخًا (كريشندو[13]).

(نغمات مدوية صاخبة تصاحب طرقات يوسف على الباب)

يوسف: عم فوزي مات يا حكومة
يا زكي عم فوزي مات
مادة ٣٤١ عم فوزي
مات يا حضرة القاضي
عم فوزي مات يا

---

[1] أداء تصاعدي ـ والكريشندو في الأصل مصطلح موسيقي.

سيادة المأمور عم
فوزي مات يا عالم يا
هوه مات يا ظلمة
مااات تمنك يا فوزي
تلاجة يا مصر فوزي
مات يا مصر.

- وهيب يرسم الصليب في فزع.

(ولا نزال نسمع النغمات مختلطة ببكائه)

- ينهار يوسف على ركبتيه وينشج بالبكاء.

- إظلام تدريجي -

مشهد ٣٢

نهار / خارجي

السجن ▪ أمام العنبر

▪ يوسف وسط مخبرين يضربونه بقسوة تحت إشراف رائد (قائد المجموعة) وأمام حشد كبير من السجناء.

مخبـــر: عمل لي فيها ثورجي يابن اللايدة.

▪ وهو يلكمه.

▪ تنهال الضربات استسلام تام من يوسف الذي بدا على وجهه وجسده آثار الضرب والإهانة.

▪ مخبر يلقيه على الأرض أمام الرائد.

▪ بحزم.

الرائـــد: بص يا يابني أنا ممكن بص يا يابنى ..أنا ممكن أدخلك تأديب وأسجل

الواقعة في ملفك خلي مدتك تعدي على خير بدل ما تقضي السنة بتاعتك كوامل أنا هأطلع جدع معاك عشان أنت شكلك ابن ناس ارموه في أوضته.

- وهو يربت على خد يوسف بقوة.
- للمخبرين.
- يسرع المخبرون في حمل يوسف ويدخلونه إلى العنبر ليتلقاه زملاؤه (زكي ومحمود).

- الرائد ينظر للسجناء شذرًا وكأنه ينذرهم من أن يتعدى أحد منهم حدوده.

مشهد ٣٣
نهار / داخلي
السجن ▪ التريب

▪ يوسف يجلس على الحصيرة مهمومًا ويدخن (عليه آثار جروح قديمة) ويأتي إليه زكي ليجلس بجواره.

زكي: سيادتك بقى ناوي ترجع لحالتك الطبيعية إمتى الراجل فات على موته شهران عادي قضاء الله هتعمل إيه يعني؟!

يوسف: أنا مقهور على نفسي أنا كمان ممكن أموت هنا مش حرام عشان حتة ورقة وسخة أترمي هنا ظلم!!

زكي: قدر الله وما شاء فعل وبعدين أنت اللي حمار

بقولك إيه إيه رأيك في
كباية شاي وسيجارتين
يعدلوا دماغك المخرومة
دي قوم قووووم .. ماله
السجن زي الفل .. وأهم
بيحرسونا من الغابة اللي
بره وبعدين إحنا هنا
تحالف قوى الشعب
عمال فلاحين موظفين..
رجال أعمال كله في
الكلابوش.

- يقف ويجذب يوسف للخروج إلى غرفته ويوسف يطيعه تدريجيًا.

- يشير لنفسه وهو يقول رجال أعمال.
- يوسف يبتسم.

مشهد ٣٤

ليل / داخلي

السجن ▪ غرفة يوسف

▪ أجواء الغرفة كما نراها دائمًا.

▪ يوسف يعد الشاي لشخصين باستخدام براد كهربائي "هيتر" ويتوجه نحو فرشة وهيب.

يوسف: أحلى شاي لأحلى عم وهيب في السجن.

وهيب: يعني هو لازم تفكرني.

يوسف: إيه يا عم وهيب أنت ماحدش قالك أننا اتسجنا ولا إيه؟!

▪ وهيب يضحك بشدة.

▪ وهيب يخرج بضع سجائر (كيلوبترا) من جواره وهي بخلاف نوع السجائر الذي نراه يدخنه وهو (مارلبورو) ويعطيها ليوسف.

وهيب: خلي دول معاك.

يوسف: والله يا عم وهيب مش عارف أودي جمايلك دي فين؟!

وهيب: أنا بأحب أساعد الناس الكويسة اللي زيك إلا قولي حد مدايق أنك بتقعد معايا هنا.

يوسف: لالا عشان أنت مسيحي يعني إحنا أعقل من كده يا عم وهيب وبعدين لو دورت هتلاقي تقدير غير عادي للسيد المسيح والسيدة العذراء في القرآن.

BC▪ يوسف يبتسم.

وهيب: طبعًا أنا قريتها وحافظها كمان الآيات دي!!

BC▪ وهيب يبتسم.

مشهد ٣٥

فجر / داخلي / خارجي

السجن ▪ غرفة يوسف

▪ الكل نيام ويوسف يجلس على فرشته ويكتب في أجندته.

▪ شاردًا لبضع ثوان ثم يبدأ في الكتابة.

ص

يوسف: كعادتي منذ الطفولة لا أجدني أعرف طريقة للتعبير عما يجيش بصدري سوى أوراقي والقلم

سأكتب عن طعامي

الفول المحشو بالسوس

والعدس المخلوط بالرمل

والخبز الأسود الذي تعافه الكلاب.

القمل يفترش الأجساد

والبق يمرح بكثرة لا تجدي معها أية محاولة للإبادة

(لقطات فلاش باك ▪ فوتو مونتاج)

ن / د ما بين الغرفة والتريب

▪ يوسف يخلع فانلته الداخلية وينقي القمل منها. ▪ صرصور يمشي على الخبز الأسود. **عودة للحاضر**	والصراصير تزحف في كل مكان وفوق طعامنا في حرية تامة لا يتمتع بها أحد من السجناء لم أكن أتخيل أن السجن بهذه القسوة.
▪ لقطة من أعلى تبين مساحة الغرفة.	أما عن النوم فهو عبارة عن الحشر مضغوطًا على جانبي وسط ثلاثين رجلًا داخل مساحة ٦ م في ٤ م.
▪ هنا نخرج من الغرفة المغلقة إلى الممر في بطء ومنه إلى خارج العنبر ونرتفع إلى أعلى لنكشف المساحة الهائلة للسجن (Bird's eye) ولا نزال نسمع صوت يوسف.	إن كل ما سمعته وشاهدته في السينما والتلفزيون لا يصور على الإطلاق حقيقة ما يحدث في هذا العالم الغريب الشاذ عالم تمتهن فيه كرامة المسجون وتهدر

آدميته وتستباح إنسانيته
إنني أقف بالضبط على
الخط الفاصل ما بين
الإنسان والحيوان.

■ صوت محمد منير ويطغى تدريجيًا على صوت يوسف بعدما ينتهي.

منيـــر: **(بيني وبينك سور ورا**
سور ..
وأنا لا مارد ولا عصفور ..
وفي إيدي ناي .. والناي
مكسور)

مشهد ٣٦

نهار / داخلي

السجن ■ التريب

■ يوسف وزكي والأول يبدو غاضبًا.

زكي: خير يا أستاذ قلق عايزك عايزك ع الصبح كده من غير ما نفطر حتى.

يوسف: قرفان يا زكي قرفان الظلم مر أوي تعبت وكل ده ليه.. عشان حتة مومس؟ .. في شرع مين ده؟!!

■ بعصبية.

زكي: وهو مين اللى عاملها مومس مش أنت.

■ بدهشة.

يوسف: أنا !!

زكي: أيوه أنت اسمعني كويس واقبل الكلام.

يوسف: اتفضل يا سيدي وقابل كلامك وإلا ماكنتش حكيتلك عل على كل حاجة من الأول.

زكي: اتفقنا دلوقت وفاء كانت قطة مغمضة تقوم سيادتك

زكي: اتفقنا.. دلوقت وفاء كانت قطعة مغمضة.. تقوم سيادتكم عشان تدوق معاها الجنس تعلمها كل حاجة .. ولما هي تيجي تطلب علاقة كاملة ترفض قال إيه خايف من ربنا وخايف عليها اللي حصل إنك فجرت شهوتها وهوب منعت نفسك عنها طبيعي جدًّا إنها تاخد اللي هي عايزاه من حد غيرك يعني أنت في نظرها بالعربي كده مالكش في النسوان.

* رد فعل على وجه يوسف.

يوسف: يعني إيه الكلام ده أنا كنت بأحافظ عليها.

* باستنكار.

زكي: يعني أنت لو كنت نمت معاها.. ماكنتش اتحبست أصلا أنت دمرتها وهأقولك إزاي مين خسر أكتر أنت

ولا هي؟

▪ في سرعة للتأكيد. يوسف: أنا طبعًا.

زكي: لا مش طبعًا أنت خسرت شغل وشوية فلوس وكام شهر حبس طظ ولا حاجة تقدر تعوض لكن هي بقى تقدر ترجع زي ما كانت؟ المعجون ما بيرجعش الأنبوبة لو خرج فهمت؟

▪ يوسف ينظر لزكي متسمرًا ولا يرد.

مشهد ٣٧ / ٣٨

فجر / داخلي

قطع بين غرفة الأم و زنزانة يوسف

▪ الأم على سجادة الصلاة وتدير رأسها يمينًا في تسليم الختام.

الأم: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

▪ ديزولف مع يوسف يصلي على فرشته إمامًا ببعض زملائه (محمود، فهمي، عماد) والباقي نيام يوسف يختم الصلاة مديرًا رأسه إلى اليسار بحيث يكمل السلام الثاني لختام الأم ومن بعده يختم زملاؤه الصلاة همسًا.

يوسف: السلام عليكم ورحمة الله.

(صوت همسات ختام زملائه للصلاة)

▪ يوسف يشرد قليلا مع تغير وجهه إلى أن تدمع عيناه.

يوسف: يا رب أنا أستاهل.

▪ همسًا.

مشهد ٣٩

نهار / داخلي

السجن ■ غرفة يوسف

■ الباب مغلق على الجميع ويبدو أن الجو حار وخانق.

يوسف: هما مافتحوش النهارده ليه؟

فهمي: النهارده عيد العمال يا سيدي.

عباس: هو كده أي عطلة رسمية والجُمع ما بيفتحوش.

■ ضاحكًا.

وهيب: هذا حق.

محمود: سعادتك أنت هنا مسجون لما يفتحولك في الإجازات هيروحوا بيوتهم ويعيشوا حياتهم الطبيعية إمتى؟

■ بسخرية.

عماد: النهارده يوم المنح

▪ يضحكون جميعًا.

والعلاوات.

▪ الباب يفتح والشاويش يصيح من الخارج.

ص

▪ سجين نائم خلف الباب يرفع فرشته كي يفتح الباب.

الشاويش: ظهرك ياللي ورا الباب.

▪ يدخل الشاويش ومعه سجين جديد تبدو عليه أمارات العته.

▪ يعتدل واقفًا.

الشاويش: يا عباس.

عباس: أيوه يا فندي.

الشاويش: فتحي عندك أمانة تخلي بالك منه.

▪ يخرج الشاويش ويغلق الباب والكل ينظر إلى فتحي.

عباس: ماشي يا فندي.

▪ فتحي ذاهل تمامًا ولا يعي ما حوله.

وهيب: وده أنهي قاضي حبسه ده؟

محمود: حسبي الله ونعم الوكيل!!

يوسف: وده جاي في إيه؟

عبـاس: خلاص يا جدعان
وبعدين يا بابا وهيب ياما
شوفنا أسخم منه ربنا
يقدرنا ونرعاه.

▪ لوهيب.

مشهد ٤٠

نهار / خارجي

السجن ▪ ملعب كرة قدم

(صوت ضجيج الملعب)

▪ منظر عام للملعب وقد ضم فريقين (فريق السجناء ▪ وفريق جامعة الإسكندرية).

▪ يدخل على جانب الملعب مجموعات من السجناء وبينهم زكي ويوسف وعباس.

زكي: ده فريق جامعة إسكندرية هيلاعب فريق السجن.

يوسف: هاشجع الجامعة.

▪ زكي يضحك

▪ يبدأ جمهور السجناء في التهليل والتصفيق والغناء مشجعين.

يوسف: ودول إيه كمان؟!!

▪ عدد من السجناء شواذ جنسيًا يرقصون كما

زكي: ده فريق التشجيع النسائي.

النساء تمامًا.

عباس: دول لا مؤاخذة زي بالظبط النسوان في عنابر الأحكام الكبيرة.

■ زكي ويوسف يضحكان بشدة.

■ عباس يسمعهم فيعلق.

يوسف: هي كبيرة فعلا!!

■ ناظرًا لمؤخرة أحدهم.

■ عباس يتجه لأحد الشواذ ويقف خلفه ونراه يمد يده ولا نرى ماذا يفعل لكن الشاذ يستدير له ناظرًا في دلال وغضب مصطنع.

الجمهور: جووووووووووول.

■ فجأة يهلل كل من في الملعب.

■ زكي ويوسف يضحكان بهستريا.

الاثنين ٢٤ مايو:

الثانية عشر ظهرًا .. في انتظار ماجد -تكلمت معه أمس- وهو زميل لي في نفس العنبر غرفة ٣ ويقول بأنه روائي وقاص وهو هنا مسؤول عن مجلات الحائط التي تخرج عن مكتبة السجن، وأيضًا عن مشروع دورية نصف شهرية ستصدر عن مكتبة السجن أيضًا، وقد طلبت منه العمل معه في المكتبة إنسان مهذب، والغريب أنني كنت أعرفه شكلًا فقط، وكان يبش لرؤيتي وكنت أبش له.

***

تم تمديد قانون الطوارئ لمدة عامين آخرين بناء على طلب الحكومة و"مباركة" مجلس الشعب وبما أننا في إسكندرية فاسحبها أنت يا انشراح.

***

الأربعاء القادم سيشهد مباراة القمة بين الزمالك والأهلي في مجريات بطولة كأس مصر .. أتمنى فوز الزمالك.

الأربعاء ٢٦ مايو:

بعد صلاة العصر.. تلقيت اليوم خبرين سارين جدًا .. الأول: أنه تمت الموافقة على عملي في المكتبة، كنت قد ذهبت صباحًا إلى المكتبة فالتقيت ماجدًا هناك، وبدوره قدمني إلى الأستاذ عبد الله مدير المكتبة -وهو رجل مدني- وقد اختبرني بأن طلب مني تأليف وكتابة قصة قصيرة حالًا.

بعد ثلث ساعة فقط كنت أقدم له القصة ومقالًا ساخرًا، وجاءت النتيجة مبهرة حيث إنه أسند إليّ الصفحة الأدبية التي ستتضمنها الدورية وطلب منى المجيء يوميًا إلى المكتبة لمساعدة ماجد في إخراج مجلات الحائط وهو ما يعني أنه سوف يتم تصنيعي رسميًا، وأنتقل إلى عنبر ١٩ "عنبر المتصنعين" وهو أكثر عنابر السجن نظافة وأقلهم عددًا.

أما عن الخبر الثاني فهو أنني استدعيت من قبل إدارة السجن وتم إخبارى رسميًا بإدراج اسمي بقوائم المفرج عنهم في عفو ٢٣ يوليو، ووقَّعت أوراقًا تخص هذا القرار عند عودتي إلى الغرفة تلقيت التهنئة من زملائي وإن كنت لمحت عدم الرضا والغل على وجوه بعض الزملاء.

***

أحضرت من المكتبة رواية أشجار قليلة عند المنحنى.

الخميس ٢٧ مايو:

اليوم توجهت صباحًا إلى المكتبة للعمل على مجلات الحائط التي ستشاهدها لجنة حقوق الإنسان حين يزورون السجن قريبًا.

بالأمس فاز الأهلي على الزمالك ٣ ١ في مباراة تلاعب فيها الأهلي بالزمالك مما أدى إلى ارتفاع ضغط دمي وإصابة قدمي اليسرى بشلل مؤقت اعتدته مؤخرًا كلما ارتفع ضغط دمي لدرجة معينة، وتذكرت تذكرت ثلاثة أيام سوداء أصيبت فيها قدمي اليسرى بالشلل التام عقب خلافاتي مع من كانت خطيبتي ورفع القضية عليّ.

الأحد ٣٠ مايو:

بعد صلاة العصر والعودة من المكتبة كتاباتي تكتسب شعبية كبيرة بين زملاء المكتبة والغرفة، وهناك من لا يعرفون القراءة فيلتفون حولي حين عودتي ليسمعوا ما كتبت من حلقات ميتافيزيقية متتابعة وأخرى ساخرة.

قال لي أ. عبد الله:

أنت مكانك مش هنا   أنت كاتب ممتاز، وعندك قدرة كبيرة على التحوير.

الثلاثاء ١ يونيو:

لم أخرج اليوم إلى المكتبة .. هناك قلق بسبب الزيارة المنتظرة.

الأحد ٦ يونيو:

بعد صلاة الصبح أعددت بعض الشاي، وجلست أرتشفه وأكتب، جميل أن يكون القلم رفيق صحوك ونومك   بالأمس خابت توقعاتي ولم تأتِ أمي لزيارتي، واستمر عدم استدعائي للمكتبة.

الاثنين ٧ يونيو:

حوالي الثامنة والنصف صباحًا، ومن جديد رشفات الشاي ودخان التبغ   في مدينة ذكرياتي التي تمتلئ بالوجوه ومشاريع لم تكتمل وأماكن ولقاءات، ومطر الحنين الذي يتناثر على روحي ذاتها   أحيا.

إن الذي وضعوه في السجن هو جسدي فقط، أما عن روحي فتحلق بعيدًا حيث الأهل والأحباء، ولكن لا يمكنني إغفال تلك التأثيرات التي خطها السجن ونحتها بداخلي المهم أني صرت أقوى صرت أكثر علمًا، ذلك العلم الذي لم أعرفه في الجامعات والكتب ولا حتى بالاحتكاك بالآخرين ممن هم خارج هذه الأسوار.

***

السادسة مساءً .. تم استدعائي إلى المكتبة اليوم.

***

اليوم وعلى استاد القاهرة وبين آلاف من مشجعي الأهلي فاز نادي حرس الحدود على الأهلي ليتوج بطلًا لكأس مصر.

الأربعاء ٩ يونيو:

السابعة إلا ربع مساءً اليوم رأيت أمي، وبفضل الله ومن بعده أمي سددت ديوني أبي في حالة حرجة ولا يزال بمعهد القلب -قلبي غير مطمئن بالمرة- اللهم اشفه ومرضى المسلمين.

كنا متوجهين لقاعة الزيارات ففوجئنا بأمين الشرطة الذي كان يصاحبنا ينهال علينا بشتائم نابية ومشينة تدل على أصله وبيئته القذرة.. وبالطبع لم نستطع الرد، وعندما اعترض واحد منا اختصه الأمين بشتائم أكثر قذارة، ورأيت الذل والمرارة يطفحان على وجه زميلنا.

الثلاثاء ١٥ يونيو:

حوالي السابعة مساءً أكتب الآن من غرفة (..) عنبر ١٩، نعم، فقد تم تصنيفي -توظيفي- رسميًا الغرفة نظيفة نوعًا ومرتبة ومضاءة بشكل ممتاز وبها مروحتا سقف وست مراوح شخصية، وتضم بين جدرانها سبعة عشر نزيلًا أنا آخرهم.. ومن المصادفات الطريفة أن عنبري القديم تم حله من النزلاء اليوم بالذات وتوزيعهم على عنابر أخرى كي يقوموا بطلائه وتنظيفه استعدادًا للزيارة الميمونة، غرفتي القديمة ذهبوا بها إلى عنبر ١٥، وقد تفضل علاء مشكورًا بحمل أمتعتي معه ريثما أعود من المكتبة، ولكني نسيت معه كيس الهموم وبرطمانات الشاي والسكر بإذن الله سأحضرهم غدًا.

***

حوالي الحادية عشر مساءً الغرفة بها صحبة حميمة وشباب لطيفو المعشر، تعرفت (طه) و(طلبة) و(فوزي) و(أحمد) و(عم خليل) و(عم إبراهيم) و(عم فتحي) و(عم علي) و(عم صبحي) و(أبو سماح) (نوباتشي الغرفة) عم علي له في السجن اثنان وثلاثون عامًا كاملا وهو ما أذهلني ولا بُدَّ لي من جلسات معه لأتعلم منه الكثير.. فمدرسة السجن لا يستهان بها قط، أما عن الشباب فعاملوني بكل ود واحترام وبشاشة حتى أنني سمعت منهم حكاياتهم وفتحت القلوب المغلقة على أسرارها وأغدقوا عليّ بالشاي والسكر والسجائر حتى أصابتني (تخمة) شاي ونيكوتين، وأهداني عم علي طبق ملوخية شهيًّا به ما لا يقل عن عشر قطع من اللحم الناضج أتيت عليه كله فلي هنا أشهر لم أذق فيها طعم الأكل الملكي (لنا هنا قطعتان من اللحم أسبوعيًّا ولكن اللحم الميري يمكن استخدامه كنبلة ممتازة).

الخميس ١٧ يونيو:

بعد عودتي من المكتبة والاستحمام جلست لأكتب في طريق العودة عرجت على عنبر ١٥ ورأيت علاء وبعض زملائي من عنبري القديم، أحضرت كيس الاستحمام، أما عن برطمانات الشاي والسكر فقد فقدوا .. وبالنسبة لقضاء اليوم في عنبري الجديد فهو كالآتي:

الاستيقاظ مبكرًا والاستخدام الصباحي للحمام أرتدي الكواحيل - الزي الرسمي للسجناء- وأتوجه إلى المكتبة مع بقية الزملاء، ويقتصر عملي هناك على تأليف القصص التي تكتب على مجلات الحائط، ولا بأس من مشاركتي الزملاء في أعمال نظافة المكتبة، وبعد العودة هناك الاستحمام وخلافه، بعد ذلك أزجي وقتي ما بين التلفزيون (سواء كان يعرض مباريات كأس العالم أو مسلسل الأدهم أو يوميات زوج معاصر أو فيلم يعرض على قناة ما) والقراءة والكتابة والحديث مع زملائي، وعندما تحين الساعة الثانية عشر مساءً يغلق الضوء وينخفض صوت التلفاز ومن ثم النوم أحيانًا تزورني الكوابيس إياها.

الجمعة ١٨ يونيو:

الوقت عصرًا الباب يفتح هنا حتى في أيام الجُمع صليت الجمعة في التريب، وكانت الخطبة رائعة من زميل لنا وبعدها أمَّ الصلاة زميل آخر له صوت أكثر من رائع.

بالأمس قرأت رواية بعنوان "مواقيت التعري"، ووجدتها -بعد تحفظات- جيدة جدًا الرواية لهدرا جرجس زخاري.

الأحد ٢٠ يونيو:

التاسعة والنصف مساءً اليوم أحضرت معي رواية "واحة الغروب" لبهاء طاهر وهي كنز أدبي ولا شك وهو ما أسعدني جدًا (وهو ما بذلت فيه مجهودًا شاقًا وإلحاحًا غير عادي حيث إن الرواية كانت من ضمن الكتب الجديدة التي جاءوا بها إلى السجن من أجل أن تراها لجنة حقوق الإنسان فقط وليست للاستعارة) سأتابع الآن واحدة من مباريات كأس العالم بين البرازيل والكوت ديفوار.

الاثنين ٢١ يونيو:

حوالي التاسعة مساءً نستعد لزيارة لجنة حقوق الإنسان غدًا إدارة السجن استعدت على أكمل وجه، المجموعة الأولى من العنابر تحولت إلى فنادق غرف نظيفة ومطلية حديثًا ووضعوا بها أسرة وكومودات ورخامات كمطابخ وتم حلها من نزلائها الأصليين، ووضع مكانهم آخرون يعرفون ما سيفعلون وقت الزيارة المفارقة أنني مطالب غدًا بالتحدث أمام كاميرات التلفزيون ومسجلات الصحفيين مبينًا روعة السجن وإدارة السجن وخدمات السجن بصفتي كاتب مجلات الحائط تصوروا هذا، وما باليد حيلة سأفعل حتى لا يحدث ما لا يُحمد عقباه.

هناك أقاويل تؤكد أن اللجنة تعرف تمامًا ما يحدث وتعرف أيضًا أن كل ما تراه هو مسرحية هزلية سخيفة، وأن كل هذا يتم بمنطق (دعني أخدعك- دعني أنخدع) العبقري وتحيا مصر يا عم الحاج و ولا زلت غائصًا حتى أذناي في واحة بهاء طاهر.

الثلاثاء ٢٢ يونيو:

بعد العودة والاستحمام وما إلى ذلك انتهت زيارة لجنة حقوق الإنسان ولم أشعر من قبل أنني منافق إلى هذا الحد إلا اليوم في البداية ومنذ خروجنا مبكرًا إلى المكتبة خرج علينا ضباط يرتدون البذل ينبهون علينا أشد التنبيه على عدم الشكوى من أي شيء، بل وشددوا على حثنا على الشكر في إدارة السجن وروعة السجن.

مرت الساعات ودخلت اللجنة وهي مكونة من لفيف من منظمة حقوق الإنسان وصحفيين وصحفيات ومصورين صحافة وتلفزيون ومذيع تلفزيوني وتوجهت إلى مكتبنا أنا وماجد -وضعوه اليوم فقط- صحفية شابة قدمت نفسها إليّ، ولكن ماجد نط في الحديث نط بمعنى الكلمة فتوجهتُ إليه وجاءني بعدها صحفي يحمل جهاز ريكوردر صغير، وكان هذا الحديث:

- إزيك؟

- الحمد لله.

- شايفك بتعمل مجلة حائط.

تمالكت نفسي من الرد اللاذع كـ (لأ بأعمل كريم كراميل) وقلت:

- أيوه، وهي مجلة شاملة.

- أنت اسمك إيه؟

- عابد الرحمن محمد.

- بس أنا شايف إنك قاعد في مكتبة جميلة ومريحة وفيه قرّاء كتير.

كدت أقوله له: (وحياة أمك؟!) ولكني تماسكت:

- مش بس قراء، فيه هنا مواهب كتير.. هتلاقي هنا أدباء.

- أنت شكلك مؤهل عالٍ.

- أيوه أنا ليسانس آداب.

- والمكتبة هنا مفيدة؟

استغفرت الله في سري قبل أن أقول:

- فيها كل ما تشتهي العقول من قراءات واطلاعات.

- بقالك هنا كتير؟

- خمسة أشهر.

- وحكمك أد إيه؟

- سنة .. بس أنا خارج إن شاء الله الشهر الجاي في عفو عيد الثورة.

- هما قالولك كده؟

- آه، بلغوني رسميًا.

- شكرًا يا عابد.

انصرف وقاومت رغبة كاسحة بملاحقته لأهشم الكرسي الذي أجلس عليه على أم رأسه هناك زملاء أجروا حوارًا تلفزيونيًا، وحمدت الله على عدم حدوث ذلك معي كانت هناك أحاديث أخرى مع زملاء، وبعد ذلك -أخيرًا- انصرفوا.

* ملحوظة هامة جدًا .. ماجد أجهل من قملة، ولا يمكن أن يكون روائيًا أو قاصًا، وكنت أشك في هذا طيلة الوقت، وتأكدت اليوم كالعادة كنت ساذجًا.

مشهد ٤١

نهار / داخلي

السجن ▪ التريب

▪ يوسف يجلس ويكتب في أجندته ويأتي إليه زكي ليجلس بجواره.

زكي: صباح الفل يا چو بتكتب إيه؟

يوسف: دي يومياتي هنا في السجن.

▪ رد فعل على وجه زكي.

زكي: يومياتك طب خلي بالك ما تكتبش حاجة معارضة لإدارة السجن أو النظام.

يوسف: إشمعنى يعني؟

زكي: عشان لو حصل تفتيش ولا حاجة.

يوسف: ربنا يستر..

على فكرة فيه زيارة من لجنة حقوق الإنسان جايه السجن.

زكي: وعرفت منين؟

يوسف: من مسير المكتبة اختاروني يا سيدي عشان أبقى في المكتبة يومها وطبعًا هيخلوا اللجنة تشوف اللي هم عاوزين يشوفوه وبس.

زكي: اسمعني يا يوسف أنت كلها شهرين وتخرج بالسلامة في عفو عيد الثورة فكبّر دماغك وسيبك من دور المناضل ده ركز في إنك تبدأ من جديد ويكونلك كيان وبيت وزوجة.

يوسف: زوجة إيه ونيلة إيه دانا اتحبست في خطوبة تعرف .. نفسي ألاقي واحدة بس تكشفلي عن عقلها مش رجليها.

▪ زكي يضحك.

زكي: تاااااني مش اتكلمنا قبل كده في الموضوع ده؟

يوسف: كان قصدي بس أقولك إن ما عدش عندي ثقة في أي واحدة .. إلا أمي.

مشهد ٤٢

نهار / داخلي

السجن ▪ غرفة يوسف

▪ الباب مفتوح في فترة التهوية، ولكن هناك عدد قليل يتابع التلفزيون باهتمام.

▪ الشاشة تعرض نشرة الأخبار ولقطات من مجلس الشعب.

ص. مذيعة: هذا وقد وافق مجلس الشعب اليوم على طلب الحكومة بتمديد فترة العمل بقانون الطوارئ لعامين قادمين.

محمود: آه، كمان سنتين عشان نقفلهم تلاتين سنة.

عباس: بيقولك إرهاب ومخدرات بس.

محمود: طب عرفنا المخدرات الإرهاب بقى لو في أي خناقة بسيطة في الشارع هاتبقى إرهاب للمواطنين.

▪ لعباس.

وهيب: ده ضحك ع الدقون.

▪ بحسرة.

فهمي: يعني من كام يوم سمعنا في برنامج مفيد فوزي إن اللحمة بقت بمية جنيه والنهارده قانون الطوارئ يتمدد محدش عارف البلد رايحة على فين؟

▪ مبتسمًا ويضحكون على جملته.

▪ بغباء.

يوسف: قبل ما تركب كنت اسأل.. على رأي جلال عامر.

▪ يوسف ينظر لعماد بسخرية ولا يرد.

عماد: مين جلال عامر ده؟

▪ يكلمهم جميعا.

▪ بمرارة.

يوسـف: مش فاهم إمتى هايبقالنا كرامة.

فهمي: يعني لا بره ولا جوه الميه ملوثة واللحمة فيها إنفلونزا الخنازير، ده غير بتاعة الطيور وكل حاجة بتغلى إلا المواطن المصري.

مشهد ٤٣

فوتو مونتاج

زيارة لجنة حقوق الإنسان للسجن.

مكتوب على الشاشة

"٢٢ يونيو"

▪ اللجنة يصحبها المأمور وعدد من الصحفيين والمصورين ومذيعين من قنوات رسمية ومصورين تلفزيون.

(موسيقى مناسبة طوال المشهد)

▪ اللجنة في أحد العنابر ويلتقون ببعض السجناء المبتسمين الذي يبدون في أحسن حالة ويبدو من طريقة كلامهم أنهم يشكرون في إدارة السجن، والعنبر نفسه يبدو عليه التجديد

والنظافة وإضافة الأسرة.

▪ ديزولف مع عنبر آخر قذر كما رأيناه من قبل وكل غرفه مغلقة ومن داخل أحد الغرف يتكدس السجناء وسوء مستوى معيشتهم يبدو جليًا.

▪ زيارة اللجنة للمكتبة حيث يوسف وزكي وسط النزلاء مرتدين كواحيل جديدة، ويجرون حوارًا صحفيًا بنفس الابتسامة الزائفة وإن بدا عليهما أنهم مرغمان على هذا.

▪ لقطات متعددة للجنة في المطبخ والملعب ومدرسة السجن وما إلى ذلك.

- يبدو على وجوه أعضاء اللجنة الحبور والرضا. (تتوقف الموسيقى)

مشهد ٤٤

نهار / داخلي

السجن ■ ممر الغرف

■ عباس يجري بطول الممر ويصيح.

عباس: يوسف .. يوسف...

■ يبحث عن يوسف في الغرفة فلا يجده فينطلق إلى التريب ليجده جالسًا مع زكي.

■ صائحًا بفرح.

عباس: يوسف ياللا اسمك إفراج.

■ رد فعل على يوسف وزكي الذين يستوعبان الخبر ببطء .. فيهللان فرحًا.

زكي: ألف مبروك.

يوسف: عقبالكم.

■ إظلام تدريجي ■

■ تعود الصورة على يوسف وهو يحمل أمتعته ويمسك

زكي: خلي بالك من نفسك

بظرف ومعه الشاويش وزكي يكلمه على عجل.

الجوابات اللي معاك توصلها مش هأوصيك.

▪ يوسف يومئ برأسه مؤكدًا على اهتمامه .. ويربت على كتف زكي.

يوسـف: أشوف وشك بخير.

▪ بابتسامة حانية.

▪ زكي يبتسم ويحتضنه.

مشهد ٤٥

نهار / خارجي

شوارع

▪ سيارة الترحيل تخرج من السجن لتنطلق عبر الشوارع.	(نسمع صوت السجناء يغنون حبسة ومروحين)

مشهد ٤٦
ليل / داخلي
بيت يوسف

▪ نسمع جرس الباب والأم في غرفتها تصلي تتمهل حتى تختتم الصلاة وتتجه لتفتح الباب في وان شوت.

▪ تفاجأ بيوسف الذي وقف أمامها بملابس رثة ويبدو منهك ولكنه يبتسم بحنان وتدمع عيناه.

يوسف: وحشتيني يا أمي.

▪ رد فعل على وجه الأم.

مشهد ٤٧
ليل / داخلي
بيت يوسف

- يوسف يخرج من الحمام والمفروض أنه انتهى حالًا من الاستحمام ويمسك بمنشفة وقد استبدل ملابسه بملابس بيت نظيفة.
- الأم تمسك بالمنشفة وتمررها على وجهه بحنان.

الأم: يا حبيبي، حمدلله ع السلامة.

- ياسين ينظر له بسعادة ولا يتكلم فهو يحاول كتمان مشاعره.
- جرس الباب لا ينقطع مصاحبًا لدقات ويفتح ياسين ليدخل عمر

مباشرة مندفعًا نحو يوسف ليحتضنه ويقبله.

عمــر: يووووووووووسف كفارة يا راجل.

يوســف: زعلان منك جدًا يعني ولا مرة تجيلي زيارة وكمان اتجوزت وأنا آخر من يعلم.

عمــر: والله غصب عني أنت عارف قبل الجواز ما بتعرفش حتى تتنفس عشان تنجز.

▪ يشرد مهمومًا.

يوســف: آه عارف.

▪ تلاحظ شرود يوسف وتدير دفة الحديث.

الأمــ: ولا يا عمر اقعد اتعشى معانا، أنا عاملة مكرونة بالبشاميل.

▪ مبتسمًا.

عمــر: أنا راشق.

▪ ضاحكًا.

يوســف: طول عمرك راشق مانا أمي خلفت تلاتة مش اتنين.

▪ يضحكون جميعًا.

عمــر: والله أنا وديت مراتي عند أمها أول ما ياسين قالي في التليفون أنت جيت بالسلامة عشان أقعد معاك براحتي.

▪ رد فعل على الوجوه.

يا سيـن: قصدك طلع بالسلامة.

الأمـ: خلاص يا ولاد السيرة الزفت دي بقى.

يا سين: مش قصدي يا ماما يا يوسف السبع شهور اللي أنت قضيتهم في السجن ما كنتش مسجون فهم لوحدك.. أنت عارف كويس إنك عذبتنا معاك بس يا رب تكون اتعلمت والكلام ده عشانك وعشانا كلنا نورت بيتك.

▪ يتجه ليوسف.

▪ يحتضن يوسف.

مشهد ٤٨

ليل / داخلي

غرفة يوسف

- يوسف مشغول بإخراج صور وفاء من دولابه.
- يمسك بصورة كبيرة لها ويعلقها فوق الفراش.
- تدخل الأم حاملة كوب شاي ولكنها تتزعج من الصورة.

الأم: بسم الله الرحمن الرحيم.. ليه كده يا بني ! لسه هانعيده من الأول؟

يوسف: يا ماما، دي غلطة عمري.. لازم أخليها قدامي كده عشان دايمًا أفتكرها وما أغلطش تاني.

الأم: كفاية يا بني اللي جرالك تغور أيامها السودة.

▪ يقبل يدها.	**يوسف:** حاضر هأعملك اللي أنتِ عايزاه.
▪ يوسف ونظرة شاردة بعدما يأخذ كوب الشاي من الأم.	

مشهد ٤٩

نهار / داخلي

داخل السوبر جت

▪ يوسف وهو يتحدث في الموبايل وبجواره فتاة جميلة (نور)

▪ نور تنظر له وبلاحظ ذلك.

يوسف: يا ماما ما تقلقيش صد رد وهأرجع على طول إن شاء الله أنتِ عارفة دي أمانة ولازم أوصلها حاضر هأبقى أطمنك سلام

▪ يغلق الخط.

▪ لنور.

آسف لو صوتي أزعجك.

نور: لا أبدًا مافيش حاجة.

▪ وجه نور في غاية الجمال.

▪ يوسف يبعد وجهه وقد لاحظ جمالها ويخرج كتاب ليقرأه من حقيبته (شيكاجو ▪ علاء الأسوانى) فتهتم نور بالكتاب.

شيكاجو .. تحفة بجد.

يوسف: بتحبي الأسواني؟

نور: شدني اسم الرواية

وقربتها.. أنا أصلي كنت عايشة في شيكاجو.

يوسف: وأنتِ جاية هنا زيارة؟

نور: بص أنا مصرية أمريكان جيت أعيش هنا بعد داد ما مات.

يوسف: الله يرحمه.

▪ تصافحه ببساطة.

نور: نور.

▪ مبتسما.

يوسف: يوسف .. فرصة سعيدة.

▪ نور في غاية الجمال والرقة.

مشهد ٥٠

ليل / خارجي

شوارع القاهرة

▪ يقف يوسف ويحاول إيقاف تاكسي بلا فائدة.	يوسف: عبود؟؟
▪ التاكسي يمرق بجواره ولا يتوقف فيبدو عليه السخط.	
▪ رنين هاتفه المحمول فيرد.	ألو .. نور إزيك لا لسه آه خلصت وراجع إسكندرية عارفه طبعًا ماشي ساعة وأكون هناك.. سلام.
▪ يغلق الخط ويحاول إيقاف تاكسي من جديد.	تاكس.

مشهد ٥١

ليل / داخلي

كافيه على النيل

▪ يوسف ونور وينظر لها متفحصًا.

نــور: إيه مالك مستغرب إني طلبت أقابلك وأنت لسه عارفني الصبح؟!

يوسـف: لا، أنا دماغي أكبر من كده.. المسألة مسألة ارتياح مش أكتر.

نــور: تمام أنت إنسان مثقف وحبيت الكلام معاك، بس حابة كمان تكلمني عنك.

يوسـف: ماعنديش كلام كتير أقوله.. أنا يوسف عبد الرحمن بأشتغل في بنك استثماري عايش مع أمي وأخويا بأحب الوحدة والليل والشتا عندي معارف كتير، بس لي

صاحب واحد بس و
وكنت خاطب أنتِ بقى
إيه؟

نــور: أنا بحب الزحمة والنهار والصيف بجد والله عشت فترة في أمريكا مع بابا وكنت متجوزة ابن عمي بس كان خنيق أوي ما تخرجيش وما تعمليش برغم إننا في أمريكا وهو أمريكان سيتزن ما اتفاهمناش اتطلقنا وأديني رجعت عندي شقة صغننة كده في أليكس بس يا سيدي.

* يوسف يضحك.

يوسـف: وعايشة فيها لوحدك؟

نــور: بس ليَّ واحدة صاحبتي ساعات بتقعد معايا إوعى تكون شرقيتك زايدة شوية.

	يوسف:	أبدًا البنت أساسًا بقت بتسلك الأيام دي عن الراجل وتصرفاتك بتاعتك أنتِ ما حدش بيرضي الناس كلها تعرفي؟
	نور:	ها
▪ نور وابتسامة رقيقة جذابة.	يوسف:	أنتِ أحلى حاجة حصلتلي النهارده.

مشهد ٥٢

ليل / خارجي

كمين على الطريق السريع

• عربة أجرة تتوقف عند الكمين ويوسف جالس بمفرده جوار السائق.

• ظابط وعسكريان بالكمين والظابط يتفحص الرخص ووجوه الركاب.

• للعسكرى وهو يدخل إلى مبنى الكمين.

الظابـط: لملي البطايق.

العسكري: البطايق يا أساتذة.

• يخرج كل منهم بطاقته ويسلمها للعسكري ويوسف يبدو متوترًا.

• ليوسف بصرامة.

العسكري: بطاقتك.

• يوسف يعطيه بطاقته ويذهب العسكري بالبطاقات إلى داخل

الكمين.

- لحظات انتظار قلقة على وجه يوسف.
- العسكري يعود ومعه البطاقات.
- في قمة توتره.

العسكري: فين يوسف ده؟

يوسف: أنا.

العسكري: انزللي هنا.

مشهد ٥٣

ليل / داخلي

بيت يوسف

▪ يوسف مع ياسين والأم وعمر.

▪ الأم قلقة.

يوسف: نزلت لاقيت الحكم باين على الكمبيوتر وريته شهادة من الجدول إني مقضي الحكم وبرضه دفعت خمسين جنيهًا والظابط مطنش.

▪ بمرارة.

عمر: ما هي ماشيه كده حتى لو كنت لسه مطلوب بس كنت هتدفع أكتر.

ياسين: الحمد لله إن الشهادة كانت معاك.

الأم: إياك تمشي من غيرها.

يوسف: الحمد لله، جت سليمة .. قدّر ولطف... ألو.

▪ يرن هاتف يوسف فيجيب.

ص نور: إيه يا يوسف وصلت؟

	يوسف:	آه، لسه داخل كنت لسه هاكلمك.
	ص نور:	يا سلام ماشي يا سيدي حمدلله ع السلامة.
	يوسف:	الله يسلمك وأنتِ هتيجي إمتى ؟
	ص نور:	بكره هاجي بعربيتي كنت سايباها مع سالي صاحبتي.
▪ الجميع متعجب. ▪ يغلق الخط.	يوسف:	ماشي أول ما ترجعي طمنيني عليكِ سلام.
	الأم:	مين دي؟
▪ مديرًا دفة الحديث.	يوسف:	دي واحدة كانت زميلتي في البنك قابلتها النهارده في مصر صدفة هأموت من الجوع يا ماما.
▪ تذهب للمطبخ.	الأم:	عينيّ يا حبيبي.
▪ يقف مستعدا للخروج.	عمر:	طب أخلع أنا بقى.

ياسين: مش هتتعشى معانا.

عمر: لا يا عم مراتي مستنياني .. ياللا سلام.

* يخرج.

مشهد ٥٤

ليل / داخلي

غرفة نوم يوسف

- يوسف ممدد على فراشه ويمسك بهاتفه المحمول ويطلب رقمًا.
- شاشة الموبايل تحمل عبارة:

Nour

Call is waiting

- يغلق الخط يشعل سيجارته ويحاول مرة أخرى.. ينظر إلى الشاشة لا زال قيد الانتظار.
- يلقي بالهاتف على الفراش متضايقًا.
- يبدو شاردًا للحظات

ويمسك بالهاتف مرة أخرى
ويطلب رقمًا آخر ينتظر
لحظات حتى يجيبه الطرف
الآخر.

▪ يعتدل في جلسته. يوسـف: ألو يا عاصم باشا فاكرني؟

مشهد ٥٥

نهار / داخلي

مكتب عاصم

▪ عاصم يجلس وراء مكتبه ويستقبل يوسف.

عاصـم: يوسف إزيك يا چو.. إيه يابني فينك سألت عليك كتير وعرفت إنك اترفدت من البنك بعد ما اتخانقت مع مديرك.

يوسـف: كنت مسافر يا باشا يعني تغيير جو.

عاصـم: آهه تغيير جو طب ما تجيب من الآخر كده وقل لي ليه أنت اتعمدت تتخانق مع مديرك وعملت الفيلم ده يعني من الآخر أنت كنت قاصد تترفد.

▪ بابتسامة خبيثة.

يوسـف: طب ما أنت ليك حبايب

		غيري أهو في البنك.
• بعصبية.	عاصـم:	ما تخلص ياله.
	يوسـف:	عاصم باشا أنا ما
• رد فعل على وجه عاصم.		بعتلكش كل اللي عندي.

مشهد ٥٦

▪ فلاش باك ▪

نهار / داخلي

البنك

▪ هند سكرتيرة المدير الشابة الجميلة مغشى عليها في مكتبها.

▪ ضوضاء وحركة سريعة لإنقاذها ويخرج المدير من مكتبه تاركًا يوسف وحده مندفعًا نحو مكتبها.

▪ تقطيع ما بين غرفة مكتب هند حيث الطبيب والزحام وبين مكتب المدير.

▪ يوسف يلتقط مفاتيح المدير من على المكتب الذي تركها إثر مفاجأته بما حدث لهند .. يفكر قليلا ثم يهرع إلى

ص

يوسف: اليوم ده كانت هند سكرتيرة المدير حصل لها إغماء والدنيا كانت مولد.. كلنا عارفين إن الريس ماشي مع البت دي من ورا مراته المشكلة بقى أنها كانت حامل ده كلام الدكتور لما جه وكشف عليها وكانت فضيحة لأنها أصلا مش متجوزة فجأة لقيت نفسي لوحدي في مكتب الريس لأنني كنت عنده ساعتها ما استنيتش خدت مفاتيحه من ع المكتب

الحمام ليطبع المفاتيح على الصابونة ويضعها في جيبه قبل أن يعيد المفاتيح إلى مكانها ويخرج من المكتب ليتابع ما يحدث.	وطبعتها على صابونة كانت في الحمام بتاعه وش وضهر.
▪ مشادات عنيفة بين هند الواهنة والمدير في وجود الموظفين والطبيب.	طبعًا خرجت لقيت الريس بيدافع عن نفسه وبيقول: أنا ماليش دعوة بلِك وهي بتعيط والكل بيلعنها مجاملة للريس.

مشهد ٥٧

ليل / داخلي

كوستا داون تاون

• عاصم ويوسف.

يوسـف: بس يا عاصم بيه ومن ساعتها بعتلك شوية الورق الأولاني .. وبعد كده لما عرفت بوجود صفقات وورق تاني لناس حبايبك أوي خدتهم معايا وعملت تمثيلية الخناقة دي عشان تبقى جت من عندهم وأخرج خالص من الصورة.

عاصـم: عايز كام ؟

يوسـف: تلتميت ألف يا باشا.

• بتردد.

عاصـم: نعم أنت بتستهبل؟!

• بهدوء.

يوسـف: الورق مهم وأنت كده كده هتشتري أجيبلك سحلب؟

• عاصم يبتسم.

مشهد ٥٨

فوتو مونتاج

شوارع شرم الشيخ

▪ ياسين ويوسف والأم يتجولون وهم سعداء. (موسيقى مناسبة)

▪ في المطعم واهتمام وتدليل ياسين ويوسف للأم.

▪ على البلاج صباحًا.

▪ في الشارع التجاري الرئيسي ويحملون مشتروات.

▪ الثلاثة وهم يدخلون شاليه مستأجر ليلا. (تتوقف الموسيقى)

مشهد ٥٩

نهار / داخلي

شاليه شرم ■ الشرقة

■ يوسف يتحدث في الموبايل.

يوسف نور .. وحشتيني جدًّا.

ص نور يا سلام كنت فين كل ده يا أستاذ.

■ بابتسامة.

يوسف وحشتك؟

ص نور ممم .. تقدر تقول ممكن.

يوسف معلهش كنت مشغول والله.. أنا في شرم مع ماما وياسين.

ص نور آه ماشي يا سيدي من لقى أحبابه بقى.

■ ساخرًا.

يوسف لقى أحبابه؟ هو أنتِ متأكدة إنك أمريكية؟

■ تضحك.

ص نور أنا إسكندرانية أصيلة يا واد.

■ مداعبا.

يوسف خلاص يا ستي، أوعدك لينا طالعة في يوم كامل مع بعض.

ص نور اتفقنا، ابقى طمني عليك، وخلي بالك من نفسك.

■ يغلق الخط .. ويشرد مفكرًا بجدية.

مشهد ٦٠

نهار / داخلي

شقة نور – على الطراز الأمريكي

▪ نور تغلق الخط مع يوسف وهي تقف في المطبخ تعد النسكافيه لشخصين.

▪ تدخل إلى الليفينج حيث تجلس سالي صديقتها وتجلس جوارها بعد ما تضع الأكواب على المائدة الصغيرة.

سالـي: إيه حكاية يوسف ده؟

نـور: يوسف لذيذ فيه حاجة كده شداني ليه تحسي إنه متفتح أوي، وفي نفس الوقت راجل أوي ويخاف عليكِ مثقف جدًّا.

▪ على الحائط صور لمايكل جاكسون وعبد الحليم حافظ وتوم كروز وعمرو دياب ومحمد منير.

سالـي: كل ده في الوقت القصير ده؟

نـور: يا بنتي، دي انطباعات من أول لحظة كده تحسيها ساعات بحس إن جواه جرح كبير بيداريه باين في عنيه.

سالـي: عمومًا جربي مش هتخسري حاجة.

نـور: على رأيك عارفة مش شايفة فيه نظرة الرجالة الشرقية للمطلقة ده حتى ماداش كومنت واحد على الموضوع ده.

سالـي: غريبة تعرفي أنتِ عايزة حد يكون خلطبيطة كده زي اللي أنتِ عاملاه على الحيطة ده.

• تشير للحائط.

نـور: دي مش خلطبيطة دي أنا جوايا الأمريكان جيرل

وجوايا البنت المصرية
جوايا حليم وأم كلثوم،
وفي نفس الوقت جوايا
مايكل ونيكولاس كيدج
وتمثال الحرية.

سالـي: ربنا يشفي!!

مشهد ٦١

ليل / داخلي

غرفة نوم يوسف في شرم

- يوسف على فراشه يتحدث في الموبايل.

يوسف: وحشتيني.

مشهد ٦٢

ليل / داخلي

غرفة نوم نور

▪ نور على الفراش تحتضن دبدوب وبجوارها كتاب بالإنجليزية واضح أنها كانت تقرأ فيه قبل أن تجيب هاتف يوسف.

▪ بحب.

نـــور: أنت كمان وحشتني.

مشهد ٦٣

ليل / داخلي

غرفة نوم يوسف في شرم

يوسـف: تعرفي.

ص نـور: همم؟

▪ ينظر لصورة وفاء التي يمسكها بيده بغل و يداري هذا ويتظاهر بالاشتياق.

يوسـف: رغم أني كنت واخد قرار إن عمري ما هارتبط بس القرار ده اتبخر لما قابلتك.

▪ بصوت ناعم رقيق.

ص نـور: بجد.

يوسـف: بجد .. نور أنا بحبك.

مشهد ٦٤

ليل / داخلي

غرفة نوم نور

- نور تبتسم في سعادة وتحتضن الدبدوب وتقبله.

مشهد ٦٥

ليل / خارجي / داخلي

المنتزه * في سيارة نور

* السيارة متوقفة في منطقة مظلمة وقد ضمت نور ويوسف.

يوسف: المكان ده بحبه أوي بس النهارده له طعم تاني وأنتِ معايا.

* بحنان.

نور: يوسف مش شايف إن كل حاجة جت بسرعة؟!!

* ينظر لعيناها بتركيز.

يوسف: نور أنا طول عمرى بدور على حد يخطفني حد أحس إني جاي الدنيا عشانه وأحس إني مخلوق في عشقه حد أعرفه من أول ما ألمحه وأقول هي دي.

نور: ودي بقى تبقى أنا؟

▪ يوسف لا يرد يمسك يدها ويقبلها برفق وحنان هامر.

▪ رد فعل على وجهها.

▪ وهي تغمض عينيها من حين إلى آخر من أثر قبلاته على أصابعها.

نــور: طب مش عايز تعرف أنا اتطلقت ليه؟

▪ لا يزال يقبل يدها بحنان.

يوسـف: مش عايز أعرف بتحبيني؟

▪ مقاطعًا.

نــور: يوسف ..أنا

▪ وهي تكاد تنهار.

يوسـف: بتحبيني؟

نــور: بحبك يا يوسف.

▪ يوسف ينظر إليها بقوة ويقترب من شفتيها ويغيبان في قبلة طويلة.

▪ **تومض الشاشة في فلاش باك إلى لقطة من مشهد ٥**

▪

▪ هائمة.   وفــاء: حاضر.

▪ تقولها وتقبله هي في
شهوة.

▪ عودة للحاضر ▪

▪ لا يزال يوسف ونور
يغيبان في القبلة.

مشهد ٦٦

ليل / خارجي / داخلي

أمام بيت يوسف • في

سيارة نور

• السيارة تتوقف وداخلها يوسف ونور

• يوسف يبدو مهمومًا.

يوسف: شكرًا يا حبيبتي أول ما توصلي طمنيني عليك.

نور: حاضر.. مالك؟

• بحب.

يوسف: مش عايز أسيبك.

• بحنان.

نور: للدرجة دي.

يوسف: وأكتر بس غصب عني هأمشي.

• معاتبة.

نور: هاتمشي؟

يوسف: نفسي أشوف كل حاجة تخصك نفسي أتنفس حياتك.

نور: يعني عايز تيجي معايا البيت؟

▪ يلمس ملامحها بيده في رفق وحنان.

يوسـف: طبعًا دانا حتى نفسك بعشقه.

▪ بحب جارف.

نـور: مش هتبعد أبدًا.

يوسـف: أبدًا.

▪ نور لا ترد وتنطلق بالسيارة مع يوسف.

مشهد ٦٧

ليل / داخلي

شقة نور

▪ نور بملابس البيت تضع كوبين من النسكافيه على المائدة وتناول يوسف كوبًا.

نــور: اتفضل.

يوســف: شكرًا على فكرة شقتك حلوة أوي.

نــور: بجد؟

▪ مبتسمًا.

يوســف: بجد.

نــور: قل لي بقى إشمعنى أنا؟

يوســف: إشمعنى أنتِ إيه؟

▪ ترسم دائرة على قلبه بإصبعها.

نــور: إشمعنى أنا اللي سكنت هنا؟

يوســف: وهو اللي بينا خاضع لأسباب؟ اللي بينا ده قدري ببساطة كده لاقيتك ومش هأسيبك أبدًا.

▪ بدلال. نــور: أبَدا؟

▪ يضمها إلى حضنه ويقبلها ببطء.

▪ يحيط وسطها بيده ويقبل جبينها وعينيها ورقبتها ويحملها فجأة ليجلسها على حجره.

▪ تضحك. نــور: هاتعمل إيه؟

▪ لا يرد وهو يقبل كل جزء منها.

▪ إظلام تدريجي ▪

▪ تعود الصورة لنجد الملابس ملقاه على الأرض في إهمال وتتبعها حتى نصل غرفة النوم.

▪ يوسف ونور في حالة ذوبان جسدي تام.

▪ تومض الشاشة في فلاش
باك من مشهد ٣٦ ▪

▪ عودة للحاضر ▪

زكي: يعني أنت لو كنت نمت معاها ماكنتش اتحبست أصلًا.

▪ يوسف ونور غائبان تماما
في حالة حب جنسية رقيقة.

الجمعة ٢٥ يونيو:

السادسة مساءً لا يوجد ما يستحق الكتابة عنه ربما هناك تلك المقابلة مع ناصر، وهو شاب يسكن الغرفة ٥ -غرفة الطلبة- وهو من أرباب القلم لم أقرأ له شيئًا لكني شاهدت أوراقه الكثيرة التي امتلأت بالكتابة عليها بالقلم الأزرق الجاف -وهو ما يتعارض معي حيث إنني أفضل الكتابة بالأسود- وناصر هذا مغرور جدًا لدرجة أنه يتصور أن مصر لم تنجب من يباريه في موهبته بكل أدبائها ومبدعيها، ويروي عن تكالب الفنانين والمخرجين على رواياته، لكنه هو الذي يرفض ولكم الحكم، وأما عني فهى فرصة ذهبية للتخلي عن دور الساذج الذي ألعبه طوال الوقت.

***

أنجزت من السيناريو ما يقرب من خمس وستين دقيقة أو أكثر.. تشعبت أحداثه وأحتاج إلى التركيز كي أنتهي من المجابهة وأدفع بالأحداث إلى الفصل الثالث إلى الحل[١٤]

[١٤] السيناريو الجيد يقسم إلى ثلاثة فصول وهم:
- التمهيد أو الاستهلال = ٣٠ دقيقة تقريبًا.

السبت ٢٦ يونيو:

التاسعة مساءً اليوم رأيت أمي وأحضرت معها الجرائد والسجائر والبونات كعادتها، طلبت منها إحضار إفادة من خزينة النيابة بأنني مسدد لجميع المصاريف القضائية تلك الإفادة يتوقف عليها خروجي في عفو ٢٣ يوليو، سأنتظر حضورها في ميعاد الزيارة القادم كما سلمتها دفتر اليوميات الذي امتلأ عن آخره -أكتب الآن في كراس جديد- والقرآن الكريم والعهد القديم -هدية عم وهيب- وغير هذا كان اليوم عاديًا.

انتهيت من رواية "واحة الغروب" ووجدتها ممتعة وساحرة يمزج بهاء طاهر بين الماضي والحاضر، ويقدم تجربة للعلاقة بين الشرق والغرب (محمود - كاثرين) على المستويين الإنساني والحضاري.

قرأت الجرائد ولكني لا أحب تلك الصحف القومية وهم لا يسمحون هنا بدخول جرائد المعارضة أنا أفضل الدستور[١٥] والمصري اليوم، ولكن ما باليد حيلة.

أضفت إلى قائمة قراءاتي هنا كتابين:

- المجابهة أو الصراع الدرامي = ٦٠ دقيقة تقريبا.
- الحل = ٣٠ دقيقة تقريبا.

[١٥] أحداث هذه الرواية وقعت قبل صفقة بيع جريدة الدستور.

- سليمان الحكيم .. توفيق الحكيم.

- عصر القرود .. د. مصطفى محمود.

عمومًا أستغل ساعات عملي بالمكتبة لأضيف عناوين جديدة لما أقرأ.

الأحد ٢٧ يونيو:

الحادية عشر والنصف مساءً كنت قد توجهت اليوم صباحًا إلى المكاتب الإدارية -بصحبة شاويش- لمعرفة المطلوب من أوراق لاستكمال الملف الخاص بي حتى يتسنى لي الخروج في العفو، وعلمت أن المطلوب هو شهادة من الجدول بأني مسدد لجميع المصاريف أو إيصالات بها وهو ما دفعني لإعطاء رقم الهاتف الخاص بأمي إلى عدد من المدرسين المدنيين الذين جاءوا للمراقبة على امتحانات الطلبة السجناء، وقد أكدت عليهم بالمطلوب تحديدًا إخباره لأمي.

في المساء حدث أمر مدهش كان عم إبراهيم قد طلب مني نسخ عدة أوراق باليد ففوجئت بها عبارة عن تقرير لجنة داخلية من السجن مقدم للمأمور، وقد ذكر بالتقرير جميع سلبيات السجن بلا استثناء، ولم يترك التقرير شيئًا مما يحدث من سوء معيشة وخدمات سواء كانت متعلقة بالتغذية أو أية خدمات ونشاطات أخرى وأكد لي تاريخ التقرير

أنه صنع فقط كي يتم مداراة تلك السلبيات عن أعين لجنة حقوق الإنسان.

الثلاثاء ٢٩ يونيو:

لليوم الثاني على التوالي لم أخرج إلى المكتبة بسبب ارتفاع ضغط دمي -أنا لا أطيق الانتظار- وبالأمس وبعد عودة زملائي جلست أتحدث مع عم إبراهيم وأنا أحبه وأحترمه كثيرًا، حكيت له عن سبب دخولي السجن فأبدى قلقه الشديد لأن له نفس المشكلة مع ابنه ومن اختارها لتكون زوجته رغم اعتراض عم إبراهيم وقد أفضت في تحذيره خوفًا على ابنه ممن ناسبهم.

***

طلبت اليوم وجبة غداء من الكافيتريا وهو شيء نادر الحدوث، لكن وجبة الدجاج مع الأرز والملوخية أنعشت روحي بعد هذا جاءني عرفة، وعرفة هو شاب مثقف تعرفته هنا في عنبر ١٩ ولديه موهبة في الشعر والقصة القصيرة، زميل لناصر بالغرفة، لكنه على العكس تمامًا عاقل وهادئ ولا يهول الأمور عرفة شاب نبت من أرض سيناء الطاهرة ولديه

روح ثائرة وشديد الإعجاب بنيلسون مانديلا ومارتن لوثر كينج وإرنستو جيفارا دي لاسيرنا (التشي)، وقد أعارني كتابين وهم:

- مجهولات .. للكاتب الفرنسي باتريك موديانو.

- سرير الرجل الإيطالي .. محمد صلاح العزب.

شرعت في قراءة الرواية الأولى فور انصرافه.

***

نبهني عم إبراهيم إلى أن عدم خروجي ليومين متتالين سيثير فتنة بين زملائي حيث إنه "مافيش أكتر من نبر المساجين"

***

التاسعة والثلث مساءً .. أنتظر زيارة أمي بفارغ الصبر حيث ستأتي إن شاء الله بالمطلوب من أوراق لأضمن خروجي في العفو استغللت اليومين الفائتين في كتابة بقية مرحلة المجابهة في السيناريو.

مشهد ٦٨

نهار / داخلي

غرفة نوم نور

▪ نسمع رنين هاتف يوسف وتبدو آثار ليلة أمس واضحة ونور نائمة في حضنه وهما عاريان إلا من ملاءة تغطي جسدهما.

▪ يوسف يستيقظ تدريجيًا على صوت الرنين فيلتقط الهاتف ليرد.

▪ بصوت ناعس.

يوسف: ألو.

ص زكي: ألو .. يوسف؟

▪ بملل.

يوسف: أيوه مين؟

▪ ضاحكًا.

ص زكي: هيكون مين يا حمار أنت.. أنا طبعًا.

▪ بدهشة فرحة وهو ينتفض جالسًا على الفراش.

يوسف: زكي حميد؟

مشهد ٦٩

نهار / داخلي

بيت يوسف

▪ مائدة الطعام عامرة وحولها يوسف ونور وزكي وياسين والأم في جو بهيج.

الأم: نورتوا يا حبايب يوسف ياما حكالي عنك يا أستاذ زكي وحبايب يوسف حبايبي.

▪ وهي تنظر لنور بإبتسامة.

▪ بفرحة.

نور: ربنا يخليكي يا طانط.

زكي: تسلم إيدك يا حاجة.

▪ ينظر لزكي متفحصًا.

ياسين: الأستاذ زكي باين عليه ابن حلال.

زكي: ربنا يخليك يا ياسين.

الأم: هنقعد نتكلم

ياللا كلوا أنا ما بأعزمش على حد.

▪ يبدءون الأكل جميعًا في جو عائلي.

مشهد ٧٠

ليل / داخلي

بيت يوسف ▪ غرفة الأم

▪ يوسف يجالس الأم وياسين بعد انصراف الضيوف.

ياسين: إحنا دلوقتي واخدينك على قد عقلك .. زكي باين عليه كويس بس برضه أنت عرفته في سجن ونور دي نزلت علينا بالبراشوت ومش عارفين عنها حاجة ولا إيه رأيك يا ماما؟ الظاهر إنك ما بتتعلمش.

الأم: إستنى يا ياسين بالراحة على أخوك تسمعه الأول.

▪ في سرعة.

يوسف: بالظبط كده دلوقتي زكي ده صاحب شركة

عقارات كبيرة وهيشغلني معاه ماتنساش إنى ما ليش فرصة في أي حتة تانية أنا أنا سوابق ونور مقطوعة من شجرة وكانت عايشة بره إيه يعني كانت متجوزة .. مش جريمة يعني.

▪ برد فعل على وجهه.

الأم: لا، يا بني أعوذ بالله دا نصيب.

يوسف: ربنا يخليكي ليّ يا ست الحبايب وأهي قدامك لو ما عجبتكيش يبقى اللي تؤمري بيه

▪ نسمع رنين هاتف يوسف فينظر إلى الشاشة.

دى نور هأروح أرد في أوضتي.

▪ يخرج.

▪ لياسين.

الأم: أخوك بيتكلم صح.

ياسين: أنا خايف عليه.

الأم: ماشي أنا عارفة وكفاية إنه دلوقتي تحت

عينينا وعاملنا كبار عليه
وشاري خاطرنا.

* ياسين يتنهد مستسلمًا
فتربت الأم على كتفه
وتبتسم بطيبة.

مشهد ٧١

نهار / خارجي

شوارع القاهرة

▪ منظر عام لمبنى فخم وتظهر بوضوح لافتة (شركة turn on للعقارات).

مشهد ٧٢

نهار / داخلي

مكتب زكي

- زكي جالس إلى مكتبه يراجع بعض الملفات.
- نسمع طرقات على الباب.

(صوت طرقات الباب)

زكي: ادخل.

- يدخل يوسف.

يوسف: إيه ادخل دي ما فيش اتفضل نورت كده يعني.

زكي: حبيبي يوسف نورت طبعًا اقعد.

- يجلس.

يوسف: جايلك في شغل.

زكي: أؤمر.

يوسف: بص يا سيدي معايا مبلغ كده عايز أشغله معاك.

- مداعبًا.

زكي: همم هو أنت لحقت تقلب البنت؟

▪ بشرود.

يوسـف: يا زكي ممكن تاخد من الست جسمها بس فلوسها لأ.

زكي: طب بس بس هتقلبها

زكي: نكد ليه إستنى.

▪ يضغط زر الإنتركوم.

اتنين قهوة زيادة لو سمحتِ يا منى.

ص . منى: حاضر يا فندم.

زكي: معاك كام يا چو؟

يوسـف: ربع مليون.

▪ ساخرًا.

زكي: ربع مليون وإيه الريسك ده كله؟

يوسـف: من غير تريأة لو سمحت أنا أصلي قررت أبدأ من جديد .. وأتجوز.

▪ مندهشًا.

زكي: بجد ماشي يا سيدي مبروك وأنا برضه عند وعدي ليك.

يوسف: حبيب قلبي أبوسك.

زكي: إمشي ياله أمال المزز

¼ مواطن

راحوا فين؟! اسمع النهارده
نتغدى سوا وتقضي
يومك وتبات في القاهرة
وبكرة نكتب العقود
وعلى فكرة اوعى تكون
فاكر إن دخل عليَّ إنك
بتحب جديد.

- رد فعل على وجه يوسف.

مشهد ٧٣

ليل / خارجي

كافيه چانجل / الإسكندرية

• يوسف ونور جالسان إلى مائدة بجوار الشلال وأمامهما النسكافيه.

نــور: بقالك كام يوم في القاهرة بتعمل إيه؟

يوسـف: هي دي بقى المفاجأة اللي قولتلك عليها أولًا: يا ستي أنا غيرت الكارير إمبارح كنت مع زكي بنمضي عقود الشغل الجديد.

نــور: شغل إيه؟

يوسـف: العقارات شركة زكي ليها اسمها وهاتفيدني كتير أنتِ عارفة العقارات هي اللي ماشية اليومين دول.

▪ تمسك يده.	نـــور: ربنا يوفقك مبروك يا حبيبي.
▪ يوسف شارد ويخفي شروده سريعًا.	

مشهد ٧٤

ليل / خارجي / داخلي

شوارع الإسكندرية ▪ في

سيارة نور

▪ السيارة تضم نور ويوسف وتقف أمام لجنة يبدو الحب على ملامحهما وهو يحدثها ويقبل يدها مما يثير حفيظة ظابط اللجنة فيتوجه نحوهما.

▪ لنور بسماجة.

الظابـط: الرخص.

▪ تناوله الرخص ويبدو على يوسف الارتباك الشديد فيلحظ الظابط هذا.

▪ ليوسف بصرامة.

الظابـط: بطاقتك يا بني.

▪ يوسف يرتبك وينظر لنور.

نــور: وحضرتك عايز بطاقته ليه؟

الظابـط: نعم ياختي دا كمين

مباحث وفيه قانون طوارئ وبعدين أنتي هتعلميني شغلي؟!

• يصيح بها.

• بحدة وقرف واضح وهي تظهر باسبورها.

نـــور: قانون الطوارئ بتاعك ده ما يمشيش عليّ أنا جنسية أمريكية

• يرتج على الظابط.

الظابــط: شوية كده بقى عشان مستعجلين.

• بارتباك.

نـــور: آسف يا فندم اتفضلي.

• الظابط يتراجع.

يوســف: مالك كنت قلقان ليه كده؟!

أبدًا ما بأحبش بتوع الداخلية دول عندهم عقد نقص وبيطلعوها على الناس الغلابة لمجرد إنهم يحسوا بنفسهم.

نـــور: ما تبقاش متشائم أوي

كده فهم ناس برضه
كويسة مصر بخير.

▪ بسخرية. يوســف: آه .. جدًّا.

▪ تضحك. نــور: خلاص سيبك المهم
النهارده هأعرفك على
سالي أعز صاحبة ليّ

▪ يوسف شارد ولا يسمعها. رحت فين؟

▪ بهدوء. يوســف: تتجوزيني؟

▪ رد فعل على وجهها.

مشهد ٧٥

فوتو مونتاج

على خلفية موسيقى مرحة

▪ يوسف يعقد صفقات مع زكي وبعض العملاء.	(موسيقى مرحة)
▪ يوسف وزكي مع عملاء آخرين في مساحة شاسعة من الأراضي.	
▪ يوسف ونور وسالي في مطعم على البحر.	
▪ يوسف ونور والأم وياسين في معرض أثاث فخم ونور تنتقي غرفة نوم.	
▪ يوسف في غاية الأناقة والوسامة يتجه لسيارته	

الجديدة من طراز بي إم دابليو وينطلق بها في مهارة واضحة.	
* صورة زفاف نور ويوسف يبتسمان في سعادة.	**(تتوقف الموسيقى)**

مشهد ٧٦

نهار / خارجي

شوارع الإسكندرية

- منظر عام لواجهة شركة turn on فرع الإسكندرية وموضح ذلك على اليافطة العريضة الأنيقة لها.

مشهد ٧٧

نهار / داخلي

مكتب يوسف

• يوسف يستقبل سالي في مكتبه.	يوسف:	إيه المفاجأة الحلوة دي؟!
	سالي:	مبروك الفرع الجديد كده أحسن عشان تبقى جنب بيتك ومراتك.
• تضغط على كلمتيّ بيتك ومراتك.	يوسف:	الله يبارك فيكِ ..أول ما السكرتارية بلغوني إنك هنا قلت أكيد نور ورا الزيارة دي.
• رد فعل على وجهه باندهاش.	سالي:	لا أبدًا هي ما تعرفش إني هنا أنا جاية عشان أشوفك
بحرج.	يوسف:	أنت مشغول؟ معطلاك؟! لا أبدًا دا أنا حتى خلصت شغل إيه رأيك نتغدى سوا؟

سـالـي: بس أنا كنت عايزاك في موضوع شخصي.

• وهو يغلق اللاب توب.

يوســف: مانا قصدي نتغدى بره مش عندي في البيت لوحدنا يعني.

• يوسف يمسك بيدها ويسحبها خارجًا وهي تبتسم في دلال أنثوي جذاب.

مشهد ٧٨

نهار / خارجي

كافيه ومطعم مفتوح على البحر

▪ يوسف وسالي وأمامها الطعام.	يوسـف:	أدينا لوحدنا يا ستي.
	سـالي:	عايزاك تسمعني كويس.. نور بتشتكي منك.
▪ برد فعل على وجهه.	يوسـف:	من إيه يعني؟
▪ يوسف ينظر لها بتركيز وملامح جامدة.	سـالي:	يعني على طول مشغول عنها اهتمامك بيها أقل حتى قالتلي إنك في أعز لحظات حبك ليها ما بتبقاش معاها سوري يعني أنا عارفة إنها لحظات خاصة أنا بأقولك عشان خايفة عليك ممكن لو قابلت حد مهتم بيها
▪ مقاطعًا.	يوسـف:	حد زي مين؟
	سـالي:	معرفش أنا قلتلك وخلاص.

■ بخبث وهو يأكل.

يوسـف: ها .. وقالتلك إيه تاني.

سـالي: همم إنك اتغيرت عن الأول وإحساسك بيها قل وحتى كلامك الحلو بطلت تقولهولها وإنك عايز تأجل الخلفة.

يوسـف: وأنتِ بقى بتحبي صاحبتك وخايفة عليها للدرجة دي؟!

■ بإنفعال مفتعل.

سـالي: يوسف أنت تقصد إيه؟!

يوسـف: سالي إيه رأيك أنا مسافر شرم كام يوم أخلص في حتة أرض هناك تحبي تيجي معايا؟

■ سالي لا ترد.

عمومًا فكري وبالنسبة لنور ممكن تسبقيني قبلها بكام يوم واخترعيلها أي سبب لغيابك.

مشهد ٧٩

نهار / داخلي

لوبي فندق بشرم الشيخ

▪ يجلس يوسف وسالي حول مائدة عليها أكواب عصير واللاب توب الخاص بيوسف وهو منشغل عليه.

سالي: يوسف.

يوسف: ها.

سالي: على فكرة أنا فكرت ميت مرة قبل ما آجي معاك هنا.

يوسف: وأديكي جيتي بصي بقى.. لازم تعرفي إني حاسس بيكي كويس أوي وفاهمك.

سالي: يعني إيه؟

يوسف: ببساطة كده أنتِ شايفه نور بتعمل اللي هي عايزاه وعندها كل حاجة أنتِ اتحرمتِ منها عربية.. شقة جنسية أمريكية حتى جوازها مني فا أنتِ بقى قريبة من نور عشان حرمانك

▪ رد فعل على وجه سالي باستغراب.

من الحاجات دي مش صاحبتك الأنتيم ولا حاجة يعني.

▪ بغِلّ.

سالي: وبعدين؟

يوسف: يوم ما جيتيلي وحاولتي تشككيني في نور كنتِ جاية قصداني أنا مش خوف على صاحبتك أنتِ هنا معايا لأنك مستعدة تكسبيني بأي تمن حتى لو نمتِ في سريري النهارده يا .. يا آنسة يا دوبك تلحقي طيارتك.

▪ رد فعل على وجهها.

▪ بسخرية وهو يلقي لها بتذكرة طائرة.

▪ تتكلم بغضب شديد.

سالي: بكره نشوف خضرة الشريفة بتاعتك وعلى فكرة أنت مش نضيف أوي كده أنت جوازك منها تفتيح سكك واسأل الباسبور الأمريكي اللي في جيبك.

▪ بتشف وهي تنصرف.

▪ رد فعل على وجه يوسف وهو يريح ظهره شاردًا.

مشهد ٨٠

ليل / خارجي

كافيه بخليج نعمة

▪ يوسف ونور.

نــور: إيه بقى الضروري اللي خلاك جبتني بسرعة كده.

يوسـف: مانا قولتلك وحشتيني خلصت شغلي وقلت نقضي يومين عسل.

نــور: وحشتك؟!

يوسـف: طبعًا يا حبيبتي أنا أصلي بأحس إن حضنك بيتي وما بأعرفش أنام إلا في بيتي.

▪ يغمز بغزل.

نــور: بجد يا يوسف؟!

▪ بدلال.

يوسـف: بجد يا عيون يوسف.

▪ بحب وهو يلمس يدها.

نــور: وااا او هو ده يوسف بتاع زمان.

▪ بسعادة.

يوسـف: هأقولك على حاجة من

غير أسئلة كتير مش عايزك تثقي أوي في سالي ويا ريت تقطعي علاقتك بيها أصلا.

▪ بارتياب.

نـــور: إيه اللي حصل؟

يوسـف: من الآخر كده سالي كانت عايزاني أعمل علاقة معاها وكمان كانت بتشككني فيكِ.

▪ يتغير وجه نور إلى الذهول.

نـــور: أنت بتقول إيه؟

▪ في استنكار.

يوسـف: ممكن تهدي أنا هأحكيلك على كل حاجة.

مشهد ٨١

نهار / خارجي

طريق سريع.

▪ سيارة يوسف وبها يوسف ونور تمرق على الطريق.

▪ يافطة على الطريق مكتوب عليها "الإسكندرية ٥٥ كم"، بينما السيارة تبتعد حتى تختفي من الطريق.

مشهد ٨٢

نهار داخلي

شقة نور ويوسف ▪ وقد تم تحديثها

▪ جرس الباب ونور كانت في المطبخ تعد الطعام بينما تعرض شاشة lcd صغيرة بالمطبخ برنامج عن الطبخ تتابعه نور.

▪ تتململ قليلا ثم تذهب لتفتح الباب لتجد سالي هي الطارقة.

▪ برد فعل غاضب.

نـــور: أنتِ!!

▪ تدخل سالي ولكن نور توليها ظهرها فتتجه سالي للوقوف أمامها.

سالي: نور .. ممكن تسمعيني؟ يا نور أنا صاحبتك الوحيدة ومن حقي تسمعيني وحياة العشرة اللي بينا.

▪ نور تتنهد مستسلمة وهي دامعة العينين ..وكأنهاوافقت على سماعها.

مشهد ٨٣

نهار / خارجي

شوارع القاهرة

- منظر عام (شركة turn on للعقارات) الفرع الرئيسي.

مشهد ٨٤
نهار / داخلي
مكتب زكي

- زكي على مكتبه وأمامه سكرتيرة جميلة ذات جسد رائع تضع على مكتبه أوراقًا.
- بدلال مثير.

السكرتيرة: الورق يا أستاذ زكي.

- زكي ينظر لها بشهوة.

زكي: بقولك إيه هاشوفك بالليل.

- السكرتيرة تضحك.
- رنين هاتفه، ويرى الرقم الطالب فيشير للسكرتيرة أن تنصرف.
- السكرتيرة تخرج وهو يرد.

زكي: أيوه يا حبيبتي ما لها حماتي لا.. ألف سلامة.. والله مش ضامن ظروفي النهارده ممكن أتأخر طب روحي أنتِ والأولاد

وأنا هابقى أحصلكم بكره
لو سهرت النهارده
بقولك إيه هأكلمك تاني
.. معايا ويتينج .. سلام.

▪ ينظر لشاشة الموبايل.

ألو تور إزيك إيه
المفاجأة الحلوة دي إيه

▪ يفتح المكالمة الجديدة.

يا بنتي مالك .. طب إهدي
بس بطلي عياط مش

▪ يتغير وجهه.

فاهم حاجة بالراحة
كده .. فيه إيه بالظبط.

مشهد ٨٥

غروب / خارجي

شوارع الإسكندرية

- يوسف يقود سيارته ويتحدث في هاتفه عن طريق الهاند فري.

يوسف: ماما حبيبتي إزيك عاملين إيه وازي الواد عمر.. بجد مراته حامل؟.. هأباركله لما أشوفه إن شاء الله والله يا حبيبتي غصب عني مشغول أيوه كده الدعوات الحلوة دي ما له ياسين.. طب أنا جايله حالًا مسافة السكة.

مشهد ٨٦

ليل / داخلي

بيت يوسف القديم ▪ تم تحديثه بديكورات وأثاث جديد.

▪ يوسف مع الأم وياسين وهناك حالة وجوم.

يوسف: إيه يا ياسين .. مالك؟

ياسين: أنا اتعرفت على بنت كويسة من المنصورة ونويت أخطبها كلمت أهلها ووافقوا مبدئيًّا هي ليها عم لواء في مديرية الأمن ولما سألوا عرفوا إنك يعني

▪ بتردد.

▪ مقاطعًا.

يوسف: إني كنت محبوسًا، فرفضوك عشان ليك أخ رد سجون شوف أنت تقوم تكلملي الراجل حماك ده حالًا.

▪ بهدوء.

الأم: هتقوله إيه يا يوسف؟

يوســف: هو بس يكلمه ونستأذنه إني أقابله في أقرب وقت وسيب الباقي عليّ

▪ ياسين لا زال واجما.

ما قولتلك سيب الباقي عليّ .. بتحبها يا واد

▪ وهو يحيط بكتف ياسين مداعبا فيضحك ياسين بخجل وتضحك الأم.

أيوه يا عم المنصورة وجمال المنصورة!!

مشهد ٨٧

ليل / داخلي

كافيه على النيل ■

المنصورة

■ يوسف يستقبل على مائدته رجلا في العقد السادس أنيق الملبس هو زكريا نسيب ياسين.

يوسف: أهلًا.. أهلًا يا أستاذ زكريا.

زكريا: أهلا يا أستاذ يوسف.

■ بملامح جامدة.

يوسف: حضرتك تشرب إيه الأول؟

■ ينظر لساعته.

زكريا: ممكن ندخل في الموضوع.

يوسف: طبعًا سيادتك رفضت ياسين أخويا لما طلب إيد رضوى بنتك بسبب إني كنت في السجن؟!

■ بملل.

زكريا: مظبوط.

يوسف: طيب أولا: متشكر جدًّا على إنك اهتميت تيجي

¼ مواطن

وتسمعني ثانيًا: أنا كنت محبوس سبعة أشهر بسبب وصل أمانة كنت ماضيه لحماتي الأولانية يعني كان حاجة كده بدل القايمة اللي حصل إن الموضوع كان سوء اختيار مني لأنهم شافوا غيري وخدوا فلوسي، ولما طالبت بحقي حبسوني مش ده المهم أستاذ زكريا أنا حاليًا والحمد لله عندي ملايين ومعايا جنسية أمريكية؛ لأن مراتي أمريكية باختصار كده أنا بتعامل في بلدكم دي على إني مستثمر أجنبي واللي يشرفنى هو اللي أنا حققته بعد وقوعي أنا ما قعدتش جنب الحيط

- تعبيرات قوية على وجه يوسف وهو يتكلم.

أعيط على اللي راح لا
أنا فهمت اللعبة كويس
أوي تقدر تسأل على
يوسف عبد الرحمن رجل
الأعمال وضعه إيه
بالظبط وطبعًا مش
هأعز حاجة عن أخويا
ومراته ده بعد موافقة
حضرتك طبعًا كمان أنا
بأفكر أعمل مشروع
كويس هنا في المنصورة
و متهيألي مش هلاقي شركة
مقاولات تخلصه أحسن
من شركة حضرتك

▪ زكريا يستمع منصتًا وتبدأ ملامحه تلين رويدًا رويدًا.

أنت عارف المشاريع اللي
بملايين دي محتاجة خبرة
زي حضرتك في تنفيذها

▪ بلهجة ترغيب.

▪ مبتسمًا.　　　　　　　　　　　　　　　　　ها .. نشرب حاجة بقى؟

زكريا:　　　دلوقتي ممكن.

▪ يوسف وبسمة انتصار
ساخرة.

مشهد ٨٨

ليل / داخلي

شقة نور ويوسف

▪ نور تتحدث في موبايلها.

نــور: طب أنت إيه اللي وداك المنصورة مش تقولي يا يوسف ولا أنا خلاص ماليش لازمة عندك مبروك يا سيدي بس كان لازم تقولي ولا مراتك دي بقت زيها زي الكرسي ما بتفتكرهاش غير لما ترجع البيت خلاص لما ترجع نتكلم كمان هاتبات؟.. هو أنت لحقت تتفق مع القاعة؟ سلام يا يوسف.. سلام.

▪ بنبرف عالٍ.

▪ بغضب شديد.

▪ تغلق الخط.

▪ تطلب رقمًا ما.

▪ انتظار للحظات.

نور: أيوه يا زكي مختنوقة جدًا وعايزة أتكلم معاك خلاص طالما أنت جيت إسكندرية تعالي أنا عايزة أشوفك.

مشهد ٨٩

ليل / داخلي

شقة نور ويوسف.

▪ زكي ونور التي جلست منهارة وغاضبة وأمامها زجاجة خمر نصف فارغة تشرب منها الكأس في يدها وزكي مندهش.

زكي: من إمتى بتشربي؟!

▪ بلسان ملتوٍ من أثر الخمر.

نور: كنت بأشرب قبل ما أعرف يوسف بعد طلاقي من جوزي الأولاني.

زكي: هي سالي كلمتك أو جتلك تاني؟

▪ تبكي.

نور: آه بتقول إن يوسف مش سايبها في حالها، ولما زهق عرض عليها الجواز لاء وجاي يقولي اقطعي علاقتك بيها البيه فاكرني عبيطة لولا أنها جاتلي

وقالت لي عن محاولاته الوسخة معاها ولا كنت عرفت حاجة حلفتني إإني ما أجيبش سيرة لحد سالي خايفة عليَّ ما قدرتش أكتم جواايا فكلمتك لو كنت كلمت حد من أهله كان هييجي عليَّ طبعًا ما أنا بالنسبة لهم خواجاية.

▪ تعجبها دعابتها فتضحك بشدة وتحاول ملء كأسها من جديد فتفلت الزجاجة من يدها لتقع وتتكسر زكي يقترب منها لتهدئتها فتنهار في حضنه باكية.

زكي: طب اهدي بس اهدي.

▪ رد فعل بارتباك على وجه زكي.

نــور: عارف هو لو بيحبني كاكان حس بيَّ دانت جيت ممن بلد لبلد عشاني أنت

▪ الوجهان، متقاربان من بعض جدًّا.

▪ هنا تبدو بوضوح مدى

جمال وجاذبية ملامح نور
وزكي يثبت عينه على شفتيها.

- زكي يتطلع إليها في رغبة وفجأة يقاطعها بقبلة عنيفة ملتهبة.
- نور تحاول التملص ولا تقدر.
- رويدًا رويدًا تستسلم.

مشهد ٩٠

فجر / داخلي

شقة نور ويوسف

(المشهد بالكامل تصاحبه موسيقى هادئه توحي بالترقب)

▪ يوسف يفتح الباب بمفتاحه ويدخل إلى الليفينج.

▪ زجاجة الخمر المنكسرة على الأرض تلفت انتباهه والكأس الفارغ على مائدة الأنتريه الصغيرة.

▪ في هدوء يتجه إلى غرفة النوم ويتطلع إلى نور النائمة شبه عارية فوق الملاءات المبعثرة.

▪ يقف لحظات متسمرًا.

- يوسف يتشمم الهواء بعمق وينظر بحدة تجاه نور.

- يخرج إلى الليفينج متجهًا لباب الشقة ويستوقفه موبايل نور الملقى تحت قدميه.

- يلتقط الموبايل ويراجع بياناته.

- يعيد الهاتف كما كان بالضبط ويخرج بهدوء شديد ويغلق الباب دون صوت.

(تتوقف الموسيقى)

مشهد ٩١

فجر / خارجي

أمام مدخل العمارة

▪ يوسف ينزل الدرج ويقف أمام المدخل.

▪ يرجع إلى غرفة البواب فيجده يختم صلاة الفجر.

يوسف: تقبل الله يا عم منصور.

منصور: منا ومنكم يا بيه أؤمر يا يوسف باشا.

يوسف: بقولك إيه يا عم منصور.. حد زارنا إمبارح؟

مشهد ٩٢

نهار / داخلي

مكتب زكي

▪ يوسف يجلس على كرسي أمام المكتب بانتظار زكي ويدخن.

▪ يدخل زكي ليجد يوسف فيرتبك.

▪ أثار عدم النوم جيدًا على وجه زكي.

زكي: يوسف جيت القاهرة إمتى؟

يوسف: يا أخي، قول حمدلله ع السلامة أنا مستنيك من ساعتين هي الناموسية كانت كحلي ولا إيه؟

▪ بارتباك أكثر.

زكي: كحلي إيه يا عم انت بس ما بلاش اللون ده بالذات.

يوسف: ماشي يا زكي بلاش الكحلي على فكرة أنا

خلصت موضوع شرم.

زكي: بسرعة كده؟

يوسف: أنت ليه بتنسى إني أمريكي؟ المهم خطوبة ياسين بعد أسبوع في رمادا المنصورة لازم تبقى معايا.

زكي: مبروك.

يوسف: الله يبارك فيك ياللا يا دوبك ألحق أرجع إسكندرية
حلو البرفيوم بتاعك.

- يقف مستعدًّا للخروج ويتوقف في طريقه ليشم الهواء بعمق.
- يخرج يوسف ويغلق الباب ويتسمر زكي على كرسيه محدقًا في الباب بشرود.

الأربعاء ٣٠ يونيو:

السادسة مساءً .. بعد عودتي من المكتبة والغداء انتهيت من قراءة الروايتين اللتين أعارني إياهما "عرفة" رواية سرير الرجل الإيطالي وجدتها باختصار عبارة عن سجود في محراب الجنس وغضبت جدًّا مما قرأته، ولكن ما قام بتهدئتي هو ذلك المذاق الأوربي والباريسي الذي تركته داخلي رواية موديانو.

***

لم أكن أعلم حين توجهت إلى المكتبة صباحًا أن غيابي ليومين متتاليين سيثير كل هذه الضجة وغضب الزملاء، أخبرني ماجد -في تشفٍّ- عن ما قيل في غيابي الجميع صب غضبه على اللعين -العبد لله- الذي ينام مستريحًا، بينما يستيقظون هم مبكرًا للعمل بالمكتبة، وطبعًا سمعت بأذني الهمز واللمز الغريب أنني لا عمل لي في المكتبة إلا الجلوس وكتابة القصص، وهو ما يريحني أكثر من الجلوس في العنبر.

***

[١٦] لا ننسى هنا أن الكلام لعابد وهو الذي يكره كل ما يمت للأنثى بصلة.

اليوم هو آخر أيام يونيو .. بدأ العد التنازلي .. المزيد من ارتفاع ضغط الدم في الطريق.

***

بين ذلك العد التنازلي والترقب لحضور تلك الشهادة التي ستحضرها أمي أنسحق نفسيًا تحت وطأة عدمية الإدارك لمرور الزمن هل تمر الأيام بسرعة الصاروخ مخلفة وراءها فرصتي في إحضار الشهادة أم تمر في بطء السلحفاة انتظارًا للعفو؟!

***

أحضرت اليوم من المكتبة روايتين لنجيب محفوظ عبث الأقدار ورادوبيس.

***

بالأمس انتهى مسلسل الأدهم وبدأت اليوم حلقات مسلسل "سنوات الحب والملح" وهو يناقش أحداث مؤثرة في تاريخ مصر .. الملكية، وتداعت إلى ذهني عبارة "التاريخ يعيد نفسه"

الجمعة ٢ يوليو:

الرابعة والنصف مساءً حدثت اليوم مناقشة حادة بيني وبين عرفة وناصر حول مصر في عيون كل منا والغريب أنني كنت الطرف المدافع عن مصر وبشراسة، يرى كل من عرفة وناصر -الأول سيناوي والثاني بدوي- أن مصر هي دولة العبيد، وأن المصريين هم مثال للخنوع والذل وأننا بلا هوية، وأن انتماءهم لسيناء لا يعني انتماءهم لمصر يؤمنان أن سيناء دولة مستقلة، ولابد لها من نيل استقلالها يومًا ما وذهبوا بعد ذلك إلى بعيد حيث يحرفان تفسير كل ما جاء من ذكر لمصر في القرآن الكريم والسنة النبوية، وتلاعبوا بالتاريخ ليحطوا من شأن مصر.

***

بأحبها بعنف وبرقة وعلى استحياء

وأكرهها وألعن (أبوها) بعشق زي الداء

وأسيبها وأطفش في درب وتبقى هي ف درب

وتلتفت تلاقيني جنبها في الكرب

"صلاح جاهين"

***

السبت ٣ يوليو:

السادسة مساءً   ظهر اليوم الوجه الحقيقي لماجد حيث إنه أبدى غله من خروجي في العفو، وأخذ طيلة النهار يخبرني بأنى لن أخرج -لا قدر الله- وعمومًا لا أكترث لهؤلاء، ولديه جدران السجن كله ليهشم عليها رأسه الغبي هذا.

***

لا زلنا مع مباريات كأس العالم.

***

انتهيت من قراءة روايات نجيب محفوظ   الحق أن هذا الرجل أسطورة أدبية ولمصر أن تفخر به.

***

اختفت الأنثى تمامًا وبشكل نهائي لا رجعة فيه من حياة المدعو/ عابد الرحمن محمد .. هل رآها أحدكم؟!

الأحد ٤ يوليو:

الخامسة مساءً بعد العودة من المكتبة والغداء وبعض المناقشات مع عرفة هذا الشاب الثوري، اتخذت اليوم خطوة إيجابية تجاه موضوع شهادة الجدول كلفت الشاويش عبد العزيز بمحادثة أمي هاتفيًا وسأنتظر منه الرد غدًا إن شاء الله، وكلفني هذا الأمر علبة مارلبورو حمراء لعل وعسى أن يأتيني برد يثلج صدري.

أعارني عرفة اليوم عدد يوليو من مجلة الشباب، ولم أظفر منه سوى بمقالين لأنيس منصور ود. أحمد خالد توفيق، غير أني أحضرت اليوم من المكتبة كتاب الذين هبطوا من السماء لأنيس منصور ذلك الكتاب الذي كانت تضمه مكتبتي.

***

شهد اليوم إفراج عن أبي سماح فرحت له جدًا ومن كل قلبي ودمعت عيناي وأنا أعانقه مهنئًا.

الأم

"كنت أرى الدنيا سوداء .. معتمة، لا يتسرب إليها ولو بصيص خافت من الضوء، ولا ينفذ من سوادها أمل تالله ما الذي فعلته بنا يا عابد؟"

***

أولادها .. هذه الكلمة تلخص حياة السيدة منال السيد والتي تخطت الرابعة والخمسين من السنين كلمة كانت وستظل هدفًا وسببًا لتحياها من أجلهم ولهم، منذ أكثر من عشرين عامًا انفصلت عن زوجها لا يهم السبب وهو لا يعني أحدًا ولا حتى هي ما يعنيها هو ما أصبح واقعًا تعيشه وتتخبط بين خبايا ما يطويه من قدر تتخبط وهي تحمل على كتفها هموم ثلاثة من الأبناء؛ ياسين، وعابد، وآسر بترتيب أعمارهم كانت قد رُزقت بثلاثة ذكور أنجبتهم خلال أحد عشر عامًا من الزواج قبل أن يحدث الانفصال، هذا وقد تزوج طليقها محمد راضي من امرأة أخرى وأنجب منها ابنتين، وذهبت الحياة بكل منهما إلى طريق وجاءت الأخبار تحمل خبر سفر طليقها إلى بلد ما من بلاد أوربا لتجد نفسها تواجه المستقبل وحدها لم يكن لها إخوة رجال، أما عن أختيها فكل منهما تقطن في محافظة مختلفة عن محافظتها، وقليلًا ما يلتقين أو يتهاتفن، هكذا وجدت نفسها وحيدة تمامًا وبلا ظهر اختارت أن تغلق

بابها على نفسها وأولادها، وألا تلتفت إلى كلام زميلاتها في العمل ونصائحهن بالزواج كان رأيها قاطعًا في أن زوج الأم سيظل دائمًا وأبدًا زوج أم مهما بدا متعاطفًا أو حنونًا قررت أن تخوض غمار الحياة لتربية الأولاد حتى يكبروا فيكونوا هم السند والظهر، وأغلقت الباب في وجه كل من سوّلت له نفسه أن يلعب دور العاشق الولهان الذي جاء أخيرًا لينقذها من معارك الحياة التي لا ترحم.

كانت حياتها مرسومة ومحددة سلفًا ولم تكن تتوقع بها تغييرًا ما العمل صباحًا والبيت ليلًا فقط، هذه حياتها وقد تلخصت في أربع كلمات لا تحيد عنها النهار للعمل فهي حاصلة على دبلوم تجارة وتعمل في إدارة التخطيط بالمحافظة كواحدة من مكتب السكرتارية، تذهب في الثامنة صباحًا لتجلس على مكتبها الكئيب تتابع الدفاتر والطلبات فيما يخص الترخيصات أو ما يحوّل من وإلى الإدارة الهندسية من أوراق رسمية ومخالفات بنائية وما إلى ذلك، وتبقى هكذا حتى الثانية ظهرًا فتهرع في عز القيظ لتقف منتظرة في موقف الأتوبيس، ودائمًا ما تجد لنفسها مكانًا بعد عذاب فتقف محشورة تترنح من ارتجاجات الحافلة، الحافلة بأسخف أنواع من البشر وأكلحهم وجوهًا، تتحمل صامتة حتى تصل إلى البيت مغبرة وغارقة في العرق فتدخل أوتوماتيكيًا إلى الحمام

لتأخذ دشًّا باردًا يزيل عن جسدها صهد الحر وغباره وعرقه بعدها تهرع إلى المطبخ لإعداد وجبة تسد بها ثلاثة أفواه مفتوحة وتشبع بطونهم، وما أن ينتهي الغداء حتى ترتمي على فراشها غائبة عن العالم حتى المغرب ليبدأ النصف الآخر من اليوم غسيل كواء مذاكرة للأولاد التأكد من أن أحدهم لم يرتكب مصيبة ما وربما لا يخلو الأمر من صفعة لأحدهم هنا أو هناك هي تعرف متى تكون صارمة وكيف بعدها ينتهي اليوم فتخلد إلى النوم لتصحو فجرًا فتأخذ حمامًا وتصلي ثم يأتي دور غسل الصحون المتراكمة منذ أمس، ثم ترتدي ملابسها على عجل وتخرج للحاق بعملها لا تتأخر طوال اثنين وثلاثين عامًا لا تتأخر هكذا تمضي الحياة رتيبة وبلا جديد.

مرت سنوات وكبر الأولاد وأنهوا تعليمهم تخرج ياسين في معهد السياحة والفنادق، وعابد في كلية التجارة أما (آسر) فقد أنهى دراسته بكلية الخدمة الاجتماعية، وطفق ينتظر موقفه من التجنيد مشوار طويل قطعته مع أبنائها حتى تخرجهم للحياة رجالًا يعتمد عليهم مشوار طويل تحملت أعباءه ومشاكله وحدها، أسفرت الأيام عن عودة طليقها من السفر ولكنه لم يحقق شيئًا سوى أنه قد زوج بناته واستقر في بيته بعدما عاد للعمل كمهندس مدني في مكتب هندسي خاص ولم يعد

بوسعه مساعدتها إلا بالقليل الحياة لا ترحم أحدًا وهي لم تكن تنتظر شيئًا من أحد التحق ياسين بالعمل في أحد الفنادق بالغردقة، ولم يجد عابد لنفسه مكانًا في البنوك أو الشركات وبعد بحث مضنٍ -بلا جدوى- استقر به الأمر كعامل سنترال مع أحد أصدقاء دراسته في الجامعة، أما آسر فقد حصل على إعفاء من التجنيد ولكنه لم يجد عملا بعد والآن ستكشف الحياة عن فصل جديد في حياة هذه الأسرة كان بطله الأوحد هو عابد.

***

هذا ليس ابني الذي أعرفه !! عابد كان اسمًا على مسمى لا يترك ركعة، خجول مهذب راضٍ بقضاء الله ولا يتوانى عن مساعدة غيره كان يعبد الله وكأنه يراه، محبوب من الجميع علاقته طيبة بإخوته البنات وحتى أمهم -زوجة أبيه- تحبه، في حين أن أشقاءه كانوا يبتعدون عنهن ولا يعترفون بهن، غارق تمامًا في كتبه وأوراقه وقلمه، ويحلم بأن يخاطب العالم بكلماته. أما هذا الكائن الفظ المغرور الذي أصبحه فلا أعرفه منذ أن التحق بالعمل في تلك الشركة العالمية الشهيرة وتمت خطبته ممن أحبها وهو شخص آخر شخص لا يرى في الدنيا سوى مصلحته ونفسه فقط .. شخص ظن أنه لم يعد بحاجة إلى أحد فلم يعد

يسجد ويصلي تغيرت أخلاقه وأصبح عصبيًا حادًّا، يصبح بي أن أتركه وشأنه إذا ما حاولت الاطمئنان عليه بدأ الأمر حين لاحظت أن مصروفاته تزيد عن دخله الكثير والكثير جدًّا راتب عابد ألفان من الجنيهات شهريًّا وهو يسلّمه بالكامل لحماته أول كل شهر ليسدد به قسط الجمعية التي أدخلَتْه إياها من أجل الأثاث، فماذا إذن عن البذخ الذي أصبح يحيا فيه الملابس الغالية واللاب توب والعشاء الفاخر في الأماكن التي لم يكن يجرؤ على المرور أمامها من قبل، في نفس الوقت أصبح لا يهتم بي ولا بإخوته، بل إنه كان يتعامل معنا باستعلاء كان نموذجًا مجسدًا لكلمة خيلاء أدركت في رعب أن ابني الذي ربيته أفلت من يدي واتخذ أهل غيرنا نوال حماته هي أمه، ووفاء خطيبته هي حياته، والأدهى أنه لم يعد يبال بحلال أو حرام كنت ألح عليه كي أعرف مصدر مصروفاته فيقول: إنها عمولات زائدة يستخرجها لنفسه من عمله في المبيعات ولم أكن أجرؤ على مواصلة استجوابي كنت أخاف أن يتطور الأمر ونتشاجر فيضيع مني للأبد، ويصبح لهم كاملًا غير منقوص.. تدريجيًّا تشربت وفاء هذه الحقيقة الواقعة هي الأعلى والأغلى، أصبحت تتعامل من هذا المنطلق، لنا من عابد ورقة بمائتي جنيه يرمي بها إلينا في الأول من كل شهر، ولها هي كل شيء بدأت أفطن

إلى خائنة أعينها نعم، فدور الملاك الذي كانت تلعبه لم ينطلِ عليَّ كثيرًا.. أحيانًا تفلت منها نظرات شريرة، وأقسم على أن هذه الفتاة تحمل قلبًا من الحجر.. كانت في زيارة عندي -وهي دائمًا ما تأتي من وراء أمها- ورن هاتفها فانقلبت سحنتها وهي ترد بطريقة سوقية مبتذلة كان الطالب هو خالد ابن زوج أمها، وقد عرفت منها أنه اتصل بها؛ لأن أباه تشاجر مع أمها -نوال- ويريد منها أن تعد له حقيبة ملابس زوج أمها فما كان منها إلا أن انطلقت ببراعة في وصلة من الردح البلدي الذي تتخلله الشهقات ورفع الحواجب وتحريك الرقبة يمينًا ويسارًا:

- بيتها يا عينيَّ وهي حرة تدخل اللي تدخله وتمنع اللي تمنعه لا مش بيت أبوك إحنا هانستهبل وأنا مالي أنا مردتش.. تفتحله الباب ماشي ابقى عدي بكره خد هدومه .. سلام.

واحدة من المشاكل العائلية العادية ولكن أي أسلوب هذا؟!! مرة أخرى كانت عندي، وكانت تتناقش مع عابد حول إمكانية حصوله على قرض من البنك بضمان راتبه كي يتمم الزواج سريعًا، كانت قد أخبرت عابدًا أن لها جارًا محام يمكنه أن يحرر عقدًا بتاريخ قديم لشقتنا، ولكن باسم عابد وليس باسمي حتى يقدمه للبنك ضمن الأوراق التي طلبها لاستيفاء شروط الحصول على القرض ضغطت عدة أزرار في هاتفها

وطفقت تنتظر أن يجيب الطرف الآخر وما أن فتح الخط حتى رققت من صوتها وبالغت في دلال كلماتها لدرجة أنها كانت تتأود في جلستها نظرت إلى عابد فوجدته لا يلاحظ شيئًا، نطع هذا هو ما وصفته به في سري مغتاظة، إنه لا يهتم إلا بإمكانية الحصول على القرض ويلي هذا ليس ابني .. ليس عابدًا أقسم أن هذا الكائن ليس عابدًا.

هكذا توالت الأحداث، ظل عابد يضغط عليّ بأسلوبه هذا فتجنبته، وقررت ألا أبالي به بعد ذلك وكأنه غير موجود حتى بدأ سيل الكوارث ينهمر .. عرفت أنه مديون للشركة لأنه كان يأخذ ما يحتاجه من عهدته ما يرضي به الست الهانم من سداد لأقساط الجمعيات وتعويض ما كان محروم منه، اتفق على أن يغطيه عملاؤه وقت الجرد مقابل خصم يدفعه من جيبه على عهدة الشهر الجديد هكذا يتبخر راتبه دون أن يدخل جيبه، وهكذا أيضًا يتضخم الدين رويدًا رويدًا جاءني ليعترف بهذا وهو منهار، وطلب مني العون هذا ابني ولن أتخلى عنه واستندت من أجله لطوب الأرض، وقفت بجواره حتى سددت جزءًا كبيرًا من مديوناته، ولكن سمعته في مجاله أصبحت في الحضيض فُصل من عمله، ولم يستطع أن يلتحق بشركة أخرى فوجد نفسه مطالبًا بسداد

الأقساط الشهرية لجمعية حماته التي لم تفلح إلا في شراء حجرتين عمولة.

- يا بني، اللي ما يستحملش قلة حيلتك ما يستهلش خيرك.

هكذا كنت أردّد على مسامعه كثيرًا لكن دون جدوى   ذات يوم دخلت غرفتي فشممت عطر وفاء ووجدت ملاءات فراشي مبعثرة   وبما أن غرفتي هي الوحيدة التي احتفظت بمفتاح بابها سليمًا ويعمل فإن استنتاج ما كان يحدث هنا يسيرًا   غلى الدم في عروقي واتصلت بها أنهرها عن المجيء دون أن أكون موجودة بالبيت   بلاش قلة أدب وسفالة   ثم بأي نفس يفعل عابد هذا   أستغفر الله العظيم   ما هذا الذي تحول إليه ابني؟!   وحسمت أمري بأن أذهب إلى بيت حماته وهو متواجد كي أصلح الأمور وأضعها في مكانها الصحيح   لابد من أن يخرجوا عابدًا من هذه الجمعية   فكيف سيسدد وهو لا يعمل؟   وعن راتبي   فهو بالكاد يغطي نفقات البيت وليكن الله في عون ياسين الذي يشقى من أجل إتمام زواجه من رحاب وهي -على نقيض وفاء تمامًا- بنت ناس ومتربية وتريد أن تعيش، أما عن محمد راضي والدهم فإيدك منه والقبر كما يقولون قليل الحيلة   قليل الفعل .. فشل في كل شيء في حياته بداية من زواجه مني وحتى سفره   وذهبت ويا ليتني ما فعلت   انفجرت فيّ نوال لتخبرني

أن (عابد) داخل طالع عليهم طوال عام ونصف ولم يحقق شيئًا، وأنها لو أرادت لزوجتها سيد سيده خلال أسبوع واحد .. ونظرت إلى عابد فوجدته لا ينطق، بل إنه كان ينظر إليّ بغل وكأني جئت لأفسد عليه زواجه هكذا غادرت البيت متحسرة .. ودموعي حبيسة تأبى أن تنزل من أجله:

- إلهي يا رب توديك في داهية يا عابد يابن بطني.

دعوتها من اقلبي، ولم أكن أعلم أن الله سيستجيب .. وعاجلًا.

***

لم أكن أعرف أن الأحداث ستتطور لهذا الحد ولم أكن أعرف أن (عابد) مديون لوفاء وأمها، وأنه قد وقع لهما إيصال أمانة على الأبيض إلا عندما تلقيت تلك الدعوى من يد محضر، وأفهمني عابد ما كان من أحداث وقد أسقط في يده كانت الدعوى من مكتب عصام الدربني المحامي، ذلك الرجل الذي كانت تتأود وهي تهاتفه، وفي ذهول أخبرني عابد أنه قد وجد يومًا رسالة غرام نصية على هاتفها من ذلك المحامي، ولما واجهها ادعت أنه يطاردها وأنها لا تعيره اهتمامًا ولم تخبره حتى لا تضايقه، ووعدته نوال أنها ستتخذ اللازم حيال هذا الموضوع وهكذا تناسى الموقف برمته.

- جتك ستين نيلة أهم كانوا بيأرطسوك كمان يا أهبل اشرب بقه.

نزل عليّ الخبر كالصاعقة عندما أخبرني أنه رآها بعينه في أحضان شاب داخل سيارته، ما هذا الذي كان ينوي الغوص فيه حتى النخاع، لربما كان السجن أرحم من هذه الزيجة، وهرعت إلى طليقي (أبيه)، ولكنه لم يفعل أكثر من الشجار مع نوال وابنتها في الهاتف والتفاوض مع محاميهم ظل يتشاجر ويفاوض حتى سجن عابد في يناير ومات هو نفسه في مارس.

صدر الحكم الأولي بحبس عابد لمدة ثلاث سنوات وإلزامه بكفالة جنيه مصري، فقمت بدفع الكفالة وعمل استئناف للحكم الذي جاءت نتيجته بتأييد الحكم الأول، فقمنا بعمل معارضة استئنافية والتي أسفرت عن تخفيف الحكم لمدة عام واحد علمت أن المحامي الذي وكله عابد قد قام بكل استهتار بتأجيل أول جلسة للسداد. وهذا يعني أنه قد أقر الدين الذي كتبوه بالإيصال والذي يقارب المليون جنيه مصري وأنه لم يحضر جلسة الاستئناف وقد أكد لي عابد أن وفاء قد التفت على محاميه ليبيعه إليها مقابل علاقة غير شرعية، ولكني أرجعت الأمر إلى استهتار المحامي، وأن قول عابد هذا لا يتعدى غله منها الذي يمزق صدره، والله وحده يعلم ما حدث، المشكلة أن الشاكي لا نعرفه ولا نعرف

كيفية الوصول إليه .. وفي الأسبوع الأول من يناير طُرق بابنا ولأول مرة من قبل رجال تنفيذ الأحكام وذهب عابد معهم مستسلمًا لقدره وهرعت أنا إلى أبيه ينجدني ولأول مرة بعمري أدخل فيها إلى قسم شرطة أحمل لابني طعامًا وبطانية تخيلت أن العالم كله ينظر إليّ وحاولت أن أختبئ داخل نفسي فم أستطع وفي الليلة الأولى لعابد في زنزانته تحول فراشي إلى حصيرة من الأشواك كل حركة عليها مهما كانت بسيطة تدميني كنت أرى الدنيا سوداء معتمة، لا يتسرب إليها ولو بصيص خافت من الضوء، ولا ينذ من سوادها أمل تالله ما الذي فعلته بنا يا عابد؟ وما الذي فعلته بنفسك؟

علمت فما بعد أنه تم ترحيله إلى مركز (..)، يا غُلبي ياني!! ذهبت وراءه إلى هناك أحمل الطعام والسجائر ودفتر أوراق جديدًا، وقلمًا أسود كما طلب كت أتبادل أيام الزيارة مع أبيه، فصحتي لا تسمح بالذهاب له مرتين أسبعيًا وفي يوم ٢٧ يناير عادوا به إلى القسم تمهيدًا لنقله إلى السجن .. علمت أنه سوف يتم ترحيله إلى سجن برج العرب وعلى مدى ثلاثة أيم متتالية كنت أذهب لزيارته مع أبيه، وسلمناه خطابات منا ومن إخوته وزوجة أبيه حيث إن وقت الزيارة لا يسمح بكل ما نريد قوله في اليم ٢٩ يناير اصطحبت معي (آسر) لرؤية أخيه وكان معي

أبوه كان منظر عابد حين يقتادوه من زنزانته إلينا يخلع قلبي دمعت عيناه حين رأى أخاه الأصغر كنا قد علمنا أن الشاكي هو زميل نوال في العمل، وبدأنا مفاوضات معه، ولكنه كان واقع تمامًا تحت سيطرة نوال، وأصر على ألا يفعل أي شيء إلا بعد الرجوع إليها فقال عابد إنه خلاص في السجن وما تدفعوش مليمًا للكلاب دول كلها كام شهر وأخرج وأخليهم يخبطوا دماغهم في الحيط ولما انتهينا ودعنا واحتضن أباه غير عالم أنها المرة الأخيرة التي سيراه فيها.

***

بســـــم الله الرحمن الرحيم

عابد حبيبي تأكد أنك مش لوحدك والله العظيم أنت عايش معانا، ولعلمك دي تجربة صحيح قاسية عليك وعلينا بس هنعمل إيه "قضاء ربنا" ولا تنسَ أنك ظلمت نفسك، أنت وحدك اللي وصلت نفسك لكده، وعمومًا أيام وتعدي إن شاء الله على خير أنا شوفت حالات أصعب منك بكتير وشبابًا في عمرك، ونقول دايمًا: الحمد لله وكفايه إنك رجعت زي الأول وأكيد أكتر في قربك من ربنا، وأنت عارف أنك قريب منه، بس لما بعدت عنه حب يفكرك فلا تحزن .. ولا تيأس من رحمة الله وربنا يقويك، أهم حاجة يكون معاك ناس كويسة حاول تكسب الكل بس مش ضعف، وصلِّ يا عابد خصوصًا قيام الليل .. نادِ ربنا هو وحده قادر على كل شيء المهم إحنا زي ما إحنا عادي ولا جديد، مافيش في حياتنا أحداث كل يوم زي اللي قبله واللي جاي بعده وأقول: الحمد لله وربنا يكفينا شر الأيام، ولا أحد يعلم عنا شيئًا .. وشوف أسماء كتب أنت عايزها وأنا أشتريها كتابًا كتابًا.

على فكرة عايزة أعرف أنتوا بيوزعوا عليكم طعامًا، ولا أكل الزيارات بس؟ فهمني لأني نسيت أعرف منك علشان أتصرف وأجيب زيارة يا عابد؟!

ربنا يهون عليك يا بني

ماما

بسم الله الرحمن الرحيم

ابني الغالي .. عابد.

مهما كانت الأحداث ومهما كانت الظروف ومهما كانت الحياة قاسية فإن النور لابد أن يأتي بعد الظلام ولا بُدَّ للغيم أن ينقشع وتبدو الحياة كما لو كانت بلا مشاكل وبلا صدمات وكما كنت تقول أنت إن ما لا يميتنى يقويني، ورب العزة يقول في حديث قدسي "من لم يرضَ بقضائي فليخرج من تحت سمائي وليعبد ربًا سواي" فأي سماء غير التي نعيش تحتها وأي إله غير الخالق البارئ المصور سبحانك يا رب لا راد لقضائك، نحمدك، ولن يوجد من نحمده على مكروه سواك.

هذه محنة قاسية ولا بُدَّ أن نتحملها بكل ما فيها من قسوة وبكل ما فيها من ذل ومهانة لكنها سوف تنتهي إن شاء الله وأعدك أنك لن تترك طوال هذه المدة داخل أسوار ملعونة، وإني مخرجك -إن شاء الله- قريبًا جدًّا .. والمهم أن موعدي مع الشاكي يوم الجمعة، وبإذن الله سوف نجد الحل الأمثل لهذه المشكلة وتنال حريتك كاملة.

¼ مواطن

الابن العزيز..

برغم المرارة اللتي أشعر بها وبرغم ضيقي وألمي إلا أنني دائمًا ما أقول: "لا حول ولا قوة إلا بالله" ليرتاح بالك ولتطمئن فلن يطول بقاؤك في الحبس، ولن تكوون لقمة سائغة لوفاء ونوال، وأقسم بخالقي لا بُدَّ وأن يدخلوا هذا المكان وفي القريب العاجل.

لك من الجميع كل الأمنيات والدعوات وحشتني جدًا جدًا يابن ستين كلب وكأنن جزءًا من جسدي قد تم بتره وعزائي الوحيد هو أنك رجل لا تحمل هم شيء لكن ليس معنى هذا أنني لن أحاسبك عند خروجك قريبًا لك، حبي وتحياتي.

والدك / محمد راضي

***

كانت مفاجأة موت محمد راضي خطفة في أحد أيام شهر مارس توفي إثر أزمة قلبية فهاجت الدنيا وماجت، ذهبت مع (آسر) وياسين إلى بيته ليروا أبيهم لآخر مرة، وأدخلتني زوجته معهما اقشعر بدني لدى رؤيته ولم أتمالك نفسي فبكيت يا الله .سبحانك يا عزيز يا مقتدر لك ما جليت ولك ما أخذت:

- هاتتحاسب إزاي على ولادك يا محمد ياا راضي.

كنت أبكي ما تفعله الدنيا بنا هاا هو واحد آخر عاش بعيدًا عن ولده ومات وابنه سجين ما أقسى الحياة وما أشد غلظة القدر ولله في قضائه شئون تم كل شيء بسرعة الغسل وصلاة الجنازة والدفن وسرادق العزاء، قررت رغم كل هذه االمعارضات ألا أخبر عابدًا بوفاة والده كان قد تم ترحيله إلى سجن برج؛ العرب وقد زرته هناك مرة لا أريد أن أزيد عذابه بخبر كهذا لشدة ماا كان متعلقًا به، حمدت الله على قضائه، وسألته اللطف فيما هو قادم فللم أعد أتحمل، كان موت محمد راضي بمثابة قصمة ظهر لأولادي حتى وإإن كنت الأب والأم معًا لسنوات طويلة كان عليّ أن أكون وحدي من جديد في مواجهة كرب ابني كنت أتكبد عناء رحلة زيارته وحدي ووحدي، أيضًا كنت أقف في انتظار فتح الأبواب لساعات طوال تحت الشمس بعد إجراءات دخولي للزيارة، وحين

كان يسألني عن أبيه كنت أكذب ادعيت أن أباه مريض، وقد تم حجزه في معهد القلب، وقد فعلت هذا كتمهيد للخبر عندما يخرج إن شاء الله توالت رحلات الزيارة ويعلم الله أني كنت أحرم إخوته من اللقمة كي أوفر مصاريف زيارتي له، وعلمت من عابد أنه -بإذن الله- سوف يخرج في عيد الثورة؛ لأنه وقتها سيكون قد أمضى أكثر من نصف مدة العقوبة ولم تكن هناك سوابق في صحيفته الجنائية، وقد طلب مني في إلحاح أن آتيه بإيصالات من خزنة النيابة تفيد بأنه مسدد لمصاريف القضية وفعلت ما طلبه وذهبت فوجدت الموظف يخبرني بأنه قد تم سداد جميع المصاريف، وفي الزيارة التالية أخبرته بهذا فبدا عصبيًا جدًا وقال أنه قد سأل هنا في المكاتب الإدارية وقد طالبوه بهذه الإيصالات كي يسمح ملفه بالخروج في العفو وفي ظهيرة أحد أيام يوليو رن هاتفي وجاءني صوت من يدعى عبد العزيز، وهو شاويش بالسجن، وأخبرني بأنه عليّ سرعة إحضار الإيصالات كي يتمكن عابد من الخروج في الثالث والعشرين منه، على الفور توجهت للنيابة -يا دي الدوخة- وأصبت بهستيريا حتى إن الموظفين جميعًا شرعوا في تهدئتي وأعطوني إيصالات جديدة، هاتفت عبد العزيز وأخبرته أنني سآتي إليه أينما كان لأعطيه الإيصالات كي يوصلها بنفسه لعابد:

إلهي يكرمك يا بني وما تشوف ضيقة أبدًا   هاجيلك وتوصله أنت الوصولات   أنت عارف إنه بيزور كل ١٥ يومًا بس ومش هأعرف أروحله بكره.

وقد كان   أملى عليّ عنوانه في إحدى القرى المجاورة للإسكندرية، ووصف لي كيف أصل، فكنت عنده بعد ساعات من المعاناة، أقسم عبد العزيز أغلظ الأيمان ألا يتركني أعود وحدي وقد تأخر الوقت، وعلى الفور أحضرت زوجته -ست البيت السمراء الطيبة الجميلة- العشاء وجلبابًا من عندياتها، لن يتركوني إلا صباحًا   وقد حدث   في فجر اليوم التالي وبعد ليلة حكيت فيها حكاية عابد بالتفصيل ولم تقاطعني سوى أصوات مصمصة شفاه الزوجة المتصعبة.. ارتدى عبد العزيز الزي الميري وأوصلني حتى محطة الأتوبيس قبل أن يتوجه هو إلى برج العرب، وظل يقسم أنه لن يهدأ حتى يسلم الإيصالات لعابد يدًا بيد .. وقبل أن يرحل قال لي:

- لزمًا عابد يعرف بموت الحاج يا ست منال   كده هون أحسنله من إنه بتفاجئ بعد ما يخرج إن شاء المولى.

قالها وذهب وأنا الآن في طريق عودتي أدعو الله أن يخرج ابني من محبسه، وعساه أن يرحمه من أجل دموع أم تناجي رحمته ابني ولن أتركه ولو مت بعدها .. هأعمل إيه بس.

عابد

الاثنين ٥ يوليو:

السادسة مساءً استيقظت صباحًا بعد معركة حقيقية مع الأرق، وتوجهت مسرعًا إلى المكتبة وذهني يعمل كمحرك قطار لا يهدأ ترى ما هو الرد الذي جلبه عبد العزيز، التقيته وفوجئت به يخرج إيصالات المصاريف من جيبه!!

كانت المفاجأة مذهلة علمت منه أن أمي لم تهدأ بالًا حتى توجهت إلى بلده لملاقاته وتسليمه الإيصالات يدًا بيد حتى يحضرها لي هذا الصباح، ولا أعرف كيف أرد جميلًا كهذا لأمي.

حمدًا لله .. باقي على خروجي ثمانية عشر يومًا.

قال لي عبد العزيز وهو يعطيني الإيصالات:

- أنا قابلت والدتك وجبتلك الوصولات بأمارة إنها مش أمك.. شقيقتك.

بالطبع كتمت قهقهة كادت أن تفلت مني، وشكرته بعلبة روثمان وانصرفت ما معنى هذا الذي قاله المهم أن الإيصالات أصبحت معي الآن.

***

الحادية عشر وعشر دقائق مساءً تتذكرون يوم توبيخي من مسير المجموعة القديمة بسبب عدم وقوفي احترامًا لمسير مجموعة أخرى، كنت وقتها ثائرًا جدًّا وكتبت بانفعال شديد عن هذا الموقف، وأتذكر أننا كنا في أحد أيام الجمع المفارقة أنني الآن أسكن بمجموعة هذا المسير الذي لم أقف له.

الريس فخري هذا اسمه وقد عرفني فور مجيئي، لكني تصنعت عدم تذكره الطريف أن الريس فخري نفسه هو من ساعدني اليوم وفورًا على تسليم الإيصالات إلى المكاتب الإدارية "لو علمتم الغيب؟!!"

***

عرفة البدوي الأخير كما يلقب نفسه .. مناقشاتي معه أصبحت من طقوسي اليومية، هو يرى أننا حاليًا بلا هوية، وأن الحل هو الليبرالية طالما لم نعد مسلمين خير إسلام، وأن أي اعتزاز بتاريخ الإسلام حين ساد الأمم يرجع إلى أننا فقدنا الحاضر وأصبحنا عبيدًا خانعين.

الثلاثاء ٦ يوليو:

السادسة مساءً دائمًا في الليل تبدأ المعاناة صراعاتي مع الأرق اليومية، غير أني صحوت اليوم شاعرًا بدوار مريع استمر معي حتى عودتي من المكتبة برغم الدوار الشديد ذهبت إلى المكتبة اليوم حتى لا أثير حنق زملائي، وبمجرد عودتي أسلمت نفسي للنوم، وصحوت أحسن حالًا كنت مرهقًا حتى إنني لم ألتق بعرفة اليوم.

الأربعاء ٧ يوليو:

الثانية ظهرًا اليوم هو المتمم للشهر السادس منذ حبسي التقيت اليوم عم يسري زميل غرفتي القديمة، وعلمت منه أن الصاوي قد عاد إلى السجن، وأن فترة غيابه كانت في سجن آخر لحضور جلسات تخليص مع دائنين.

الجمعة ٩ يوليو:

استيقظت مبكرًا وقمت بحمل فرشتي إلى التريب لتنظيفها، نعاني هنا من الصراصير.. هناك المئات منها وقد أصبحت مشكلة حقيقية ولك أن تتخيل الوضع هنا مدفون حيًا وسط التراب والقمل والصراصير،

وحتى الاستحمام يكون بمياه الخزانات الغير صالحة للاستعمال الآدمي، ويزيد حساسية جسدي وامتلائه بالحبوب والبثور.

***

طالعت لتوي مجلة العربي/ عدد يونيو، ووجدتها رائعة بحق قرأت مقالات عن الأنثربولوجي والاستشراق والسياسة .. وجبة ثقافية دسمة.

***

اليوم سأنتهي تمامًا من السيناريو بإذن الله.

مشهد ٩٣

ليل / داخلي

قاعة أفراح رمادا المنصورة

▪ مظاهر عامة للخطوبة وحشود المعازيم.

(موسيقى الحفل تطغى على المشهد)

▪ نور وعمر وزوجته الحامل على مائدة.

▪ زكي وزوجته وأولاده على مائدة، وواضح أنه يتحاشى وجود نور.

▪ سالي ترقص ويوسف غاضب من وجودها، وينظر لها بضيق.

▪ عاصم الذي يجلس بجوار يوسف ويثبت نظره على سالي في إعجاب واضح فيلحظ يوسف هذا بابتسامة ساخرة.

▪ زكريا على مائدة وزوجته بجوار ابنتها عند الكوشة

وتطلق زغرودة قوية.	
▪ ياسين الذي بدا متألقًا ووسيمًا.	
▪ جو الحفل فاخر عمومًا.	
▪ الأم تتنقل بين ابنها ياسين والموائد مرحبة، وتقبل أم رضوى ورضوى تنتقل لمائدة زكي مرحبة.	
▪ تفاعل كل هؤلاء في أجواء الحفل ما بين تبادل التهاني والتصفيق.	(تتوقف الموسيقى)

مشهد ٩٤

نهار / داخلي

مكتب يوسف

- يوسف يجلس خلف مكتبه وأمامه زكي.

زكي: وده قرارك النهائي؟ عايز تفض الشركة؟!

يوسف: أنا أصلي تعبت وعايز كمان أستقل بشركة بتاعتي.

زكي: شركة بتاعتك؟ طب ما هي شركة أهي يبقى عايز تفض ليه؟!

يوسف: تفتكر يا زكي إن إحنا ممكن نبقى شُركة بعد كده؟

- زكي يُبهت.

زكي: قصدك إيه؟!

- بقلق.

يوسف: يعني أنا عايز أرتاح زي ما قلت لك وشريكي الجديد مش غريب ده

ياسين أخويا عايز أسيب له الشغل وأرتاح وأكبره الراجل برضه بيبدأ حياته.. وعايز أعيش لأهلي شوية بقى يا أخي.

▪ باستسلام وقد أدرك ما يعنيه.

زكي: وماله حقك وهتسمي الشركة إيه.

يوسف: أمريكان كومباني وبدأت فعلا في أوراقها.

زكي: ماشي يا يوسف اللي تشوفه مبروك وربنا يوفقك.

▪ بلهجة ذات معنى.

يوسف: ويهديك.

▪ يرتج على زكي ولا يتكلم.

مشهد ٩٥

ليل / داخلي

شقة نور ويوسف ■ غرفة النوم.

■ يوسف ممدد على الفراش بملابس الخروج ومشعلا سيجارته ويبدو شاردًا.

■ نور إلى جواره مرتدية قميص نوم وتنظر له محاولة معرفة فيم يفكر.

نـــور: يوسف.

يوســف: نعم.

■ يوسف لا ينظر لها وغير مكترث أصلا ولا يرد.

نـــور: بتحبني؟

■ بعصبية.

نـــور: ما ترد عليَّ آه، حقك ما إحنا بقينا خلاص مش مالیین عینك مش بقينا أمريكان ستيزن ما ترد ولا جريك ورا سالي نساك

■ تصيح.

■ رد فعله على وجهه بدهشة عارمة.

■ تلقي بنفسها في حضنه وهي تنهار باكية.		مراتك أنا تعبانة تعبانة.. أنا محتجالك أوي.. أنا بحبك يا يوسف عايزاك تسامحني.
■ يزيحها من حضنه وينظر في عينها ببرود.	يوسف:	على إيه؟
■ نور يرتج عليها وتخر جالسة على الفراش فيتركها ويخرج.		
■ كريشندو صراخ.	نور:	رايح فين .. رد عليّ عبرني يوسف .. يووووسف.

مشهد ٩٦

نهار / خارجي

شوارع الإسكندرية

- لافتة شركة يوسف وقد أصبحت الشركة الأمريكية للعقارات.

مشهد ٩٧

نهار / داخلي

مكتب يوسف

▪ يظهر تغير اللوجو خلف المكتب ويجلس ياسين خلف مكتب يوسف، ويجلس يوسف أمام المكتب.

يوسف: منور المكتب يا أستاذ ياسين.

ياسين: ربنا يخليك ليّ يا يوسف على فكرة لما كنت بأقسى عليك في الكلام ده عشان كنت خايف عليك والله.

▪ بلهجة اعتذار.

يوسف: عارف طبعًا المهم دلوقتي عايزك في أسرع وقت تتعلم الشغل ومعاك كتيبة سكرتارية هتساعدك آه وابقى خلي زكريا يجيلك زيارة في

▪ بحماس.

- يضحكان بشدة ويتصافحان على طريقة كفك.

مكتبك لما يخلصه مهندس الديكور.

مشهد ٩٨

ليل / داخلي

شقة نور ويوسف

▪ افتتاح المشهد على صوت مسجل ينبعث من لاب توب يوسف (حوار مشهد ٧٩) ونكتشف أن نور ويوسف يجلسان في الليفينج، ويوسف يبدو باردًا تمامًا، بينما نور في حالة ترقب.

ص يوسف: لازم تعرفي إني حاسس بكِ كويس أوي وفاهمك.

ص سالي: يعني إيه؟

ص يوسف: ببساطة كده أنتِ شايفة نور بتعمل اللي هي عايزاه وعندها كل حاجة أنتِ اتحرمتي منها عربية.. شقة جنسية أمريكية حتى جوازها مني فأنتِ بقى قريبة من نور عشان حرمانك من الحاجات دي مش صاحبتك الأنتيم ولا حاجة يعني.

ص سالي: وبعدين؟

▪ نور يتغير وجهها برد فعل وقد أدركت مدى تلاعب سالي بها.

ص يوسف: يوم ما جيتيلي وحاولتِ تشككيني في نور كنتِ جاية قصداني أنا مش خوف على صاحبتك أنتِ هنا معايا لأنك مستعدة تكسبيني بأي تمن حتى لو نمتِ في سريري النهارده يا يا آنسة يا دوبك تلحقي طيارتك.

ص سالي: بكره نشوف خضرة الشريفة بتاعتك

▪ يوسف يغلق التسجيل الصوتي.

▪ ذهول على وجه نور وتضع يدها على فمها في محاولة لمنع نفسها من الصراخ.

▪ بسخرية مريرة.

يوسف: دي بقى سالي اللي وهمتك إني بأجري وراها ودايب في تراب رجليها حتى لو

▪ نور تنتفض في فزع وتفلت منها شهقة أقرب لصرخة.

ده صحيح تفتكري ده مبرر لأنك تخونيني مع زكي؟!!

▪ بهدوء.

يوسف: لا لا لا اهدي كده عاااادي جدًّا أنا أصلي قررت أزعل على الحاجة اللي تستاهل الغالية

▪ باحتقار.

وأنتِ رخيصة أوي

▪ يتجه نحو باب الشقة ولكنه يتوقف فجأة ويعود ليجلس جوار نور وهي مفزوعة يحيط كتفها بيده في رفق وحنان ويزيح خصلات شعرها عن أذنها اليسرى.

عم منصور هيجيب ناس تنقل حاجتي كمان شوية.

▪ هامسًا بها في أذنها برقة وعذوبة. يوسف: أنتِ طالق.

▪ يتركها ويخرج وهي تنهار باكية وأخيرًا تفلت منها صرخة عالية وتسقط مغشية عليها.

مشهد ٩٩

ليل / خارجي

كوبري ستانلي

▪ يوسف يستند إلى سور الكوبري وتنهمر دموعه في صمت.

▪ تتوالى لقطات سريعة

فلاش باك ▪

▪ وفاء في أحضانه على فراشه القديم.

▪ وفاء في السيارة مع باسم وهي تداعبه مرتكنة إلى صدره.

▪ السجن والمخبرين يضربونه والرائد يربت على خده بقوة وهو منهار بين يديه.

▪ أول قبلة مع نور.

▪ صورة زواجه من نور.

▪ لحظة رؤية نور شبه عارية وهي نائمة بعد خيانتها.

▪ الأم وطبيبتها.

▪ ياسين في مكتبه الجديد.

▪ عمر وهو يحتضنه بعد خروجه من السجن.

▪ عودة للحاضر▪

▪ يوسف منهار تقريبًا يحاول إشعال سيجارته لكن الهواء يطفئ شعلة ولاعته

تومض الشاشة في مشهد فلاش باك

ل / د

عيادة طبيب أمراض صدرية

▪ يوسف يجلس أمام مكتب الطبيب بقميص مفتوح والطبيب يراجع عددا من الآشعات للرئتين والتحاليل

ويبدو واجمًا جدًّا.	
* بقلق.	الطبيب: أنت بتدخن من إمتى يا أستاذ يوسف.
* مشفقًا.	يوسف: من تانية ثانوي خير يا دكتور.
	الطبيب: للأسف يا أستاذ يوسف ده كانسر في المراحل الأولى!!
* يوسف يرتج عليه .. ويبتلع ريقه بصوت مسموع وبصعوبة شديدة.	

* عودة للحاضر *

مشهد ١٠٠

ليل / داخلي

بيت يوسف القديم

▪ الأم تكلم يوسف في جزع.

الأم: طلقت مراتك؟

يوسف: أيوه.

الأم: ليه كده يا بني؟

يوسف: نصيب بقى يا أمي هأبقى أحكيلك بعدين المهم دلوقتي عايزك تكلمي زكريا في موضوع إن شقة ياسين تبقى في إسكندرية جنب الشركة.

▪ يبدو مهمومًا جدًا والأم تشعر به.

الأم: مالك يا ضنايا؟

▪ يرتمي في حضن الأم باكيًا.

يوسف: تعبان يا ماما تعبان.

▪ تبكي لبكائه .. تحتضنه ثم تحيط وجهه بكفيها وتمسح دموعه.

الأم: يا حبيبي شوف يا بني أنا مش هأعتب على تصرفاتك، بس أنت الأول كنت لاغي عقلك وماشي ورا قلبك ودلوقتي لاغي

قلبك وماشي بعقلك .. وده ما ينفعش لازم تخليك في النص لا تلغي ده ولا ده ومالكش إلا ربك فاهم؟!!

- يومئ رأسه موافقًا وهو يبكي ويدفن رأسه في حضن الأم.

مشهد ١٠١

نهار / داخلي

داخل طائرة

<table>
<tr><td>▪ نور تجلس على مقعدها وتربط الحزام وبجوارها شاب ينظر لها باهتمام.</td><td>الشـــاب:</td><td>أنتِ أول مرة تسافري أمريكا يا آنسة؟!</td></tr>
<tr><td>▪ لا ترد ولا تعبأ به.
▪ بإلحاح.
▪ بحزم.</td><td>نـــور:</td><td>سوري، أنا مش بأتكلم مع حد خصوصًا الكرسي اللي جنبي.</td></tr>
<tr><td>▪ الشاب يندهش من عدوانيتها.</td><td></td><td></td></tr>
</table>

مشهد ١٠٢

نهار / داخلي

شقة ياسين

▪ الشقة فخمة ومريحة ومصممة على الطراز الحديث.

▪ ياسين وزكريا وزوجة زكريا ورضوى يبدو عليهم الرضا عن الشقة وياسين يبدو فخورًا.

ياسين: إيه رأيك يا عمي إيه رأيك يا ماما؟

الزوجة: ربنا يجعلها وش الخير الشقة حلوة أوي يا حبيبي، مبروك عليكم.

رضوى: وكمان قريبة من الشركة.

▪ بسعادة بالغة.

زكريا: مبروك ياسين.

ياسين: الله يبارك فيك يا عمي تعالوا بصوا منظر البحر من البلكونة تحفة.

▪ يتجه بهم جميعًا ليفتح الشرفة ليظهر من خلالها منظر البحر رائعًا خلابًا.

مشهد ١٠٣

نهار / داخلي

المستشفى

▪ زوجة عمر ترقد على الفراش بعد أن وضعت طفلتها وجوارها الأب والأم التي تحمل الطفلة بفرحة كبيرة.

أم الزوجة: ألف مبروك يا حبيبتي تتربى في عزك.

الزوجة: الله يبارك فيكِ يا ماما.. أمال فين عمر؟!

▪ يدخل عمر.

عمر: أنا هنا طبعًا حمد لله ع السلامة يا حبيبتي.

▪ بعتاب مرح.

الزوجة: كنت فين؟

عمر: كنت بدفع يقيت المصاريف عشان الآنسة مريم.

▪ يضحك.

الأب: خلاص قررت أن اسمها مريم.

▪ وهو يحمل الطفلة عن حماته.

عمر: أنا أصلي إمبارح كنت

راكب تاكسي وأول ما ركبت سمعت القرآن شغال من الراديو والآية بتقول: {وإني سميتها مريم}.

- عمر ينظر لمريم ويبتسم.

أم الزوجة: على بركة الله يا حبيبي.

- وجه مريم الصغير ببراءته وملائكيته.
- يكلمهم مازحًا.

عمـر: فين مناخيرها؟

- يضحكون جميعًا.

مشهد ١٠٤

نهار / خارجي

أمام بيت زكي

▪ زكي يخرج من البيت وهو يمسك بيد زوجته ويسحبها من يدها نحو السيارة.

▪ يفتح باب السيارة ويجلسها ويركب هو على مقعد القيادة.

الزوجة: إيه بس .. رايحين فين؟

زكي: قررت أعمل شهر عسل جديد.

الزوجة: طب والولاد؟

زكي: الولاد كبروا خلاص نشوف إحنا نفسنا بقى.

▪ ينطلق بالسيارة أمريكاني.

الزوجة: مجنوووون!!

مشهد ١٠٥

نهار / داخلي

بيت يوسف القديم

▪ الأم في غرفتها بملابس الحج في سعادة وفي يدها مصحف تقبله

الأم: جايالك يا حبيبي يا رسول الله.

▪ يدخل ياسين ويوسف.

يوسف: ياللا يا ماما يا دوبك نلحق الطيارة.

▪ بابتسامة.

ياسين: ياللا يا حاجة.

مشهد ١٠٦

ليل / خارجي

شوارع الإسكندرية

▪ في سيارة عاصم وهي تضم عاصمًا وسالي تنام على صدره بدلال.

سالي: حبيبي، أنا فرحانة أوي أخيرًا لاقيت الراجل اللي يقدرني بجد واللي أحبه من قلبي ويحققلي أحلامي!!

عاصم: وأنا من يوم ماشوفتك بترقصي في فرح ياسين قلبي رقص معاكِ وحلف عليّ ميت يمين إني أكون تحت أمر أحلامك هاه يا جميل تحبي نقضي شهر العسل فين؟!

▪ يضحك.

▪ سالي تبتسم.

مشهد ١٠٧

ليل / داخلي

السجن ■ زنزانة يوسف القديمة

■ وهيب وعباس وفهمي ومحمود وعماد وسط الآخرين.

■ وهيب يمسك بخطاب من يوسف ويقرأه على الجميع.

■ الوجوه تظهر تباعًا حسب ذكرها في الخطاب.

وهيب: وسلامي لعم وهيب وعباس والدكتور فهمي والأستاذ محمود وبقية زمايلي في الأوضة وأحب أعرفكم أني الحمد لله بخير وأني مش ناسيكم كلها كام يوم وهابعتلكم المحامي بتاعي في الزيارة عشان يدفع ديونكم كلكم وتخرجوا بالسلامة ادعيلي يا عم وهيب

ادعولي كلكم، محتاج دعواتكم أوي.

▪ يتهللون.

عبــاس: والله يوسف فيه الخير.

محمــود: راجل محترم وابن ناس.

عمــاد: يا رب، يقدره ويخرجنا بقى من هنا ونرجع لبيوتنا.

▪ بما فيهم وهيب وهو يرسم الصليب.

الجميـع: آميــن.

مشهد ١٠٨

نهار / داخلي

كافيه على البحر

▪ يوسف يجلس إلى مائدة تطل على البحر وهو منهمك في الكتابة في أجندته القديمة.	ص يوسف:	والآن وبعد كل هذه الأحداث أقف وأتأمل هذا كله ربما كان السجن عقابًا إلهيًّا على ما فعلته مع أمي بسبب وفاء ولكني تعلمت دروسي جيدًا لقد حققت كل ما حلمت به في مقابل السرطان باسبور أمريكي فُتحت له جميع الأبواب المغلقة في هذا البلد وانحنت الأعناق أمامي وبالمقابل يوجد آلاف من المصريين ملقى بهم في جحيم السجون بقانون
▪ القلم يجري على الورق.		
▪ الدموع تتراقص في عينه.		
▪ يوسف لا يشعر بما حوله		

وهو منهمك تمامًا في الكتابة.

ظالم جاحف غير دستوري أنا نفسي حملت جثة العجوز فوزي.. كان كل طموحه ثلاجة وبوتجاز لجهاز ابنته.. رحمك الله يا عم فوزي أما عن الدرس الثاني فهو كما قال نابليون فتِّش عن المرأة خانتني وفاء ونور عندما أحببت انسحقت وعندما سحقت صعدت ولكن الثمن كان باهظًا الأن أحيا في انتظار الموت تمثال ملامح بلا إنسان.

▪ تسيل الدموع على وجنتيه ولكنه يتركها كما هي ولا يمسحها.

مشهد ١٠٩

نهار / خارجي

أمام الكافيه

• وفاء تمشي بصحبة نوال.

نــوال: أنتِ متأكدة إن الواد ده مليان؟

وفــاء: أيوه يا ماما ده معاه فلوس متلتلة وأول ما شافني كان هيموت عليّ ده حتى راكب حتة عربية ....

• تقطع كلامها وتتوقف أمام سيارة يوسف البي إم دابليو الفاخرة مبهورة بها وتقف معها نوال.

نــوال: شايفه أهي دي العربيات.. ولا بلاش!!

• يخرج يوسف من مدخل الكافيه فيراهم ويروه.

• رد فعل على الوجوه بالمفاجأة.

- يوسف يتمالك نفسه وينجه لسيارته ويفتحها بالريموت ويحتل مقعد القيادة ونوال ووفاء تصعقان ومتسمران مكانهما أمام السيارة.
- يخرج رأسه من نافذة سيارته ويكلمهم.

يوسف: شوية كده ياا عشان العربية ماتتوسخش.

- فيفحسوا الطريق ولا يردان.

وابقوا شوفولكم زبون تاني تقلبوه.

وهو ينطلق بالسيارة ويبصق على الأرض وهما في قمة الذهول.

مشهد ١١٠

فجر / داخلي

داخل جامع

- الصلاة انتهت والناس انصرفت ولم يبقَ إلا يوسف متزوٍ في الركن وشيخ الجامع يقرأ القرآن في مكان الإمامة.

- يوسف يستند إلى الحائط ويشرد.
- يسوف تدمع عيناه وينفجر في البكاء تدريجيًا والشيخ يتابع ذلك.

- فجأة يخر ساجدًا.
- يبكي بشدة.

يوسف: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين.

▪ يهدأ رويدًا رويدًا
والشيخ يتجه نحوه ويربت
على كتفه بطيبة.

الشيــخ: ها يا بني ارتحت؟

▪ يوسف يفيق على وقع يد
الشيخ بعينين زائغتين
ويرد وهو يبكي.

يوســف: نفسي ربنا يغفرلي ذنوبي يا مولانا.

مشهد ١١١

ليل / داخلي

غرفة يوسف القديمة

▪ يوسف مغشي عليه على فراشه والدم يخرج من فمه وبجواره أكوام من المناديل الورقية الملوثة كلها بدمائه.

▪ الأم تفتح الباب لتدخل.

الأم: يوسف يا حبيبي مش هاتتعش....

▪ تفزع من المشهد ولا تستكمل جملتها وتجري إليه وتضمه إلى صدرها.

تصرخ بهلع لتنادي ياسين.

الأم: ابني ياسين ياسين الحقني يا بني الحق (أخوك) يا ياسين.

▪ يدخل ياسين ليصعق من منظر يوسف ونواح الأم.

مشهد ١١٢

نهار / داخلي

المستشفى ▪ أمام غرفة العمليات

▪ يخرج الطبيب فيندفع نحوه ياسين ورضوى وعمر والأم.

الطبيب: إيه ياجماعة قلقانين ليه.. الحمدلله كلها كانت أورامًا حميدة وتم استئصالها بنجاح بفضل الله.

▪ الجميع قلق وياسين يبكي.

▪ تبكي.

الأم: الحمد لله اللهم لك الحمد حتى ترضى.

الطبيب: طبعًا مش هاتشوفوه إلا بعد ما يفوق من البينج اطمنوا يا جماعة وحمد لله ع سلامة الأستاذ يوسف.

▪ ياسين يحتضن أمه ورضوى تبتسم دامعة وعمر يطلق زفرة ارتياح.

▪ إظلام تدريجي ▪

مشهد ١١٣

ليل / داخلي

بيت يوسف القديم

مكتوب على الشاشة بعد شهور

▪ يوسف في غرفته يختم صلاته بخشوع.

▪ الحائط من ورائه وهو معلق عليه صورتا وفاء ونور.

▪ نكتشف وجود علم مصر معلقًا فوقهم.

▪ نقترب من العلم حتى يغطي اللون الأسود الشاشة كلها.

يتداخل صوت محمد منير مغنيًا.

ص منير: بيني وبينك سور ورا سور .. وأنا لا مارد ولا عصفور في إيدي ناي والناي مكسور.

▪ تيترات النهاية ▪

"دع الحياة تضرب ضرباتها   اجعلها تزيد من قسوتها اجعلها تزيد من مرارتها .. حتى إذا حان دورك .. تكن ضرباتك أنت بلا رحمة"

الاثنين ١٢ يوليو:

اليوم رأيت أمي اللهم لك الحمد على هذه الأم العظيمة جاءتني بالنقود مسرعة، وأعطتني نسخة مصورة من قضيتي أمي تعبت معي أيما تعب، غير أن حالة أبي الصحية متدهورة فقد أجرى العملية، ولكنه بعدها دخل في غيبوبة ولا يزال أسيرها حتى الآن أريد فقط رؤيته الأطباء يؤكدون احتضاره اللهم الغوث والرحمة.

***

أبي يرقد بين الحياة والموت .. لم يدرك قلبي بعد هذه المعلومة ويل لك أيها القلب عندما تدرك أبي أيها النهر الخالد لقد عشت تجري في أرض غيري أتموت وأنا سجين؟ أرجوك يا أبي ألا تمت وأنا هنا خلف الجدران أرجوك لا ترحل أمهلني حتى أنظر إليك فقط نظرة لا أكثر.

الثلاثاء ١٣ يوليو:

في الصباح تلقيت خبر وفاة والدي مات أبي مات وأنا سجين عرفت اليوم من عبد العزيز.

مات أبي   ونظرت إلى الكلمات التي كتبتها بالأمس   أصبحت بلا معنى لم يمهلني النظرة التي رجوتها، وإنني أتخبط هناك انهيار كامل الحرمان يضرب ضربة أخرى فانبعثت من داخلي كل سنواته كل هذا الهم والذل تجسد ليضرب ضربته القدر يزيد من عذابه والحرمان يأبى إلا عدم اندمال جروحه الغائرة في روحي والحياة بقسوتها لن تتوقف لعزائي..

مات أبي

مات أبي

مات أبي

مات أبي

مات أبي

مات أبي

مات أبي

رحمك الله يا أبي وليرحمني معك فقط لو تكفي تلك المشاهد التي أراها له هل مات وحيدًا؟ هل تألم؟ هل تذكرني؟ يا رب، إن أدخلته جنتك فاجعله شفيعًا يخرجني من جهنم الحياة هذه.

***

وداعًا وداعًا يا أبي أسكنك الله فسيح جناته ولي عندك طلب أخير.. اقرأ لي الفاتحة من عندك لعل الله يرحمني، من هناك من العالم الآخر.

السبت ١٧ يوليو:

اليوم التقيت زكي حميد كانت مفاجأة سارة وما أن رآني حتى عانقني أبدى حزنًا أصيلًا عندما أخبرته بوفاة أبي رحمه الله تواعدنا على اللقاء يوم الأربعاء القادم إن شاء الله، والذي -أتمنى- سيكون اللقاء الأخير داخل السجن حيث أن خروجه للمكتبة يومًا السبت والأربعاء.

أما عن المعيشة فقد نفدت بوناتي وسجائري ولكن عم صبحي -الذي يشاركني المعيشة- لا يتركني فقد تكفل بكل شيء من دخان وسجائر وشاي وسكر وحتى وجبات من الكافيتيريا.

الثلاثاء ٢٠ يوليو:

التاسعة مساءً الانتظار هو الجحيم بعينه، وما زاد الطين بلة هو زيادة عدد نزلاء غرفتنا بأربعة أشخاص دفعة واحدة ضاقت الفرشة وازداد الحر التهابًا واحتكت الأجساد ببعضها وضاقت الأنفس، ويوم الجمعة يأبى أن يأتي صدرت أمس جريدة (الأهرام) وهي تحمل خبر العفو عن بعض السجناء بمناسبة عيد الثورة .. ولكن بنود العفو تشترط سداد كافة الالتزامات المادية نموذج الحبس الخاص بي في السجن يلزمني بمصاريف قضائية فقط وقد سددتها ولله الحمد، ولكن صورة القضية التي معي تلزمني بمصاريف قضائية وسداد جنيه واحد كحق مدني إلى المدعي، وأخشى ما أخشاه أن يمنع هذا الجنيه خروجي في العفو.. هكذا ترون الجحيم الذي أحيا فيه!!

الأربعاء ٢١ يوليو:

في الصباح التقيت زكي بالمكتبة .. عانقني مودعًا إلى حين يعلمه الله قلت له مداعبًا أني أخشى أن أراه ثانية!! فضحك كنت خائفًا وكان متأكدًا.

***

الثامنة مساءً أكتب الآن من عنبر ٢٢ عنبر الإفراج تم استدعائي منذ حوالي الساعة لتنفيذ أمر العفو عني، واقتادوني مع المفرج

عنهم إلى هنا ليتم ترحيلنا إلى الأقسام التي نتبعها صباح الجمعة بمشيئة الله .. ربنا ولك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك.

السبت ٢٤ يوليو:

منتصف الليل أكتب من بيتي وعلى فراشي بغرفتي -الذي يبلغ عرضه سبعة أشبار- أجلس لأسترجع الأحداث بالأمس وبعد طول انتظار ومعاناة أخرجونا صباحًا من العنبر وقاموا بحشدنا في الساحة الأمامية للسجن وبعد مراجعة بياناتنا وأسماء الأمهات بمنتهى الدقة خرجنا من السجن في عربات الترحيل كل إلى بلده أو مركزه أو القسم التابع له وصلت إلى قسم ثانٍ وأدخلوني الزنزانة الشبيهة بالمحرقة النازية "الهولوكوست" -إن وجدت- وبت هناك ليلة هي العذاب بعينه.

وظهر اليوم استدعوني لإنهاء إجراءات الإفراج عني فوجدت أمي بانتظاري تبكي، وكانت متشحة بالسواد آه يا أمي ما أعظمك!!

بعدها أطلقوا صراحي.

***

والآن وبعد كل هذه الأحداث والتجربة المفزعة أستعد لمواجهة الحياة والمجتمع مجتمع أعرف يقينًا أنه سيلفظني لمَ لا وأنا أحمل لقب لم أكن أتخيله أبدًا .. لقب "سوابق"

عابد الرحمن محمد

في ٢٤ يوليو

يا عم الضابط أنت كداب

واللي باعتك كداب

مش بالذل حاشوفكم غير

أو استرجى منكم خير

أنتم كلاب الحاكم

وإحنا الطير

أنتم التوقيف وإحنا السير

أنتم لصوص القوت

وإحنا بنبني بيوت

إحنا الصوت ساعة ما تحبوا الدنيا سكوت

إحنا شعبين.. شعبين.. شعبين

شوف الأول فين؟!

والتاني فين؟!

وأدي الخط ما بين الاتنين بيفوت

أنتم بعتم الأرض بفاسها.. بناسها

في ميدان الدنيا فكيتوا لباسها

بانت وش وضهر

بطن وصدر

ماتت

والريحة سبقت طلعت أنفاسها

وإحنا ولاد الكلب الشعب

إحنا بتوع الأجمل وطريق الصعب

والضرب ببوز الجزمة وبسن الكعب

والموت في الحرب

لكن أنتم خلقكم سيد الملك

جاهزين للملك

إيديكم نعمت من طول ما بتفتل وبتفتل لياليتا الحلك

انتوا الترك وإحنا الهلك

سوّاها بحكمته صاحب الملك

أنا المطحون المسجون

اللي تاريخي مركون

وأنت قلاوون وابن طولون ونابليون

الزنزانة دي مبنية قبل الكون

قبل الظلم ما يكسب جولات اللون

يا عم الضابط

احبسني

رأينا خلف خلاف

سقفني الحنضل واتعسني

رأينا خلف خلاف

احبسني أو اطلقني وادهسني

رأينا خلف خلاف

وإذا كنت لوحدي دلوقت

بكره مع الوقت

حتزور الزنزانة دي أجيال

وأكيد فيه جيل

أوصافه غير نفس الأوصاف

إن شاف يوعى

وإن وعي ما يخاف

أنتم الخونة حتى لو خانّي ظني

خد مفاتيح سجنك واترك لي وطني

وطني غير وطنك

ومشي

قلت لنفسي

ما خدمك إلا من سجنك

"الخال/ عبد الرحمن الأبنودي"

الفهرس

رقم الصفحة

أطلس

للنشر والإنتاج الاعلامى

ربع 1/4 مواطن

"عالم أخر .. هذه ليست قوانين للحياة .. وهؤلاء لم يعودوا بشر ..
رواية وسيناريو يبحثان عن كرامة المواطن المصرى ..
ربع مواطن .. كشف الحقائق"

عابد الرحمن محمد .. كاتب سيناريو تلقيه الظروف فى سجن برج العرب .. فيبدأ فى كتابة يومياته هناك كاشفا كل ما يحدث بالتفصيل داخل أسوار هذا الجحيم الأرضى ، وأيضا يكتب سيناريو من وحى واقعه المرير .. تعال معى لنعش يومياته كاملة .. تعال معى لنستمع إلى شهادة من كانوا حوله ومن ألقوا به هناك ، تعال نلج عالم السينما الساحر لنعرف كيف عالج هذا السيناريست واقعه فى شكل سيناريو .. تعال لنر عن قرب مأساة مئات الآلاف من السجناء المصريين المحكوم عليهم بقانون ملغى دستوريًا منذ العام ١٩٨١.

ISBN 978 977 399 233 7
6223004051531

أطلس